



# إياكم أن تخبروا أحدًا

قصة حقيقية عن جريمة  
قتل وأسرار عائلية

## جريج أولسن

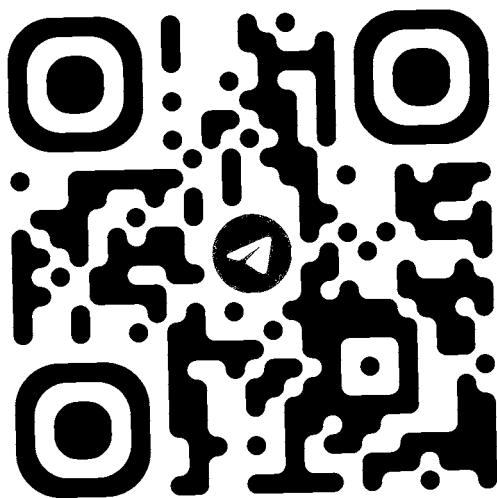
ترجمة: رفيده جمال ثابت

مكتبة

الحرية

# إِيَّاكُمْ أَنْ تُخْبِرُوا أَحَدًا

قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ عَنِ جَرِيْمَةِ قَتْلِ،  
وَأَسْرَارٍ عَائِلِيَّةٍ



سَجِّلْ فِي مَكْتَبَةٍ

اضْغَطْ الصَّفْحَةَ

SCAN QR

عنوان الكتاب: إِيَّاكُمْ أَنْ تُخْبِرُوا أَحَدًا If You Tell

قصة حقيقية عن جريمة قتل، وأسرار عائلية  
A True Story of Murder, Family Secrets  
and the Unbreakable Bond of Sisterhood

المؤلف: جريج أولسن GREGG OLSEN

ترجمة: رفيدة جمال ثابت  
مراجعة لغوية: محمود شرف  
إخراج داخلي: رشا عبدالله

## المحررة

قطعة رقم 7399 ش 28 من 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٤ / ٢٦٤٣٠

التقييم الدولي: 3-018-894-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوطة لمركز المحروسة

2025

Text copyright © 2019 by Gregg Olsen  
All rights reserved.

No part of this book may be reproduced, or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without express written permission of the publisher.

Published by Thomas & Mercer, Seattle

This edition is made possible under a license arrangement originating with Amazon Publishing,  
www.apub.com

رواية

مكتبة  
t.me/soramnqraa

# إِيَّاكُمْ أَنْ تُخْبِرُوا أَحَدًا

قصة حقيقية عن جريمة قتل،  
وأسرار عائلية

جريج أولسن

ترجمة

رفيدة جمال ثابت

# مكتبة

t.me/soramnqraa



## بطاقة فهرسة

### فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

أولسن، جريج، 1959 -

إيَّاكم أن تُخبروا أحدًا: قصة حقيقية عن جريمة قتل، وأسرارٌ عائلية

/ جريج أولسن؛ ترجمة: رفيده جمال ثابت. ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2024

545 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 3-018-894-977-978

1- القصص الامريكية

2- القصص الواقعية

3- الجريمة والمجرمون في الأدب

أ- ثابت رفيده جمال (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2024/26430

## قالوا عن "إيّاكم أن تُخبروا أحدًا"

"لا يوجد إلا كاتب واحد يجيد سرد قصةٍ مُرعبةٍ ونفسية كهذه القصة، والمترعة بالإساءات الرهيبة والتعذيب البشع والقتل المتسلسل المرؤّع، بدقّةٍ ورهافة وأسلوبٍ رفيعٍ... يأخذنا جريج أولسن في رحلةٍ نفسية مشوّقة، مستوحاة من أحداثٍ حقيقية، مازجًا بين الإثارة والابتكار؛ ومن ثمّ يُعدُّ كتاب 'إيّاكم أن تُخبروا أحدًا' تحفة فنية في أدب الجرائم الحقيقية".

م. ويليام فيلبس

الكاتب الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز

مكتبة  
t.me/soramnqraa

"نولد جميعًا حاملين آمالاً رَحية، بيّدَ أننا في لحظتنا الأولى نعجز عن التنبؤ بمن سيكون له الأثر الأكبر في حياتنا، إيجابًا أو سلبيًا. في هذا الكتاب يستكشف جريج أولسن خليفة الكاتبين الأسطوريين في

أدب الجريمة چاك أولسن وآن رول- الجانب المظلم من هذه المسألة، بأسلوبه النثري المعهود، الذي يثير الرعدة ويعتصر القلب. كتابة مذهلة ومُرعبة من أحد أبرز كُتّاب الجرائم الحقيقية".

### رون فرانسيل

مؤلف كتاب "آليس وچيرالد: قصة حب قاتلة"

"في هذا الكتاب المشحون بالتوتر، والذي يأسر الانتباه من الصفحات الأولى، يرسم جريج أولسن صورةً بارعةً للأطفال العالقين في شرك مجرمة باردة وماكرة. يكشف هذا الكتاب المشوق، الذي أبقاني ساهرةً حتى الساعات الأولى من الصباح، عن شرٍّ مريعٍ ظلّ متوارياً في بلدةٍ أمريكية صغيرة. وما يثير رعبي هو أن الكتاب قصة حقيقية، وليس من وحي الخيال".

### كاثرين كيسي

الكاتبة الأكثر مبيعاً ومؤلفة كتاب "أمام العيان"

"دراسة تجمع بين الإثارة والرعب والتشويق لشخصيات عائلة مضطربة وخطيرة، بقلم جريج أولسن، أحد أبرز كُتّاب الجرائم الحقيقية في عصرنا".

### كيتلين روثر

الكاتبة الأكثر مبيعاً في صحيفة نيويورك تايمز

"يعود سيد أدب الجرائم الحقيقية بقوةٍ من جديد. بعد رحلةٍ استغرقت عقدًا في عالم الرواية، يعود جريج أولسن بقصةٍ سوداويةٍ واقعيةٍ من شمال غرب المحيط الهادئ، ستُبقيك مستيقظًا حتى الفجر. الوحشُ الرئيسي في الكتاب ليس البعبع المعتاد؛ ليس المتشرّد المتجوّل أو سائق الشاحنة المريب. بل كانوا ينادونها... 'أمي'. ومع ذلك، فإنّ هذه القصة تدور حول التمسك بالأمل والعزيمة على الماضي قُدّمًا برغم الشرِّ، وكيف واصلت ثلاث شقيقات إيمانهن بالخير في العالم بعد تجربةٍ مريرة. يُعدُّ الكتاب تحفةً كلاسيكيةً في أدب الجرائم الحقيقية يُدكّرنا بكتّابيّ 'بلا رافة' والغريب بجواري".

جيمس رينز

"هذا الكابوس كان يمشي على قدمين، وبعض الضحايا كانوا ينادونها بـ'أمي'. في هذا الكتاب، يوثّق جريج أولسن التعذيب النفسي والجسدي المرّوع الذي مارسه شيلي نوتيك على أفراد أسرتها. إنها قصة مؤثرة عن القسوة وستظل عالقةً بالذهن لفترةٍ طويلة".

ديان فاننج

"إنجاز استثنائي في أدب الجرائم الحقيقية".

ستيف جاكسن

مؤلف كتاب "البحث الدؤوب" الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز

"حتى أكثر القُراء شغفًا بالجرائم الحقيقية سيصابون بالذهول من الأفعال الرهيبة والصادمة التي يوثقها جريج أولسن في هذا الكتاب. لقد أبدع أولسن مُجددًا، وقدم للقُراء لمحةً عن قاتلين مُرعبين لدرجة يصعب تصديقها. لم أستطع ترك هذا الكتاب حتى أنهيته!".

## أفروديت جونز

المؤلفة الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز

**إهداء إلى**

**نيكي وسامي وتوري**



## ملحوظة المؤلف

الذكريات المشتركة أشبه بقطع أحجية متشابكة. أحيانًا لا تتوافق بدقة تامة. ولقد بذلتُ قصارى جهدي لترتيب جميع أجزاء هذه القصة المعقدة في تسلسلٍ دقيقٍ قدر الإمكان. وفيما يخصُّ الفقرات التي تضمَّنت حوارًا، استعنت بمستندات التحقيق والذكريات المستقاة من المقابلات الشخصية التي أُجريت على مدار عامين. وأخيرًا، لأسباب تتعلق بالخصوصية، ارتأيت استخدام اسم مستعار للجزء الأول من اسم لارا واطسن.



## مُقَدِّمَةٌ

ثلاث شقيقات.

الآن صرنَ نساءً بالغاتٍ.

يَعِشْنَ جميعًا في شمال غرب المحيط الهادئ.

الشقيقة الكبرى، نيكي، تعيش في ضواحي سياتل الراقية، في منزلٍ فخيمٍ من الخشب اللامع والأثاث الفاخر. في أوائل الأربعينيات من عمرها، متزوجة، ولديها منزلٌ عامر بالأطفال الرائعين. وتُبَيِّنُ جولةً سريعة في معرض الصور العائلية في غرفة المعيشة الحياةَ الرغيدةَ التي بنتها برفقة زوجها، بفضل الأعمال التجارية الناجحة والبوصلة الأخلاقية التي ترشدها دومًا نحو الطريق الصحيح.

لكن يكفي ذِكر كلمة واحدة لتعيدها إلى المأساة.

"أمي".

أحياناً، يرتعش جسدها لا إرادياً عند سماعها، وهو ردُّ فعلٍ غريزي تجاه كلمة تخذشها كمخالب نسر، تجرح جلدها وتُدميه.

مَنْ ينظر إليها لن يتخيل المعاناة التي مرّت بها، والجحيم الذي نجت منه. وباستثناء أفراد أسرتها المباشرة، لا يعلم أحدُ الحقيقة الكاملة. إنها لا تخفي جروح الماضي خلف قناع، بل تحملها كوسام شجاعة غير مرئي.

المآسي التي مرّت بها نيكي صنعت منها شخصية قوية ومذهلة اليوم.

الشقيقة الوسطى، سامي، عادت في نهاية المطاف لتستقرّ في مسقط رأسها، تلك البلدة الساحلية الصغيرة بواشنطن، حيث جرّت الوقائع. لقد أمّت للتوّ الأربعين من عمرها وتعمل معلّمةً في مدرسة ابتدائية محلية. تمتلك شعراً مجعّداً، وتتمتّع بحسّ فكاهاي جذّاب. الفكاهاة هي درعها الواقية، ولطالما كانت كذلك. ومثل أختها الكبرى، رُزقت سامي بأطفالٍ يمثّلون حلم كل أم؛ أذكىاء ومغامرون ومحبوبون.

عندما تدير سامي الدُش صباحاً قبل تجهيز أطفالها للذهاب إلى المدرسة، لا تتوقّف لانتظار أن يسخن الماء. بل تقفز مباشرةً، تاركَةً الماء المثلج يلسع جسدها. ترتبط سامي، شأنها شأن نيكي، بذكريات من الماضي؛ ذكريات يصعب عليها التخلص منها أو نسيانها.

أمّا الشقيقة الصغرى فهي جميلة، كشقيقتها الكبيرتين. توري في أواخر العشرينيات من عمرها؛ شقراء، عفوية، ومتّقدة الذهن. تعيش بعيداً في وسط ولاية أوريغن، لكنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشقيقتها. فقد صاغت المحن والتجارب القاسية رابطةً وثقى لا انفصام لها بينهما. وصنعت هذه الشابة لنفسها حياةً مفعمة بالحيوية من خلال تطوير وسائل التواصل الاجتماعي لشركة ضيافة كبرى. منشوراتها،

سواء الشخصية أو العملية، لا تفشل في رسم الابتسامة أو حتى انتزاع الضحكات.

رغم أنها حققت ذلك بمجهودها، فإنها تُقرُّ بأن نجاحها لم يكن ليتم من دون عون أختيها.

كلما وقفت في رُكن المنظفات بالمتجر، ووقع بصرها على زجاجات المبييض، كان يعتري جسدها رجفة وتشيح بعينيها. لا تطيق النظر إليها أو شم رائحتها. ومثل شقيقتها، تعيدها الأشياء الصغيرة كالشريط اللاصق، ومُسكّنات الألم، وصوت جرّازة العشب، إلى ذكريات عن جرائم أمها، والتي أقسمن جميعًا على عدم البوح بها للأبد.

معاناتهن مع أمهن كانت السبب الذي وطّد العلاقة بينهن. ورغم اختلاف آبائهن، ظللن دومًا أخواتٍ بكل ما تحمله الكلمة من معنى. صلة الأخوة كانت الرابطة الوحيدة التي استمدت منها شقيقات آل نوتيك شجاعتهن، والشيء الوحيد الذي عجزت الأم عن انتزاعه. هذه الوشيحة منحتهن القوة للصمود والمضي قُدّمًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa



**الجزء الأول**

**الأم شيرلي**



## الفصل الأول

بعض المدن الصغيرة مبنية على أرض مُلطَّخة بالدماء والخيانة. وإحدى تلك المدن كانت باتل جراوند، الواقعة في واشنطن، على بُعد اثني عشر ميلاً شمال شرق فانكوفر، بالقرب من حدود ولاية أوريغن. ويرجع اسم البلدة إلى حادثة مواجهةٍ وَقَّعت بين قبيلة كليكيئات والجيش الأمريكي. فقد تمكَّن السكان الأصليون من الهروب من السجن في الثكنات. ولكن أثناء التفاوض على الاستسلام، انطلقت طلقةٌ أودت بحياة أومتوش رئيس القبيلة.

يبدو ملامحاً أن يشتهر مسقط رأس ميشيل "شيلي" لين واطسن ريقاردو لونج نوتيك بالصراعات المتأزمة والوعود الكاذبة.

وما أشبهه بحياتها الحقيقية!

مثَّلت باتل جراوند لسكانها في الخمسينيات نموذجاً للبلدة الأمريكية الصغيرة؛ إذ تمَّتعت بمدارس جيدة وجيران متعاونين ودوري لعبة البولينج الذي أضفى الحيوية والنشاط في أمسيات الجُمع

والسُّبُوت. كدح الآباء لتحقيق حلم امتلاك سيارة جديدة ومنزلٍ لطيف. ومكَّنت معظم الأمهات في المنزل لرعاية الأطفال، ليعُدن فيما بعد إلى سوق العمل أو يلتحقن بجامعة كلارك لتحقيق الأحلام التي حالت دونها تقاليد العصر وعرقها الزواج.

إذا كان لباتل جراوند رمز للنفوذ والقوة، لكان والد شيلي أحقُّ بهذا الرمز.

تمتَّع ليس واطسن بشخصية بارزة ذائعة الصيت في المدينة. وكان النجم السابق لمدرسة باتل جراوند الثانوية في ألعاب القوى وكرة القدم، بطوله الفارع الذي ناهز المترين، وكتفيه العريضتين. كان وسيماً سريع البديهة، يتمتع بلباقة فائقة، ويجيد فن الإقناع، كما كان بارعاً في الخداع والمراوغة. واعتبرته جميع فتيات المدينة عريساً مثاليّاً. ولم يكتفِ ليس ووالدته بامتلاك وإدارة دارين لرعاية المسنّين فحسب، بل امتلك أيضاً "تايجر بول"، وهي صالة بولينج مكوّنة من عشر حارات، ومزوّدة ببوفيه للوجبات الخفيفة يتّسع لاثني عشر مقعداً. كان ذلك هو المكان الذي عملت فيه لارا ستولينجز في عام 1958. كانت قد تخرّجت للتو من مدرسة فورت فانكوفر الثانوية، وكانت تبيع شطائر الهامبرجر لادّخار المال للالتحاق بالجامعة. بشعرها الأشقر المجعّد والمربوط على شكل ذيل حصان يتأرجح ذهاباً وإياباً أثناء استقبال الطلبات، وبعينين زرقاوين لامعتين كانت لارا فتاة حسناء بلا منازع. وكانت ذكية كذلك. لاحقاً، ستندم لأنها لم تكن في كامل وعيها حين وافقت على مواعدة ليس واطسن، ثم الزواج به في نهاية المطاف.

كان ليس يكبرها بعشر سنوات، لكنه كذب على عروسه المراهقة زاعماً أنه يكبرها بأربع سنوات فحسب.

قالت لارا بعد سنوات لاحقًا، نادمَةً على قرارها: "لقد بهرتني كلُّ مميزاتِه. ووقَّعتُ تمامًا في شركه. ولكنه لم يكن الرجل الرائع كما ظننتُ".

اصطدَّمت لارا بالواقع في اليوم التالي لتصفيف شعرها بتسريحة فرنسية، على طريقة تيبّي هيدرن في تحفة هيتشكوك الكلاسيكية "الطيور"، وزواجها بليس في حفل مدني في عام 1960 في فانكوفر، مسقط رأسها. لم يحضر حفل الزفاف إلا عائلتها، رغم معارضة والديها للزواج. وكان لدى بليس سببٌ وجيه لعدم دعوة أهله. كانوا يعرفون ما سيحدث.

عندما رنَّ الهاتف في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، ردَّت لارا. كانت زوجة ليس الأولى على الخطِّ، تتصل من كاليفورنيا. تساءلت شارون تود واطسن بنبرة حادة: "متى ستأتون لتأخذوا الأطفال الملعين؟".

لم تفهم لارا مقصدها. "ماذا تعنين؟".

لم يخبرها ليس أبدًا أنه تعهَّد بتربية أطفاله من شارون؛ شيلي وتشاك وبول واطسن. كان من عادة ليس إغفال تلك التفاصيل الصغيرة، ورغم ذلك أدركت لارا أنها لن تتمكَّن من تقويمه، وأن مخاوف والديها كانت في محلها.

بعد تلك المكالمة الصباحية المبكِّرة، أخبر ليس لارا أن طليقتَه شارون عاجزة عن رعاية الأطفال لأنها مُدمنة على الكحول، وتعاني من الاكتئاب. جذبت لارا نَفْسًا عميقًا ووافقَّت. فماذا ستفعل غير ذلك؟ في النهاية كانوا أطفال زوجها، وكانت تعلم أن عليها التَّحلي بالصبر والعزيمة.

تبَيَّن أن المهمة كانت أكبر ممَّا توقَّعت. عندما انتقلت شيلي، البالغة من العمر ست سنوات، وتشاك الذي لم يتجاوز الثالثة،

للعيش معهما، تولّت لارا دور زوجة الأب. احتفظت شارون بالابن الأصغر بول، الذي كان رضيعًا حينذاك. كانت شيلي طفلة جميلة، بعينين واسعتين وشعرٍ كستنائيٍّ كثيفٍ ومجعّد. غير أن لارا استرعى انتباهها علاقة غريبة بين شيلي وأخيها. لم يكن تشاك يتفوّه بكلمة واحدة، وراحت شيلي تتولّى الكلام نيابة عنه دائمًا. وبدا أنها تسيطر تمامًا على الطفل.

وبينما شرّعت شيلي تتأقلم مع بيئتها الجديدة، كثر تذمُّرها وتلقُّظها بكلمات غير لائقة.

قالت لارا متذكّرةً: "كانت تُردّد على مسامعي كل يوم أنها تكرهني. صدقًا، لم يمر يوم من دون إخباري بذلك".

\*\*\*

في خريف عام 1960، عادت شارون واطسن إلى منزلها في ألاميدا بكاليفورنيا، بعد أن ترّكت شيلي وتشاك مع لارا وليس. وبمجرد رحيلها، اختفت كأنها لم تكن موجودة قطُّ. لم تتصل بالهاتف أو ترسل بطاقات تهنئة بعيد ميلاد الطفلين، ولا حتى تهنئة بالكريسماس. لم يكن هناك تبرير لهذا النهج المتّبّع في تربية الأطفال والقائم على مبدأ "بعيدًا عن العين، بعيدًا عن القلب". لكن لارا تساءلت لاحقًا عمّا إذا كان هذا المسار قد حُدّد قبل زواج شارون ثم طلاقها من ليس واطسن. قالت لارا عن زوجة ليس الأولى: "ترعرعت شارون في أسرة مضطربة للغاية. كانت أمها متعدّدة الزوجات، ولم تنجب غيرها. وسمعت أنه كان لديها توأم توفّي في أثناء الولادة. لكنني لا أعلم مدى صحة هذه القصة، كانت إحدى القصص التي سمعتها".

بغضّ النظر عن الأسباب التي دفعتها لذلك، كان واضحًا أن شارون تعاني من إدمان الكحول، لكن الأمر كان أعمق من ذلك. فقد

انخرطت في نمط حياة محفوف بالمخاطر. وتكهّن بعض أفراد أسرتها أنها قد تورّطت في الدعارة.

أخيراً، في ربيع عام 1967، تلقّت عائلة واطسن في منزلهم بياتل جراوند مكاملة هاتفية من قسم شرطة مقاطعة لوس أنجلوس. وأخطرهم مُحقّق الجرائم أن شارون قد قُتلت في غرفة فندق رخيص، وأن الطبيب الشرعي يحتاج إلى شخصٍ لتحديد هويّتها واستلام طفلها الصغير، بول.

لم يكن ليس يرغب في استلام ابنه، الذي كان يعاني من مشكلات سلوكية متعدّدة. لكن لارا أصرّت على ذلك لأنها رأته عين الصواب. وعلى مضض، سافرا إلى كاليفورنيا لاستلامه والتّعرّف على جثة شارون. أخبر ليس لارا بما علمه من الشرطة والطبيب الشرعي.

قال: "كانت تعيش مع رجلٍ من السكان الأصليين الأمريكيين، لكنهما كانا بلا مأوى ومدمنين على الكحول. عاشا في منطقة سكيدي رود. لقد ضُربت حتى الموت".

فيما بعد، بعدما أرسل رماد شارون إلى واشنطن، رَفَضت والدتها استلامه. كما لم تُقم مراسم تأبين لها. ورغم النهاية المأساوية فإنها جاءت ملائمّةً لقصة حياتها. في الصور المجمّعة من ألبوم عائلي قديم مهترئ، لا يوجد سوى صور قليلة لشارون، ونادراً ما تظهر فيها مبتسمة. عبوسها الدائم محفوظ للأبد بالأبيض والأسود.

عندما أخبروا شيلي بما حدث لوالدتها، لم تُبدِ المراهقة البالغة من العمر ثلاثة عشر ربيعاً أي اهتمام يُذكر. لم تُظهر أيّ ردّ فعل. وتعجّبت لارا كأن لم يكن هناك رابط حقيقي بين شيلي وشارون.

قالت لارا متذكّرة: "لم تسأل عن والدتها ولو مرّةً واحدة".



## الفصل الثاني

أثار العضو المنضمٌ حديثًا لعائلة واطسن مشكلاتٍ عديدةً في باتل جراوند. افتقر بول تمامًا لضبط النفس، كما لم يكن يتمتع بمهارات اجتماعية البتّة، حتى إنه لم يتعلم قواعد الجلوس إلى المائدة وقت تناول الطعام. وفي أيامه الأولى في المنزل، ضبطته لارا يتسلّق منضدة المطبخ بحثًا عن الطعام؛ يفتح الخزائن ويُخرج منها ما لا يعجبه ويلقي به على الأرض.

اعترفت لارا: "كان بول جامحًا كحيوان. حتى إنه كان يحمل مطوأة بجيبه. لست أمزح. لقد رأيتها بالفعل".

فعلت لارا كل ما بوسعها، لكنها أدركت منذ البداية تقريبًا أنها في ورطة. كان ليس مشغولًا بأعماله التجارية، ولم تلمه كثيرًا لعدم توفيره متسعًا من الوقت لأولاده، ولكنها بذلت قصارى جهدها كزوجة أبٍ لثلاثة أطفال يصعب التعامل معهم؛ شيلي العنيدة، وبول الجامح، وتشاك الصامت، الذي كان طفلًا منعزلًا ولا يتكلم إلا إذا لُقنته

شيلي ما يقول. وكان مَنْ يعرفون والدتهم البيولوجية يشتبهون في أن مشكلاته ربما نجمت عن إساءةٍ تعرّض لها، رغم أنه لم يكن من المعتاد التحدث عن ذلك صراحة في الستينيات.

قالت لارا: "أخبرني أحد الجيران ذات مرة أنهم رأوا تشاك من خلال نافذة غرفته المفتوحة واقفاً هناك يبكي. كان يبكي طوال الوقت".

رغم صعوبة تعامل لارا مع بول وتشاك، فإن الطفلة التي أثارت أكبر قدرٍ من المتاعب كانت شيلي.

رُكِّز آل واطسن على الاستفادة القصوى من الوقت الذي يقضونه في العطلات الأسبوعية، وإبعاد كل عوامل التشبث الأخرى والتركيز على الأطفال، والذين انضمَّ إليهم الآن ابنة وابنٌ أنجبتهما لارا. اعتادوا القيام برحلات منتظمة إلى سواحل ولاية أوريجن أو واشنطن للتَّنَزُّه بالقوارب خلال أشهر الصيف، وفي الشتاء كانوا يتزلَّجون على منحدرات جبل هود. كادت تكون حياة جميلة وسعيدة لولا وجود شيلي.

لم تتوقَّف شيلي عن إثارة المشكلات وافتعال الشجار، وكانت ترفض تمامًا المشاركة في أي نشاط لا يروق لها. إذا لم يكن الأمر من بنات أفكارها، سترفضه بصورة قاطعة. وحين يستعصي عليها الحصول على ما تريد، كانت بدهائها وإجادتها للكذب تجد حلاً مناسباً. وكانت أعذارها غامضة وواهية. مثلاً، كانت تمقت أداء واجباتها المدرسية؛ لذا كانت تشكو من أن شقيقها دمراً عملها الشاق. وحين لا تنطلي هذه الحيلة، كانت ترفض ببساطة الذهاب إلى المدرسة.

قالت لارا مسترجعةً الذكريات: "حاولت إيجاد سبل لتسهيل الأمور عليها في الصباح. فكنت أهينُّ ملابسها من الليلة السابقة؛ حتى لا تتأخَّر في اختيارها في آخر لحظة. كما حرصت على وضع حبوب الافطار والفاكهة على المائدة، كل شيء جاهز. فعلت كل شيء لأجعل

الصباح يسير بسلاسة أكبر. لكن ذلك لم يكن مجددًا. أصرت شيلي على عدم فعل ما لا تريده".

كانت شيلي تتوجّه كل صباح بوجه متجهّم ومزاج غاضب إلى المدرسة وتنتهي المعركة الصباحية.

هذا ما ظنّته لارا حينذاك.

"في أحد الأيام وردني اتصال من محطة وقود ستاندرد أويل في الشارع المجاور للمدرسة. قالوا: 'هذا أغرب شيء رأيناه على الإطلاق! هناك فتاة تتردّد على المكان باستمرار وتتّجه إلى الحمام، وتُحضّر معها حقيبة ملابس، ثم تغادر. لقد تركت كومة ملابس هنا. ولكنها تغادر بملابس أخرى، حينئذ على وجه التحديد".

فما كان من لارا إلا أن انطلقت بسيارتها إلى محطة ستاندرد. وصُعقت ممّا وجدته.

لقد تركت شيلي بالفعل كومة ملابس مُخبّأة. "وجدت أربعة أو خمسة من فساتينها وتنانيرها مُخبّأة هناك. ثياب جميلة وجديدة لم ترغب شيلي في ارتدائها عند ذهابها إلى المدرسة".

لم تكن مسألة الملابس سوى جزء بسيط من الخلاف بين شيلي ولارا، رغم جهود لارا الدؤوبة لإعادة ابنة زوجها إلى المسار الصحيح. وحين كبرت شيلي قليلًا، اصطحبتها لارا إلى دروس الرقص، ولكن الفتاة كانت ترفض الدخول إلى الاستوديو معظم الوقت. كما تغيّبت عن العروض الختامية.

"كانت تصنع من الحبة قُبّة. وكانت دائمة التّجهّم والغضب، مهما فعلنا وأينما ذهبنا. حتى التصرفات اللطيفة معها كتقديم الهدايا، كان يثير سخطها. وكنت أسألها: علام الغضب؟ ولم تكن تجيبي.

لكنني فهمت من تصرفاتها أن لا شيء يرضيها حقًا. لا شيء البتة. لا شيء يُسعدّها".

مع مرور الوقت، تحوّل سلوك شيلي من الجحود وإثارة المشكلات إلى سلوكٍ وحشيٍّ وانتقامي. وكانت تُكِنُّ حقدًا لإخوتها بشكل خاص. كل اهتمام موجّه لغيرها اعتبرته استلابًا لحقوقها. وحين لا تجد تعويضًا لهذه الحقوق، كانت تسعى للانتقام. وطغت على أساليب انتقامها القسوة والسادية في كثير من الأحيان. راحت تختلق الأكاذيب وتنشر الافتراءات بين أفراد الأسرة، وتسرق المال. بل وحامت حولها شكوك بشأن إضرارها النار عمدًا في المنزل.

جذبت لارا نفسًا عميقًا، وقالت بينما تتذكّر الوقائع بعد سنوات: "اعتادت أن تكسر قطع الزجاج وتضعها في أحذية ونعال الأطفال. أي شخص سويٌّ يفعل شيئًا كهذا؟".

لم تكن لارا بحاجة للبحث بعيدًا لإيجاد إجابة.

فقد كانت الجدّة أنا، جدة شيلي من ناحية الأب، من طراز هؤلاء الأشخاص أيضًا.

## الفصل الثالث

بمجرد أن ترى لارا حماتها أنا واطسن، كانت تزحف القشعريرة على عمودها الفقري، وتتمنى ألا تحدها والدة ليس بنظرات حادة كعيون القرش. وإذا مرّت أنا بجوارها من دون أن تلتفت إليها، داخل لارا الارتياح، وتتنفّس حينها فحسب الصعداء. هكذا شعرت لارا كلما اضطرّت لمواجهة الرعب المتجسّد في شخصية أنا واطسن.

وُلِدَت أنا واطسن، جدّة شيلي من جهة الأب، في فارجو بولاية داكوتا الشمالية، وانتقلت إلى مقاطعة كلارك في فترة المراهقة. كانت طويلة القامة، ضخمة البنية، بكتفين قويتين كأكتاف لاعبي رمي الجلّة، وأوتار نافرة تمتدّ من رقبتها إلى ياقة بلوزتها الزرقاء البسيطة. تجاوز وزن أنا 110 كيلوجرامًا، وكانت تجرّ قدمها اليسرى أثناء المشي، مُصدرةً صوتًا حادًا ينذر الجميع باقترابها أو ابتعادها. وعلى غرار جسدها الضخم، كانت ثقة أنا بنفسها هائلة. كانت تؤمن بصواب رأيها في كافة الأمور دائمًا، فلم يكن أحدٌ مطلقًا يجروّ على الاعتراض؛

لا ليس ولا زوجته الشابة لارا بالتأكيد. واعتادت أنا إدارة واحدة من دارِي رعاية المُسنِّين التابعتين لعائلة واطسن، وكان لا بُدَّ من إدارة جميع الشؤون وفقًا لما تريد. ووصف من عاصروا أنا واطسن وخبروا أسلوبها أنها كانت تسيطر على الأمور "بقبضة من حديد".

كان چورچ واطسن، زوج أنا، عكس زوجته تمامًا؛ فكان لطيفًا وطيبًا وحلو المعشر. وكانت قامته أقصر من أنا بأربع بوصات، ولم يكن يثني لزوجته طلبًا أو أمرًا. وتذكّر لارا أنه على مدار أكثر من عشرين عامًا، اعتاد چورچ النوم في كوخ ضيق لا يتجاوز طوله وعرضه مترين ونصف خارج الباب الخلفي للمطبخ. لم ينم البتّة في المنزل؛ لإصرار أنا على بقائه في الكوخ.

قبل فترة قصيرة من زواج ليس ولارا، حضّرت امرأتان من مستشفى ولاية واشنطن الغربية، قرب تاكوما، للعمل لدى أنا في إحدى دور الرعاية التي تمتلكها العائلة في باتل جراوند. إحداهما تدعى ماري والأخرى بيرلي، لكن لارا لم تسمع أنا تخاطبهما سوى بـ"المتخلّفتين". وكانت تستعبدهما مثلما تتحكّم سيدة قاسية بخدَم منزلها. ومهما كانت وضاعة المهام، راحتا تقومان بها في دور الرعاية التي كانت تعجُّ بمثل هذه الأعمال.

لم تكن المرأتان في نظر لارا سوى خادمتين لدى أنا، التي اعتادت إجبارهما على العناية بمنزلها وغسل الأطباق وتنظيف الأرضيات. كما كانت تأمرهما بترك أي مهمة تقومان بها لغسل قدميها أو تمشيط شعرها. وإذا تحرّكت إحداهما ببطء، فإنها كانت تلکمها أو تركلها أو تشدُّ شعرها.

عندما ذهبت لارا ذات مرة إلى منزل أنا لاصطحاب شيلي، لاحظت أن ماري كانت غاضبةً بشأن أمر ما. كان شعر بيرلي مبللًا وملفوفًا بمنشفة. فسألت لارا ماري عمّا حدث، فأسرّت لها بأن أنا ثارت غضبًا

وخرجت مُسرِعَةً آخِذَةً شَيْلِي معها. كانت حانقة لدرجة أنها وضعت رأس بيرلي في حوض المرحاض وجذبت السيفون مرارًا. استولت الدهشة على لارا. لم تتوقَّع ذلك قطُّ.

تساءلت لارا: "لماذا تفعل شيئًا كهذا؟".

أجابت ماري: "إنها تفعل ذلك طوال الوقت عندما تغضب".

لاحقًا قالت لارا: "كانتا تشعران دومًا بالخوف من أنا".

الحق أن الجميع كانوا يهابونها.

عدا الصغيرة شيلي على ما يبدو.

شرعت لارا تعمل في مكتب دار رعاية المسنين بعد فترة وجيزة من انتقال أطفال ليس للعيش في باتل جراوند. كانت ترغب في الالتحاق بالجامعة، ولكنها أُرْجِأت حُلْمُهَا بسبب الأمومة المفاجئة. ولما كانت مدرسة شيلي تقع بجوار دار رعاية المسنِّين، فإنها اعتادت الذهاب إلى الجدة آنا بعد المدرسة عِوَضًا عن استقلال الحافلة للعودة إلى المنزل. وكانت لارا تتَّصِلُ هاتفيًا لتتأكد من وجودها هناك، لكن آنا كانت تستشيط غضبًا، مُدَّعِيَةً أن حفيدتها تعاني من الإهمال، ولا بُدَّ أن تبقى معها لتتناول "وجبة مناسبة" أو للاستحمام بشكل صحيح.

"لا داعي لغسل شعرها، يا آنا".

"إنكِ لا تغسلينه بطريقة صحيحة. إنه متَّسخ".

كانت آنا مقتنعة تمامًا بأنها تعرف مصلحة شيلي.

الواقع أنها كانت تعرف مصلحة الجميع.

ابتلعت لارا غضبها ولاذت بالصمت، وهي مهارة أتقنتها مع مرور الوقت.

في وقت آخر، عندما جاءت لارا لاستلام شيلي، فوجئت بأن شعرها الأحمر الجميل مقصوص بالكامل. وقفت الجدة بجوار حفيدتها ويديها مقصّ وابتسامة خبيثة ترتسم على شفتيها.

تساءلت لارا في ذهول: "ماذا حدث؟".

ردّت الجدة أنا بحدّة: "لا يمكنك تمشيط شعرها بطريقة صحيحة؛ لذا قصصته!".

كانت قصّة شعرٍ قاسية وعشوائية وبشعة. وبدت شيلي محبطة.

أدركت لارا أن شيلي ستُحمّلها مسؤولية ما فعلته جدّتها، فقالت بإصرارٍ بينما تنظر إلى شيلي: "شعرها كثيف للغاية. إنني أمشطه كل يوم". كانت شيلي تصرخ كلما مسّت الفرشاة شعرها.

تجاهلتها الجدة أنا وأولتها ظهرها، بينما جرّت ساقها المعطوبة على الأرضية الخشبية المصقولة.

لقد حقّقت مبتغاها.

إتعاس الآخرين كان مصدر إسعادها.

أدركت لارا حينذاك أن شيلي والجدة أنا ريفقتان لا تفتقران. صحيح أن شيلي وقّعت أحياناً ضحية لبعض أفعال جدّتها، لكنها لعبت دور تلميذتها النجيبة. كانت شيلي، حفيدة أنا المدلّلة، تلازم جدّتها كظّلها وتقلّد سلوكها، وتراقب بانتباهٍ كل أفعالها.

مع مرور الوقت، ستكشف شيلي مدى براعتها في استيعاب الدروس التي تلقّتها من جدتها.

## الفصل الرابع

جاءت أول ضربة حقيقية من شيلى في سنّ الخامسة عشرة تقريبًا. كانت ضربة مباغتة؛ نوعًا من التكتيك الذي يعرف المشاغبون أنه أكثر الوسائل فعالية لإلحاق أكبر قدر من الضرر.

لم تظهر بعد انتهاء اليوم الدراسي في أحد أيام شهر مارس 1969. ورغم أنها كانت تتأخّر في السابق، فإن الأمر بدا مختلفًا قليلًا هذه المرة. لقد تأخّرت أكثر من المعتاد. حدّقت لارا بالساعة في مطبخها النظيف، وشرعت تنقر بأطراف أصابعها على سطح الطاولة.

أين أنتِ، يا شيلى؟

ماذا تفعلين؟

برفقة من؟

تصاعد قلق لارا، فاتصلت أخيرًا بمكتب مدير المدرسة، وما عرفتَه أصابها بالذهول التام. لم تُعد شيلى إلى المنزل لأنها نُقِلت إلى إصلاحية

الأحداث في فانكوفر. أخبرت شيلي، التي كانت على أعتاب عيد ميلادها الخامس عشر، الأخصائية الاجتماعية أن ثمة مشكلة تحدث في المنزل ولم تُعد تستطيع تحمّلها.

ألحّت لارا على موظفة المدرسة لإخبارها بتفاصيل إضافية: "ماذا تقصدين؟ يجب أن تُطلعينني على حقيقة الأمر".

قالت المرأة على الطرف الآخر من الخط: "لا يمكنني كشف المزيد حقًا". وأثارت لهجتها الباردة قلق لارا أكثر.

أنهت المكالمة واتّصلت فوراً بزوجها ليس في دار الرعاية وطلبت منه العودة إلى المنزل. قالت بنبرة حازمة: "تعال الآن فوراً. ثمة خطب وقع لشيلي".

بعد مكالمة أخرى منفصلة إلى الإصلاحية، انطلق الزوجان عصر ذلك اليوم لاستكشاف حقيقة ما حدث بالضبط في المدرسة.

"لم يخبرنا أحدٌ بشيء البتّة"، قالت لارا لاحقاً بينما تتأمّل صور شيلي في الطفولة والمراهقة. كان جمال شيلي واضحاً للعيان. الشّعر الأحمر يحيط بوجهه يتوسّطه أنف مليء بالنمش، وعينان زرقاوان تحفّ بهما رموش كثيفة تشبه أهداب شقائق النعمان. ولكن لارا رأت جمال شيلي أشبه بجمال نبات ستّ الحُسن؛ يبدو مغريباً، لكنه في الحقيقة سامّ.

مظهرها يبدو بريئاً ولطيفاً. ولكنه مجرد قناع.

أصيبت لارا بحالة من الهلع.

"اتّصلتُ حتى بالمدير في منزله، لكنه لم يفصح عن شيء أيضاً. حسبت أن شيلي سرقت شيئاً لأنها كانت تسرق أغراضى وتأخذ المال من محفظتي. فظننت أنها ربما سرّقت محفظة فتاة أو شيء من هذا القبيل. لم يكن لديّ أدنى فكرة عمّا فعلته هذه المرة".

كان الأمر مُحبطاً. ومؤملاً. لا بُدّ أنها اقترفت جرماً جسيماً.

ما أن وصل الزوجان إلى إصلاحية الأحداث في فانكوفر، حتى طلبا رؤية الابنة على الفور. غير أن مدير المؤسسة رفض طلبهما. قال: "إنها تخضع للتحقيق الآن".

سأل ليس: "أي تحقيق؟".

أجاب الرجل متجهماً: "شيلي تتهمك باغتصابها".

اتسعت عينا ليس حتى كادت تخرجان من محجريهما. واصطبغ وجهه بحمرة الغضب. وعلى الفور شرع يردُّ.

صاح: "يا إلهي! ما الذي تقصده شيلي بهذا الادعاء؟".

شعرت لارا بالغثيان. كان الاتهام أقذر افتراء سمعته في حياتها. صحيح أن شيلي معروفة بالكذب، لكن هذا الاتهام تجاوز كل الحدود. حتى بالنسبة لها. قد يوجّه الناس كثيراً من الاتهامات لزوجها، ولكن تهمة "الاغتصاب" لم تكن من بينها.

تكلّمت لارا أخيراً، بينما مدّت يدها لتهدئة زوجها: "ربما لا تعرف معنى الكلمة".

قال ليس بإصرار: "يجب أن نراها الآن".

ردّ المدير بحدة: "مستحيل. إننا نحقق في جريمة".

رفع ليس يديه في الهواء. "حسنًا. سنتصل بطبيبنا. سنطلب أن يفحصها. الآن".

أمر طبيب الأسرة بول تيرنر بنقل شيلي إلى مستشفى سانت جوزيف في فانكوفر، وعاد الزوجان إلى باتل جراوند.

في تلك الليلة، دلفت لارا إلى غرفة ابنة زوجها. لم تكن تعرف عمًا تبحث. ربما إجابة عن الأسئلة التي راحت تعصف برأسها. أو الحقيقة. أو أي شيء يفسر ما حدث. كالعادة، كانت غرفة شيلي فوضويّة، وقد

تَنَاءَرَتِ الملبس والأطباق المتسخة في كل مكان. كما كانت هناك أوراق مبعثرة أيضاً. كتابات عشوائية في مفكرات. كانت شيلى تتوهم أنها شاعرة وتكتب دائماً. ولكن لارا لم تعثر على شيء يقدم أي تفسير أثناء بحثها في تلك الفوضى. بعد بُرْهة، شرعت تتفحص محيط السرير بحثاً عن شيء قد يساعدها على الكشف عن الحقيقة. وعندما انحنى إلى أسفل، ومدت يدها بين المرتبة وإطار السرير، لمست أصابعها أطراف مجلة فسحبتها للخارج.

شهقت لارا.

كانت نسخة بالية من مجلة "اعترافات حقيقية".

وعلى الغلاف كُتبت بأحرف سميكة: "أبي أعتدى عليّ جنسياً في سنّ الخامسة عشرة!".

شعرت لارا بارتفاع ضغط دمها؛ لم تتصوّر أن تُوجّه شيلى الاتهام ذاته، الذي يُطابق تماماً عنوان المجلة.

قالت وهي تعرض اكتشافها على ليس: "تأمل هذا".

هزّ ليس رأسه في اشمئزاز واستنكار. لقد صدمه الاتهام، ولكنه أقلقه أكثر تصرّف ابنته.

تساءل: "ما خطبها؟".

لم تكن لارا تعرف. لم يسبق لها أن سمعت أن شخصاً يُلْفَق قصةٌ مُدمّرة كهذه. كان تصرّفًا غير منطقي.

في صباح اليوم التالي، حين وصل الدكتور تيرنر إلى المستشفى لإجراء الفحص، أشهرت لارا المجلة أمام وجهه.

قالت لارا: "لقد لَفَّقَت القصة".

رأى الزوجان أن المجلة تُعدُّ دليلاً على أن شيئاً لم يحدث، وأن القصة الفاضحة كانت من اختراع شيلى. بيّد أن تلك القصة لم تكن سوى حلقة أخرى في المسلسل الدرامي الذي صنّعه شيلى بسلوكها المدمّر والشائن. كان ليس ولارا قد ضاقت ذرعاً بتصرفاتها. كان عليهما التفكير في أطفالهما الآخرين، وكذلك مستقبل ليس المهني؛ إذ كان رئيس الغرفة التجارية. وإذا تسرّب حرفٌ واحد عن كذبة شيلى، فإن الفضيحة ستدمره.

قال ليس بينما ينتظر مع زوجته خارج غرفة المستشفى التي تخضع فيها شيلى للفحص: "هذا وضع صعب حقاً، يا لارا".

أطلقت لارا تنهيدة وقالت: "هذا هو طبع شيلى".

بعد هنيهة، خرج الدكتور تيرنر بنتائج الفحص.

قال: "هذه الفتاة سليمة تماماً. لا توجد كدمات. لا شيء. لم يلمسها أحدٌ حتى الآن".

لاحقاً في تلك الليلة، تمّت الموافقة على خروج شيلى بشرط واحد.

قالت لارا إن مدير الإصلاحية أخبرهما: "ابنتكما بحاجة إلى استشارة نفسية ضرورية. إنها بحاجة إلى طبيب نفسي".

\*\*\*

للأسف، لم تُحقّق جلسات العلاج الأسري والجلسات الخاصة مع الطبيب النفسي النجاح المأمول. رفضت شيلى مجرد التفكير في إمكانية وجود مشكلات لديها تحتاج إلى علاج. وحتى بعد مواجهتها بالحقيقة، أصرت على عدم تحمّلها أي مسؤولية. لا ذنب لها في أي شيء. وأدرك الزوجان حقيقةً لم يفهمها سوى قلةٍ قليلة في أواخر الستينيات والسبعينيات؛ من المستحيل مساعدة شخص مضطرب يعتقد أنه

لا يحتاج إلى مساعدة. في الواقع، لم تعترف شيلى أبدًا بتلفيق قصة اغتصابها. ويبدو أنها لم تدرك حتى تأثير أفعالها على والدها.

عَوَّضًا عن الندم، بدت شيلى سعيدةً بإحداث فوزى عارمة في عائلتها، والحصول على الاهتمام الذي تتوق إليه.

رغبت شيلى في العودة إلى مدرسة باتل جراوند الثانوية، لكن الإدارة رفضت استقبالها.

قال المدير، بينما جلست شيلى بلا مبالاة في مكتبه، وأخذ ليس لارا يراقبان الوضع: "لقد دمَّرتِ الفرصة بتصرُّفاتِكِ. لا نرحِّب بوجودك في المدرسة بعد الآن. لا نريد أي مشكلات أخرى".

عند سماع تلك الكلمات، شعر الزوجان باليأس، فعمر شيلى لم يكن يتجاوز الخامسة عشرة، ولا بُدَّ أن تلتحق بالمدرسة. وعلى الفور حاولت لارا تسجيلها في مدرسة آني رايت، وهي مدرسة داخلية راقية باهظة التكاليف في تاكوما، لكن المحاولة لم تنجح أيضًا.

قالت لارا متذكرةً لاحقًا: "لقد تحرَّروا عنها. ورفضوها رفضًا قاطعًا".

برغم دخل آل واطسن الوفير، فإنهم كانوا على استعداد لبذل الغالي والنفيس لإبعاد شيلى عن باتل جراوند وإلحاقها بأي مدرسة أيًا كانت. في النهاية، وجدوا مكانًا لشيلى في هودسبورت، واشنطن، حيث عاشت مع والدي لارا، اللذين سرعان ما تعلَّما التعامل معها بحذرٍ شديد. لم يجرؤ أحدٌ على استفزاز شيلى. ولم يكن هناك أي سبيل لمعرفة خطوتها التالية. كانت متقلِّبة المزاج، ويصعب التكهُّن بأفعالها. وكانت لديها نزعة للشَّر تختفي أحيانًا وراء تظاهرها بالاهتمام بشخصٍ أو شيء. على سبيل المثال، كانت تتطوَّع لمساعدة والده لارا في غسل الأطباق، ولكنها تنتهي برمي الأواني والأطباق غير المغسولة، وحتى القدور والمقالي في سلَّة المهملات. وعندما تكون في

مزاج أفضل، كانت تكتفي بمسح الأطباق "لتصبح نظيفة" بقطعة قماش بدلاً من غسلها.

أبدت شيلى رغبتها في رعاية أطفال الجيران لأنها تحب الأطفال، حسبما زعمت. بل وادّعت أنها تحب رعاية الأطفال كثيراً، حتى إنها تطوّعت لمجالستهم مجاناً. كانت تستمتع بأن يراها الناس فتاةً عطوفة وحنونة. لكن هذا الدور لم يدُم طويلاً. فحين كان يعود الآباء إلى المنزل بعد قضاء ليلة في الخارج، كانوا يجدون الأطفال في أسرّتهم من دون تغيير ملابسهم، ويخبرهم الأبناء بأن شيلى حبستهم في غرفهم ووضعت قطع الأثاث الثقيل على الأبواب.

ورغم أنه لم يمضِ على وجودها مع جدّتها سوى أسابيع قليلة، فإنها سرعان ما تمرّدت عليهما.

قالت لارا، بينما تستعيد ذكرى تلك الأحداث بعد سنوات عديدة من عودة شيلى إلى باتل جراوند: "لم يواجه والداي مشكلة أبداً مع جميع أحفادهما. وعرفت لاحقاً أنهما شعرا بسعادة غامرة حين انتهى العام الدراسي ليتمكّنا أخيراً من إرسال شيلى إلى المنزل". ويبدو أن شيلى اتّهمت والد لارا بالتحرّش أيضاً. "علمتُ أن شيلى أخبرت الجيران أن جدّها يتحرش بها. فاتصلوا بأمي على الفور". وأردفت لارا معلّقةً على هذا التصرف الذي وجدته محيراً للغاية: "لا أفهم رغبتها العارمة في تدمير حياة الناس".

# مكتبة

t.me/soramnqraa



## الفصل الخامس

كانت لارا واطسن ينتابها القلق أحياناً عند سماع رنين الهاتف المزعج؛ خشية تلقيها مكالمة أخرى تتعلّق بخطأ اقترفته شيلى، أو بتحدّ جديد يختبر قدرتها على حلّ المشكلات. كانت لارا امرأة قوية، بارعة في التعامل مع الناس. كما كانت تتمتع بروحٍ مَرحة. ولكن حتى مع غياب شيلى عن المنزل، عانى زواج آل واطسن من ضغوط هائلة. بلا شك، تطلّبت الأعمال التجارية جهداً واهتماماً دائمين، وكان ليس على قدر المسؤولية طوال الوقت. وربما كان مجاله الذي برع فيه حقاً. أما لارا فقد ابتلعتها دوامة تربية خمسة أطفال، اثنين أنجبتهما من ليس والثلاثة أبناء زوجته السابقة، شارون. واصل الأبناء الأكبر سنّاً إثارة الشغب في المنزل، رغم أن تصرفاتهم لم ترق إلى مستوى أفعال شيلى. كان تشاك أغلب الأوقات هادئاً وخجولاً. وقد اعتادت لارا أن تُجلّسه في حجرها بينما تقرأ له، وتستمع إليه وهو يحاول القراءة لها. وكلما حاول التحدث، أسرعت شيلى للردّ نيابة

عنه. كانت المدرسة صعبة بالنسبة له أيضًا. أما بول، فكان يكذب باستمرار، تمامًا مثل شقيقته الكبرى. وفي حين كانت شيلي تسيطر على بول، أخذ بول، بدوره، يقلدها محاولاً السيطرة على تشاك؛ وكان جميع الأطفال قد تحالفوا في عصابة، وكانت شيلي هي رئيستها بلا منازع.

ملكة النحل.

التي تعرف دائماً مصلحة الجميع.

تماماً مثل الجدة أنا.

برعت شيلي دومًا في إحداث الفوضى والاضطراب. وكان من المؤكد أن عودتها إلى المنزل بعد طردها من باتل جراوند لن يأتي بخير. أمضت لارا نصف ذلك الصيف تُجري المكالمات الهاتفية محاولةً العثور على مدرسة تقبل شيلي في الخريف. لكن كل مدرسة اتّصلت بها رفضت الطلب. وكادت لارا أن تفقد الأمل لولا حصولها -أخيرًا- على موافقة من مدرسة سانت ماري أوف ذا فال، في بيفرتن، أوريغن، التي تبعد أربعين دقيقة تقريبًا جنوب باتل جراوند. صحيح أنها ليست بعيدة كما تمّنت لارا، لكنها كانت الخيار الأفضل في قائمة محدودة للغاية.

فيما بعد، اعترفت لارا أنها أخفت -بسبب قنوطها- بعض الصعوبات التي كانت ستواجه شيلي في المدرسة الداخلية. كما تراءى لها أن الراهبات الصارمات سيكشفن بسهولةٍ لأعيب شيلي ويضعن حدًا لها.

بعد بضعة أسابيع، اتّصلت الراهبات بآل واطسن وطلبن قدومهما لاصطحاب شيلي معهما في عطلة نهاية الأسبوع.

"كنا نذهب لاصطحابها في مساء الجُمع ونأخذها معنا إلى كوخنا الجبلي للتزلج. حاولتُ فعل ذلك دائمًا في العطلات الأسبوعية، رغم

صعوبة الأمر. كنت أتحمّل الأمر بصبر كل أسبوع. كان الهدوء يعمُّ المنزل في غيابها. حتى الأولاد، الذين عانوا من مشكلات كبيرة، كانوا في حال أفضل".

كانوا كلُّما قَدَّموا المزيد لشيلي، زادت مطالبها. وإذا لم تحصل على ما تريد، فإنها كانت تثير المتاعب.

قالت لارا: "لم ترغب الراهبات في استقبالها في العام التالي. أخبرنني أنها تعاني من مشكلات سلوكية".

كانت المشكلات مألوفة.

أشارت الراهبات إلى إن شيلي اعتادت الاستيقاظ في منتصف الليل صارخة. وقد سرقت فَرَضًا دراسيًّا خاصًّا بإحدى الفتيات ومزقته. كما ضبطنها تسرق أغراض الفتيات الأخريات. بل إنها عادت مُجددًا إلى تكتيكها القديم المفضَّل، إذ وَضَعَت الزجاج المكسور في حذاء إحدى زميلاتهما.

قرب نهاية العام الدراسي، أبلغت مديرة المدرسة الزوجين بعدم تجديد قيد شيلي للعام المقبل.

قالت لارا: "كُنَّا مستعدين لدفع أي مبلغ مالي مقابل إبقائها هناك. ولكن موقف الراهبات لم يتزحزح".

في الصيف، انتهجت شيلي سياسة تدمير كل شيء في حياتها في باتل جراوند. كانت لا تفتأ تُكرِّر على مسمعي لارا أنها تمقَّتْها وتتمنى لها الموت. ولم تتردّد لارا، التي سنّمت أسلوب ضبط النفس، في إخبار شيلي عدّة مرّات بأنها ليست الأفضل أيضًا.

سألتها: "ما خطبك؟ لماذا لا تبدين سعيدة أو ممتنة لأي شيء؟".

كان هذا صحيحًا. ولم تكن لارا بحاجة للبحث بعيدًا، فزوجها السبب. فقد كان يلبي كافة رغبات شيلى. ورغم كل ما فعلته به، بما في ذلك تشويه سمعته، اعتاد ليس معاملة شيلى كأمريرة مدللة. ولكن حتى الأميرة شيلى لم تستطع البقاء في باتل جراوند.

\*\*\*

كانت كاتي، شقيقة ليس واطسن، الشخص التالي الذي قدّم -بحُسن نيّة- يدَ العون للعائلة. برعت شيلى في إثارة شفقة الآخرين وإقناعهم بالانحياز لها ضد بقية العالم. لقد قُتلت أمها، وتحرّش أبوها بها، وعاملتها زوجة والدها بقسوة. وعرضت كاتي استضافة شيلى خلال فترة الصيف بعد شكواها من مدى سوء معاملة والديها، لا سيّما لارا. سمعت لارا -عَرَضًا- بعض محادثاتهما. لم تكن شيلى تخفي مشاعرها أبدًا. اعتادت التحدث بصوت عالٍ على مسمع من الجميع. قالت لارا متذكّرةً: "كانت تتحدث على الهاتف مع كاتي عن مدى سوء معاملتي وإساءتي لها وتصرفاتي القاسية معها. زعمت أنني كنت أحرّمها من كل شيء ولا أشتري لها شيئًا، وأني أنعتها بأوصاف مهينة". حققت خطة شيلى لجذب تعاطف كاتي النتيجة المرجوة.

كان آل واطسن يمتلكون شاحنة صغيرة ومقطورة تخييم، وكانوا قد خطّطوا للذهاب إلى ديزني لاند في ذلك الصيف. حزم أفراد العائلة حقائبهم، ووضعوا شيلى على متن طائرة، وقضوا وقتًا رائعًا من دونها. بعد بضعة أسابيع، اتّصلت كاتي وقالت إن شيلى قد أخبرتها بكل شيء، وأنها اعتزمت هي وزوجها فرانك على بقاء "الفتاة المسكينة" معهما للعام الدراسي في منزلهما على الساحل الشرقي، حيث كان فرانك يعمل مهندسًا للتعيين ورئيسًا لشركة الفحم.

لم تصدّق لارا حظّها السعيد. ورغم إدراكها أن شيلي بالتأكيد كذبت بكل وقاحة عن أحوال معيشتها في باتل جراوند، فإن ذلك لم يزعجها مطلقاً.

فكرت حينها: حمداً لله! لقد استجبت دعواتي!

تبين لاحقاً أن الساحل الشرقي كان المحطة الأخيرة في جولة شيلي في التعليم الثانوي، والتي تخلّلتها التّنقّل بين المدارس والأقارب.

قالت لارا عن العامّين اللّذين أثقلت فيهما شيلي كاهل أقاربها: "كان الأمر مروّعاً". وبحسب لارا، "تفاقمت المشكلات بين كاتي وفرانك، والتي تسببت فيها شيلي، حتى انتهت بهما الحال بالطلاق".

لم تعبأ شيلي البتّة بتلك المشكلات. كانت تمضي قُدماً في حياتها. ورغم أنها لم تتجاوز الثامنة عشرة بعد، فإنها كانت قد التقت بزوجها المستقبلي بالفعل.



## الفصل السادس

يمرُّ كل شاب بتلك اللحظة الفارقة حين يلتقي بالفتاة المنشودة. الفتاة التي تأسر قلبه وتترك أثراً عميقاً فيه. وقعت عينا راندي ريشاردو على شيلي واطسن للمرة الأولى في صيف عام 1971، حين كانت في السابعة عشرة من عمرها. اتَّفَق الجميع على أن تلك الفتاة الجديدة كانت فاتنة الجمال. جذَّبت شيلي انتباه عديد من شبَّان البلدة أثناء إقامتها مع عمَّتها وزوجها في موريسقل، بنسلفانيا، ودراستها في مدرسة فرانكلين الثانوية. شرع راندي وشيلي يتواعدان، واستمرَّت علاقتهما العاطفية خلال السنة الأخيرة لشيلي في المدرسة الثانوية. شكَّل الاثنان ثنائياً لافتاً؛ شيلي بشعرها الأحمر وبشرتها النقية، وراندي بعينه الداكنتين وشعره الأسود الذي يعكس أصوله الإيطالية. لكن لم تكن علاقتهما سوى حبِّ مُراهقة، مصيرها أن تكون مجرد مغامرة عابرة وذكرى سعيدة. وبعد التَّخرُّج في عام 1972 سار كلُّ منهما في طريقه الخاص، فمكث راندي في بنسلفانيا لكسب المال

لدفع رسوم الدراسة الجامعية، بينما عادت شيلي في نهاية المطاف إلى واشنطن، حيث عملت مُساعِدةً تمريض في دار رعاية المسنّين التي يملكها والدها.

في وقت لاحق من ذلك الصيف، اتّصلت حبيبة راندي القديمة لتخبره بمدى افتقادها واشتياقها له. وحمل الاتصال أيضًا فرصة عمل مناسبة؛ إذ رغب والد شيلي في عرض وظيفة على راندي.

سألته: "هل تودُّ القدوم إلى باتل جراوند؟ سيوظّفك والدي كفتيّ صيانة".

لم يكن راندي متأكدًا. صحيح أن العرض كان مغريًا، ولكنه كان مفاجئًا تمامًا.

حاولت شيلي تحسين العرض أكثر.

قالت: "سيوفّر والدي لك شقة لا تتطلّب دفع الإيجار؛ وبهذا يمكنك ادّخار المال بشكل أسرع من أجل الجامعة".

أثارت الفكرة اهتمامه. صحيح أن الراتب كان زهيدًا، إذ لم يتجاوز الخمسة دولارات في الساعة الواحدة، ولكن راندي حسم أمره بعد معرفة تكلفة الرسوم الدراسية في جامعة كلارك في فانكوفر. وقاد سيارته إلى باتل جراوند، ثم وجد نفسه مباشرة بين ذراعي شيلي المرحبتين.

ذراعان مفتوحتان كنبته فينوس صائدة الذباب، تنتظر وقوع الفريسة في الشَّرْك.

لم تمضِ فترة طويلة بعد وصوله حتى تبين له أن لعائلة واطسن مخططات أكبر من مجرد توظيفه فتيّ صيانة. لقد كانوا يبحثون عن زوج لشيلي. والحقيقة أنه بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى باتل جراوند، كانت خطط الزفاف قيد التنفيذ. وسرعان ما وقع

في شباكهم. وأخبرت شيلي الجميع عن حبها الجارف لراندي. بينما راح ليس يعامله معاملة الابن الغائب منذ زمن طويل. كما أبدى استعداداه لتوفير كافة احتياجات راندي، بل كان أحيانًا يتجاوز كل التوقعات.

ورغم ذلك، داخَلَ راندي الارتياح؛ إذ بدا والد شيلي مُفْرِطَ الحماس لتزويج ابنته بسرعة.

قال راندي: "لقد عَجَلُوا بالأمر كثيرًا، حتى إنَّ ليس اختار الإشبين لأنني لم أكن أمتلك أصدقاء أو أقارب في المنطقة. سارت الأمور بسرعة جدًّا". لم يكن راندي شخصًا يستسلم للأمر الواقع، لكنه أطبق فمه. "جلست وتفرَّجتُ على كل شيء يحدث".

لم يحضر أقارب راندي أو أصدقاؤه حفل الزفاف.

فيما بعد، اكتشف أحدُ أفراد العائلة السبب؛ لم تَقم شيلي بإرسال الدعوات إليهم.

\*\*\*

تزوَّج شيلي وراندي، وكلاهما في التاسعة عشرة من العمر، في فبراير 1973 في الكنيسة الميثودية في فانكوفر. ارتدت شيلي فستانًا أبيض طويلًا بياقة عالية، محاكيةً إطلالة الممثلة أوليفيا هاسي في فيلم "روميو وچوليت" عام 1968. وارتدى العريس بذلة سهرة وردية اختارتها شيلي خصيصًا لهذه المناسبة. وتبع ذلك حفل استقبال أُقيم في قاعة سُميت جروف التاريخية في مدينة ريدجفيلد القريبة. واتفق الجميع على أن حفل الزفاف كان رائعًا، وأنه حقَّق حلمًا لطالما راود شيلي طيلة حياتها. كان الزوجان شابين ولكنهما مغرمان ببعضهما بعضًا، أو هكذا حُيِّل لراندي.

قضى الزوجان شهر العسل في مقصورة آل واطسن في منطقة "جفرمنت كامب"، أوريجن، وهو مكان كانت شيلي تكرهه في فترة المراهقة. وما لبثا أن استقرًا في مقطورة يبلغ طولها أربعين قدمًا تملكها العائلة من دون دفع الإيجار. تدمرت شيلي من تديني حالة المقطورة، لكن لارا أوضحت أنها مجرد البداية لحياتها مع راندي. لم يكن دخلهما يسمح بشراء منزل على أي حال.

رددت شيلي مرارًا: "لكنني لا أريد العيش في هذه المقطورة!".

بعد الزفاف بفترة وجيزة، أخذت شيلي تشكو من آلام شديدة في دورتها الشهرية، وتغيّبت عن العمل في دار المسنين. واستمرت "متاعبها"، كما كانت تسمّيها، طيلة الشهر بشكل متواصل. كانت تذهب إلى العمل، ثم تغادر، ثم تعيد الكرّة. وفي النهاية، اتّخذ ليس واطسن قرارًا صعبًا، واضطرّ إلى فصل ابنته من العمل.

قال راندي لاحقًا متحدثًا عن زوجته الشابة: "لم تكن الجديّة والمصدقية من نقاط قوتها أبدًا".

بعد ذلك، عملت شيلي في دار رعاية أخرى يملكها أحد أقاربها. ولكن استمرّ نمط تغيّبها المتكرر عن العمل هناك أيضًا وتمّت إقالتها. قال راندي: "كانت حينها تعود مجددًا -ككرة المضرب- إلى دار الرعاية التابعة لوالدها".

بعد فترة من الوقت، أُقيلت شيلي نهائيًا، ولازمت المنزل، ولم تقدّم أي مساعدة تُذكر للأسرة الجديدة. لم تكن تطبخ أو تنظف. كل ما كانت تفعله هو الاستلقاء والاسترخاء وإملاء التعليمات على من حولها. ومع ذلك، لم تتردد أبدًا في إخبار الآخرين بما "تستحقه"، وكيف ينبغي عليهم مساعدتها في الحصول على ما تريد.

كانت تشبه جدّتها أنا إلى حدّ كبير في هذا الشأن.

\*\*\*

خَطَّطْتُ شيلي للحصول على سيارة جديدة، ففَعَلْتُ ما كانت تفعله دائماً؛ توجَّهت رأساً إلى أبيها. لم يشكّل فارقاً أنها كادت تدمر سُمعته، أو أنها اتَّهَمته بالاعتداء عليها أمام السلطات. وكان هذا الاتهام صار في طيِّ النسيان. والحق أن عائلة واطسن كانت تخاف من شيلي وأفعالها. كان من الأسهل عليهم تلبية جميع رغباتها لإبقائها سعيدة وبعيدة عنهم. إذا أرادت شيلي الذهاب إلى السينما أو حفلة موسيقية أو مناسبة خارج المدينة، كانوا يسرعون في تقديم المال لها.

بالطبع، حتى عائلة واطسن لديها حدود لتحمل طلبات شيلي. ورغم نجاح أعمال ليس التجارية، فإنه لم يكن يملك منجماً لا ينضب من الذهب.

مع طلب شيلي سيارة جديدة، أظهرت لوالدها وزوجته مجدداً مدى جبروتها للوصول إلى مرادها.

أصرت شيلي على الحصول على سيارة من طراز فولكس فاغن بيتل.

"هذه هي السيارة التي أريدها، يا بابا! السيارة التي يجب أن أمتلكها!"

رضخ ليس لرغبتها وتوجّه إلى فانكوفر ليتفقد السيارات المتاحة. لكنه لم يعد إلى باتل جراوند بالسيارة المطلوبة، بل عاد بوحدة أفضل في نظره؛ سيارة شبه جديدة من طراز بيوك ذات غطاء قابل للطيّ وبلون وردي فاتح.

عبست شيلي، وأصبح لون بشرتها أغمق بعشر درجات من لون السيارة الجديدة. ضربت الأرض بغضب شديد. وأطلقت صرخة عالية اهتزت لها نوافذ البيت. وصاحت في وجه أبيها قائلةً إنه اشترى لها "سيارة بشعة".

تراجع ليس خطوة للخلف. ورغم أنه كان يعرف طباعها، فإنه لم يتوقَّع البتَّة ردَّ فعلها.

رأى راندي أن السيارة لطيفة، لكنه لم يتمكَّن من تهدئة ثورة زوجته. لم يفلح أحدٌ في تهدئة شيلى.

ما حدث بعد ذلك أصاب الجميع بالذهول.

في تلك الليلة، غرقت شيلى في غيبوبة، على ما يبدو بسبب تناول جرعة زائدة من الحبوب المنومة والمشروبات الكحولية. وعندما لم يستطع راندي إفاقتها، انتابه الدُّعر واتصل بآل واطسن، فهرعوا إلى نقلها إلى مستشفى فانكوفر التذكاري. سيطر القلق على الجميع خوفًا من احتمال وفاتها. وأجرى لها طبيب الطوارئ المناوب غسيل معدة ثم أبلغ العائلة بنتائج فحصه.

قالت لارا متذكِّرة بعد سنوات عديدة: "اكتشفنا أنها تناولت كمية قليلة من الأسبرين. ولم يكن هناك أي حبوب منومة".

\*\*\*

ذات يوم، بعد عودة راندي من دراسته في جامعة كلارك، وجد مقطورتها في حالة فوضى تامَّة ووجه زوجته ملطَّخًا بالدماء.

ركض إليها قائلاً: "ماذا حدث؟".

بكت شيلى وقالت: "اقتحم رجلٌ المقطورة، وهاجمَني، واغتصبني"، وأشارت إلى بعض الجروح على وجهها. ثم استطردت: "سرق بندقيتك وفرَّ هاربًا".

اتصل راندي برئيس شرطة مقاطعة كلارك ووالد زوجته. وسرعان ما وصل كلاهما بشكل مُتزامن تقريبًا. وبقي راندي وليس خارج المقطورة بينما استجوب الضابط شيلى في الداخل.

بعد قليل، خرج الضابط بوجه متجهّم وأخبرهما أن شيلي أحدثت تلك الجروح بنفسها، وأنه لم يكن هناك مُقتَحِم. وحجج ليس وراندي بنظرة غاضبة مضيئاً أنه لن يوجّه أي اتهامات إليها.

بعد مغادرة الضابط، غيَّرت شيلي قصتها مرة أخرى.

قال راندي فيما بعد: "ادَّعَت مجدِّداً أنها تعرَّضت للاغتصاب. وقالت إنها تراجعت عن رواية الاقتحام لأن الضابط ضغط عليها. وأضافت أنها رأت المعتدي يُخفي البندقية في مكان قريب من المنزل." لإثبات قصتها، قادت شيلي زوجها ووالدها إلى مكان البندقية.

قالت لهما: "هنا بالضبط. لقد خبَّأها في هذا المكان".

لم يكن راندي ليصدّق قصة شيلي. كما ظنَّ أن حماه يشاطره الرأي ذاته. أمَّا زوجة والدها فتعرف على وجه اليقين أنها كاذبة.

لم تكن شيلي ترغب في العيش في تلك المقطورة بعد الآن. لم تكن تلائم وضعها. إنها ابنة ليس واطسن، بحقِّ السماء، وتستحق الأفضل!

قالت لارا وهي تشيح بعينيها غيظاً: "قالت إنه من الخطر عليها البقاء هناك. بدلاً من ذلك، أرادت أن تعيش في منزل صغير ولطيف في المدينة".

\*\*\*

كانت طلبات شيلي مُجابة دوماً. وراحت تتصرّف وكأنها تملك باتل جراوند. دأبت على ترك فواتير غير مسدّدة في محطة الوقود ومحلات البقالة، وكانت تصرف شيكات بلا رصيد، واحداً تلو الآخر. وبمرور الوقت تراكمت عليها الديون، فلم يرَ بعض أصحاب المحلات التجارية مفرراً من الضغط على راندي لدفعها. كان يوصيهم بعدم

السماح لشيلي بأخذ قرش واحد بعد الآن، فيَعِدونه. غير أنهم سرعان ما يرضخوا لها في نهاية المطاف.

الآن فهم راندي سبب ترحيب ليس به بسرعة للانضمام إلى العائلة. لم يكن الأمر مجرد تزويج ابنته، بل كان يزيح عن كاهليه عبئًا كبيرًا. عندما أعلنت شيلي نبأ حملها في صيف عام 1974، تنفّس الجميع الصعداء.

ربما ستساعد الأمومة على تحسين سلوكها!

\*\*\*

أعلن والدا راندي عن نيتهما القيام برحلة من بنسلفانيا إلى واشنطن، حاملين معهما هدايا للمولود، بالإضافة إلى المشاعر المفعمة بالحماس والمصاحبة لانتظار طفل جديد ينضم إلى العائلة.

غير أن شيلي أخبرت راندي أنها لا ترغب في حضور عائلته. تجاهل راندي رغبتها. كانوا قادمين ولا مجال للنقاش. حين وصل آل ريفاردو، اعتزمت شيلي البقاء في غرفة نومها. ولم تخرج منها ولو مرة واحدة طوال فترة الزيارة. كان الأمر مُحرجًا، لكن راندي تظاهر باللامبالاة، وقضى وقتًا رائعًا برفقة عائلته من دونها.

هذا التصرف أجج نيران غضبها.

ظهرت التدايعات لاحقًا. اختفت الكتب التي جلبها شقيق راندي الصغير هدية للمولود الجديد. ولم يتمكّن راندي من العثور عليها في أي مكان. وادّعت شيلي أيضًا جهلها بما جرى. بعد البحث في كل مكان، تخليًا عن المحاولة.

بعد مغادرة العائلة، تذوّق راندي حلوى منزلية الصنع أرسلها جدّه هدية. كان جدّه قد صنعها مئات المرات. وما كاد راندي يأخذ

قضمة منها حتى بصقها. كان طعمها مالِحًا. واتَّصل بجده ليخبره بالخطأ في المجموعة الأخيرة. ولم يفهم الرجل العجوز ما حدث، فلم يتذوَّق أيُّ من أفراد العائلة شيئًا سوى نكهة المارشَمِلو.

تبَيَّن أن الصندوق الوحيد الذي وصل تالفًا هو المرسل إلى باتل جراوند.

عندما اكتُشف أن شقيقة راندي قد نسيت بعض ملابسها الجديدة، عرَّضت شيلي إعادة إرسالها بالبريد.

وصل الطرد في حالة ممتازة. أما محتوياته، فلم تكن كذلك على الإطلاق. قام أحدهم بقصّ الملابس وتمزيقها.

ادَّعت شيلي جهلها التام بما حدث، وقالت: "لا بُدَّ أن أحد العاملين في مكتب البريد قد فعل ذلك".



**الجزء الثاني**

**الشقيقتان  
نيكي وسامي**



## الفصل السابع

على وقع أغنيَّتِي "الحب سيبقينا معًا" لكابتن وتينيل، و"چيف يتحدث" لفرقة بي چيز، اللتين تعاقبتا باستمرار على مشغَل كاسيت شيلي ريفاردو، جاءت ابنتها نيكي إلى الدنيا في فبراير عام 1975. ولم يكن وصولها قبل أوانه على الإطلاق. فقد ظَلَّت شيلي تشكو من حملها لأسابيع، وكانت متأكّدةً من أنه سيُفسد قوامها.

وبصورة طبق الأصل من أمها، سواء في الملامح أو اللون، لم تكن هناك طفلة أجمل من نيكي. الجميع أقرُّوا بذلك، حتى شيلي رأت ابنتها امتدادًا رائعًا لها. وأخبرت الجميع مدى حماسها للأمومة، والأحلام الكبيرة التي تتمنّاها لطفلتها. وارتاب مَنْ يعرفون شيلي في جدِّيّة كلامها، لكنهم راحوا يأملون أن إنجابها للطفلة سيصرف اهتمامها عن نفسها.

عوضًا عن اصطحاب مولودتها الجديدة إلى باتل جراوند، ارتأت شيلي أن من الأفضل أن تكبر نيكي في منزل عائلتها الكبير على طراز

تيودور في فانكوفر. ولم تستطع لارا تحديد ما إذا كانت شيلي غير مبالية أو مهتمة بشأن رعاية الطفلة. وباستثناء التجربة الفاشلة في رعاية أطفال جيران جدّتها في هودسبورت، لم تكن شيلي تملك أي خبرة في التعامل مع الأطفال.

قالت لارا لاحقًا: "لا أظن أنها حملت رضيعًا طوال حياتها".

كانت لارا على النقيض تمامًا. فقد كانت أمًا بالفطرة، وأسعدها للغاية أن تصبح جدّة. وحين شعرت لأول مرة بركلة نيكي داخل بطن شيلي، أطلقت لارا عليها "ثمّبر"، والمستوحى من اسم الأرنب في فيلم بامبي، وأحبّت الطفلة منذ تلك الركلة الصغيرة.

لكن ما حسّبته لارا مجرد زيارة لعدّة أيام تحوّل إلى إقامة امتدّت لثلاثة أشهر، قبل أن يضع راندي أخيرًا حدًا للأمر، ويعود الثلاثة إلى باتل جراوند.

كانت لارا تقود سيارتها كل يوم لرؤية الطفلة.

اعترفت لارا لاحقًا: "لم أكن أثق بشيلي".

لم يكن راندي يثق بها أيضًا. وتصاعدت الخلافات بين الزوجين. كانت زوجته تمنعه من دخول المنزل ليلاً. ومهما جلب راندي من المال، راحت شيلي تنفقه ببذخ من دون أي اعتبار لاحتياجات الأسرة. أخبر راندي لارا بأمرٍ ظلّ ملتصقًا بذهنها لعقود:

"شيلي لا تُبدي لطفًا نحوي إلا في وجود الآخرين".

شرع راندي يبيت في سيارته، وتحوّل ذلك إلى أمرٍ روتيني. لم تكن شيلي تريد سوى راتبه، وأصرّت على تسليمه لها أيام الجُمع. لم تكن قيمة الشيكات كبيرة بأي حالٍ من الأحوال. ورغم وجود وظيفة جيدة وعدم دفع الإيجار، كانت الأوضاع المالية صعبة للغاية. لقد

اعتادت شيلى على مستوى معيشة أعلى. واشتكت لوالدها، فتدخل ليس واطسن وأمر بصرف راتب راندي مباشرة إلى شيلى.  
"لذلك حرصت على العودة إلى المنزل"، كما قال راندي لاحقاً.

وسرعان ما أعلن راندي عجزه عن تحمّل الوضع. وبغضّ النظر عن حبه الكبير لنيكي، لم يستطع تجاهل أن زواجه المبني على أسس هشة، بات ينهار الآن.

لم تلم لارا راندي على ترك عائلته وترك شيلى. وكذلك لم يفعل أحد. باستثناء شيلى.

ترك واشنطن -وشيلى- بأسرع ما استطاع بعد أن وفّر له والداه ثمن تذكرة السفر. "كنت بحاجة إلى بداية جديدة"، كما صرّح لاحقاً. وما كاد يمضي أسبوعان، حتى اتّصلت به شيلى في منزل والديه، مُعربةً عن رغبتها الجادة في إنقاذ زواجهما. ورغم تردّده، وافق راندي على السماح لشيلى ونيكي بالإقامة معه ومع عائلته، فقد اشتاق لابنته، وكان حبه لها يفوق أيّ مشاعر يُكنّها لشيلى.

لم يُكتب النجاح لهذا اللقاء، إذ سرعان ما انهار بعد أسبوعين فحسب.

"حتى جدّاي شعرا بالصدمة جرّاء سلوكها. لقد أثارت ضجة كبيرة هناك لدرجة أنه لم يكن أمامي من حلّ سوى طلب الطلاق".

ردّت شيلى فوراً بشراء كل شيء تقع عيناها عليه، وأثقلت كاهل راندي بفواتير متراكمة باستمرار؛ ما أدّى إلى غرقه أكثر فأكثر في الديون. لكنها لم تعبأ البتّة. وأرسل لها راندي شيك استرداد ضريبة الدخل الذي يحتاج إلى توقيع إضافي للتصديق. وأخبرها أن هذه الأموال ستساعده على تسوية ديونه مع المحصّلين الذين يلاحقونه بلا هوادة.

لم يحالف راندي الحظ. فقد خائته شيلى، وجعلت رجلاً آخر يزور  
توقيعه.

وصرفت شيك الاسترداد الحكومي واحتفظت بالمال لنفسها.

ثم اختفت شيلى فجأة عن الأنظار. وحاولت لارا الاتصال بها على  
كل رقم لديها؛ أصدقاء، أقارب، أي شخص يعرفها. كانت قلقة على  
الطفلة.

قالت لارا: "لم أتوقف عن الاتصال بشيلى، لكنها لم تُجِب. كنت  
أحاول الوصول إليها بجنون. وحاولتُ رؤيتها، لكنها لم تكن موجودة  
في المنزل، أو لم ترد على الهاتف. توقفت عن أداء دور الأم. وعملت  
نادلة في حانة بشارع ماين في فانكوفر، وبدا أن هذا يكفيها".

استمر هذا الحال لفترة من الوقت. وذات يوم، أبلغت إحدى  
الأقارب في باتل جراوند لارا أن من الأفضل أن تأتي وتأخذ نيكي، التي  
كانت تتولى أمر رعايتها.

"لقد رحلت شيلى".

سألت لارا: "إلى أين؟".

"لا أعرف".

"متى ستعود؟".

"لا أعرف أيضاً".

\*\*\*

ظلت شيلى غائبة. ولم يعرف أحدٌ ماذا كانت تفعل أو برفقة من،  
وإن كان غيابها نعمة كبرى في الواقع؛ إذ قلّت المشكلات والمخاوف وكل  
شيء كان يُسبب التوتّر لمن حولها.

مرَّ عام تقريبًا قبل أن تعود شيلى لاستعادة ابنتها من لارا. ولم تقدِّم شيلى أي تفسيرٍ لغيابها. ظهرت فجأة وأخذت نيكي معها. كانت لارا تحبُّ نيكي حبًّا جمًّا، ولكم تمنَّت أن تظل معها، وأن تتبنَّها وتربِّيها كابنتها، إذا أعلنت شيلى التخلِّي عنها رسميًا.

أقسَمَت لارا بأنها ستبذل كل ما في وسعها لتبقى قريبة من حفيدتها.

في عام 1978، حين بلغت نيكي الثالثة من عمرها، كتبت والدتها عن مشاعرها تجاه ابنتها البكر بكلمات تفيض حبًّا.

زخرفت شيلى نقاط الحروف ووضعت قلوبًا تحت علامات التّعجب، وكأنها تريد التأكيد على حبها الجارف لنيكي. وكتبت أبياتًا شعرية تصف فيها رؤية وجه نيكي وأنه يضيء يومها الطويل الرتيب.

"شعرها الذهبي يطوق وجهها الجميل، وضحكها... كالينبوع المتدفق... وابتسامتها تترك غمّازتين في خديها الصغيرين الرقيقين... وعيناها -النجلاوان البنيتان- تتلألآن بالفرح".

أضفت على رسالة الحب لمسة واقعية مرحة:

"... أجدها في صندوق مجوهراتي! وحقيقتي! وأحمر الشفاه! أو أكتشفها تُدبِّر أحد مقالبيها الصغيرة!".

واختتمت شيلى رسالتها بقافية مؤثرة:

"حتى لو اشتدَّ غضبنا، يا نيكي، مستحيل أن يزول حبنا لك!".

لفترة، روَّجت شيلى لفكرة "أنا وأنتِ ضد العالم". وراحت تخبر نيكي، بعينين دامعتين وذراعاها تطوّقان جسد ابنتها، أن والدها تخلَّى عنهما، وأن جدَّيهما من جهة أبيها لا يحبَّانها، لكنها أكدت أن لا بأس بذلك لأنها تحبها حبًّا جمًّا.

وكما هو متوقَّع، تَبَيَّنَ أن هذه الرواية التي نسجتُها شيلى ما هي إلا قصة خيالية مُحكَّمة الحكمة. فبعد مرور سنوات عديدة، عثرت نيكي على مجموعة من رسائل أبيها وأقاربه. وفوجئت حين اكتشفت أن عائلة والدها كانت حريصةً على إرسال هدايا الكريسماس وعيد ميلادها على مدار طفولتها. ولكن والدتها كانت تنتزع بطاقات التعريف على الهدايا وتضع اسمها عليها.

\*\*\*

كانت لارا وليس يخشيان من احتمال أن تخرج شيلى وتترك نيكي بمفردها بالمنزل. ومن ثمَّ تَوَجَّهًا إلى شقتها في فأنكوفر للاطمئنان عليها. وهناك التقيا بداني لونج، جار شيلى الذي كان يعيش في الشقة المقابلة. كانت لارا تعرف والدة داني؛ إذ اعتادت اللعب معًا في صالة "تايجر" للبولينج. كان داني شابًّا نحيفًا، شعره داكن طويل وابتسامته لطيفة. أخبرهما أنه يملك مفاتيح شقة جارته.

قال ليس: "لا بُدَّ أنكَ على علاقة وثيقة بابنتي ما دُمْتَ تملك مفاتيح شقتها".

تمتم داني بكلمات غير مفهومة وفتح لهما الباب.

لم يجد آل واطسن شيلى ونيكي بالداخل، لكنهما عثرا على صندوق مليء بالأشياء المسروقة من كوخ جبل هود، بالإضافة إلى مجموعة كاملة من مفاتيح منزل عائلة واطسن وسياراتهم، وبالطبع مفاتيح الكوخ. كانت المفاتيح مفقودةً من حقيبة لارا منذ أسابيع.

بعد فترة وجيزة، انتقلت شيلى وداني إلى منزل الجدة آنا في باتل جراوند؛ المنزل الذي وَعَدَتْ أنه سيكون لأحد أحفادها المفضَّلين دائمًا. ولم يمضِ وقت طويل حتى حملت شيلى بطفلها الثاني. وفي حفل زفاف صغير أقيم بالقرب من محكمة فأنكوفر في الثاني من

يونيو عام 1978، تزوّج شيلي وداني رسمياً. كانت الزيجة الثانية لشيلي وقد أتمت حينها عامها الرابع والعشرين. وبعد شهرين، وتحديداً في أغسطس 1978، ولدت سامانثا. كانت طفلة جميلة، ذات شعر أشقر وعينين واسعتين تفيضان بالبراءة.

كان داني يعامل الفتاتين معاملة حسنة، لكنه كان يتصدّى لشيلي بقوةٍ تفوق ما اعتادت عليه. ودبّت المشاجرات بينهما باستمرار، ووصلت إلى حدّ العنف أحياناً. وصار مشهد تحطّم الأطباق، والصراخ، والركض من الباب، من المشاهد المعتادة بالبيت. وخلال إحدى زيارات لارا النادرة، لأن شيلي لم تكن تسمح لها بدخول البيت، لاحظت وجود فجوات في حوائط الجبس. كان من المنطقي أن تُلقِي لارا اللوم على داني، لكنها لم تستطع الجزم أيّ منهما لكم الحائط بقبضته.

في الواقع، كان زواجهما يضحُّ بالاضطرابات، كما كان الحال في زيجتها مع راندي، وآل إلى المصير ذاته. بعد انتهاء كل مشادة محتدمة، حين يخرج داني لتهديئة انفعالاته أو الابتعاد قليلاً، كانت شيلي تضع الفتاتين في السيارة وتنطلق للبحث عنه.

وكما ستعترف أسرتها لاحقاً، كانت شيلي مولعةً دوماً بالملاحقة.

كلما ظهر حبيب جديد في حياة شيلي، كانت تعطي نيكي تعليمات صارمة. قالت لها: "يجب أن تناديه بأبي".

وأطاعتها نيكي. وعندما يحين موعد تسجيلها بالمدرسة، كانت أمها تغير ببساطة لقبها إلى لقب زوج أمها الجديد. لم يكن هناك إجراءات قانونية رسمية البتة، بل مجرد إصرار شيلي على أنها قد كوَّنت عائلة جديدة.

هكذا ببساطة.

بعد مرور خمس سنوات على زواجها من داني، اتّصلت شيلي  
بوالدها وأخبرته أنها بحاجة إلى مالٍ للطلاق. وادّعت خيانة داني لها.  
وكالعادة، لم يجادلها ليس.

كان مستعدًّا لفعل أي شيء من أجل شيلي.

حلّ عام 1983، ودخل في حياة شيلي حبيب جديد، كانت في  
التاسعة والعشرين من عمرها.

قالت نيكي مستعيدةً ذكريات طفولتها بعد سنين طويلة: "كنت  
أعتبر داني أبي الحقيقي". ولكن بمجرد اختفاء داني من المشهد، وجّهت  
شيلي أنظارها نحو ديف نوتيك الوديع. "أتذكّر حين أحضرت أُمي  
ديف إلى منزلنا في باتل جراوند، وأخبرتني أنه والدنا الجديد. كرهته  
لأنني أحببتُ داني. وبعد فترة وجيزة، جهّزنا أمتعتنا للانتقال إلى  
رايمند".

\*\*\*

لا تنفكُ ذكرى مُعيّنة تنتاب نيكي حتى الآن، تطاردها كشبح بين  
الفينة والأخرى.

حدث ذلك قبل انتقال العائلة إلى رايمند. كانت نيكي نائمة في  
سريرها بالمنزل القابع خلف دار المسنّين في باتل جراوند. وفجأة،  
استيقظت غير قادرة على التقاط أنفاسها بسبب وسادةٍ تضغط على  
وجهها. صرخت نيكي تنادي أمها، وفي تلك اللحظة بالذات ظهرت  
شيلي بغتةً.

سألتهَا: "ماذا حدث؟ ما الخطب، يا صغيرتي؟".

أجابت نيكي باكياً أن أحدهم وضع وسادة على وجهها.

قالت شيلي: "كان كابوسًا".

حتى في تلك اللحظة، كانت نيكي تعرف الحقيقة.

"لم يكن كابوسًا، يا ماما".

حدّقت شيلى بثنابٍ بعينيّ ابنتها الصغيرة وأصرت على أنها مخطئة. ولم تتراجع عن كلامها. لم يكن عليها ذلك. كانت، كدأبها، مُحقِّقة في كل شيء.

لم تفارق تلك الواقعة ذهن نيكي. سرعة استجابة أمها، وكذلك النظرة الغريبة التي ارتسمت على وجهها؛ نظرة مليئة بالفضول أكثر من القلق.

لاحقًا، تساءلت نيكي إن كانت تلك هي المرة الأولى التي حاوت فيها أمها التلاعّب بعقلها، وإن كانت قد فعلت المثل مع آخرين.



## الفصل الثامن

الخشب. المحار. وبعد عقود، الماريجوانا.

لطالما اعتمدت مقاطعة باسيفيك، الواقعة في واشنطن والتي تتميز بطقسها الممطر والغائم دومًا، على الطبيعة بصورة أساسية. ولقد شهدت هذه المقاطعة، منذ مجيء المستوطنين البيض الأوائل إلى تلك البقعة المُمطرَة العاصفة والواقعة في الركن الجنوبي الغربي من الولاية في خمسينيات القرن التاسع عشر، فترات من الرواج والكساد. وربما يبدو من التبسيط المخجل أن نصف قاطنيها بـ"الأشداء"، بيد أنه لا يمكن إنكار قدرتهم على الصمود والتكيف. فالحياة في هذه المنطقة، التي يلتقي فيها المحيط الهادئ بنهر وويلا وروافده المتفرعة، لم تمنحهم رغد العيش، بل حتمت عليهم اقتناصه بالكد والجهد. عماد مقاطعة باسيفيك هي ثلاث بلدات: ساوث بيند، مركز المقاطعة، ورايمند، وويلابا القديمة. وعلى التلال المطلّة على خليج يصبُّ في المحيط، تمتدُّ منازل فخمة على الطراز الحرفي الأمريكي، تشهد على حقبة ما قبل

انحسار النشاط الاقتصادي، كما يحدث دائماً في الأماكن التي تعتمد على الموارد الطبيعية. والمبنى الوحيد الذي لا يزال يشهد نشاطاً كبيراً هو مبنى المحكمة، بتصميمه المستوحى من الفنون الجميلة وقبته الزجاجية الفنية الفخمة. كما يقع مكتب الرعاية الاجتماعية في الملحق التابع له.

رغم رطوبة المنطقة الواقعة على طول نهر ويلابا حتى الخليج، فإنها تركت بصمتها، أو ربما مسحة خفيفة، في الثقافة الشعبية. فرقة نيرفانا، التي أُسِّست في أبردين، إحدى المقاطعات القريبة، قدّمت أول عروضها على الإطلاق في رايمند، وهي بلدة يقلُّ عدد سكانها عن ثلاثة آلاف نسمة. ونشأ كذلك في هذه البلدة الشاعر الغنائي روبرت ويلز، الذي كتب "أغنية عيد الميلاد" بالتعاون مع ميل تورم، والأغنية الافتتاحية للمسلسل التلفزيوني "باتي ديوك شو". كما دوّن الكاتب توم روبنز روايته الأولى "مَعَلَم آخر على قارعة الطريق"، في ساوث بيند.

يَبْدُ أن معظم مَنْ يعيشون هناك، وخاصَّةً مَنْ نشؤوا على نشارة الخشب وقشور المحار، ليسوا مشهورين، بل إنهم أبعد ما يكونون عن الشهرة. إنهم ينتمون في الغالب إلى تلك الفئة الواقعة بين البسطاء والكادحين.

كان ديف نوتيك ابن مقاطعة باسيفيك. فقد عاش أول أربع سنوات من عمره في منطقة لييام القريبة، قبل أن ينتقل والداه، آل وشيرلي، إلى منزل خشبي صغير على ضفاف نهر إلك كريك في رايمند. عمل آل في قطع الأخشاب، لكن العمل في الغابات كان متقطّعاً وغير منتظم. ولم تكن عائلة نوتيك فقيرةً فحسب، بل مُعدّمة أيضاً. فقد صنع ديف وشقيقه وشقيقته ألعابهم؛ الأقواس والسهام، من العِصِيّ

وريش الدجاج. وكان يسهل تمييز أطفال الريف أمثال أبناء عائلة نوتيك في مدارس رايمند من ملابسهم القديمة والبالية.

قال ديف متذكراً: "في بعض الأحيان، كنت أبدأ العام الدراسي بالملابس نفسها التي ارتديتها العام السابق. لا أقصد الإساءة إلى والديّ. فقد عملاً بجدّ واجتهاد. ولكننا ببساطة لم نكن نملك المال الكافي".

ولتعويض نقص الدخل؛ عملت شيرلي، ابنة الخطاب، في مصنع تعليب المحار لفترة طويلة، ثم لاحقاً في متجر ج. س. بيني.

كان ديف أشدّ أطفال آل نوتيك الثلاثة مشاغبةً؛ فكان يعبث ويسرق سجائر والده، بل حتى قام بمحاولة غير جادة للهروب مع أحد رفاقه في الصف الرابع. وبسبب ذلك، عوقِبَ ديف بالطريقة التي عوقِبَ بها والده. لم يكن آل يتردّد في استخدام حزامه الجلدي على الأطفال إذا لزم الأمر. وذاق ديف لسعات الحزام أكثر من مرة، لكنه لم يعتقد أبداً أنه لم يستحق ذلك. كانت هذه هي الطريقة السائدة آنذاك.

في ذلك الوقت، كانت رايمند مدينةً عامرةً بالنشاط. كانت المصانع تعمل بنظام ثلاث ورديات، وبفضل الإمداد المتواصل للأخشاب اكتظّت الطرق بشاحنات النقل طوال اليوم، وغصّ النهر بالأطواف الخشبية.

في عام 1971، تخرّج ديف من مدرسة رايمند الثانوية -الملقبة بموطن النوارس- ورغب في السير على درب والده ليصبح حطّاباً، رغم أن والده بذل قصارى جهده لإقناعه بالعدول عن رغبته.

"لم يكن والدي يريدني أن أخوض هذا المجال الصعب. ولكن هذا ما انتهيت إليه". عمل ديف في مجال قطع الأخشاب لمدة عام قبل التحاقه بالبحرية.

"لم أكن سأصبح خطأً مثل والدي، لكنني التحقت بالبحرية مثله، وتعلّمتُ كيفية تشغيل المعدات الثقيلة. وهذا ما فعلته لمدة اثنين وعشرين عامًا؛ قيادة الجرافات في الغابة".

بثّت الخدمة العسكرية في قلب ديف الثقة بالنفس التي كان يفتقدها. وعندما عاد إلى رايمند بعد خدمته في هاواي وألاسكا، أصبح ديف نوتيك فجأة عريسًا مرغوبًا. كان رجلًا جذابًا ورياضيًا، وتعلّم ركوب الأمواج في هاواي. كما كان يتمتع بشخصية لطيفة ودودة، ويحب الاحتفال مع الأصدقاء. والأهم من ذلك، كانت يشغل وظيفة ممتازة في ويرهاوسر؛ الشركة الرائدة في مجال الأخشاب. وبعد عودته، انضمّ إلى بعض النوادي الاجتماعية مثل الأيائل والنسور، وارتفعت شعبيته. ارتبط عاطفيًا بعدة فتيات من بلده، لكن لم يُكْتَب النجاح لتلك العلاقات.

قال لاحقًا -مبتسمًا-: "حاولتُ الفتيات جذب انتباهي".

لم يكن يدري حينها أن مَنْ ستظفر به في النهاية هي الفتاة غير المناسبة.

\*\*\*

لم يكن هناك سبب وجيه دفع ديف نوتيك إلى قيادة سيارته إلى لونج بيتش، واشنطن، في يوم السبت الذي صادف قرب نهاية أبريل 1982. لم يكن الجو مناسبًا للتّنزّه على الشاطئ؛ فالمناخ لا يصير ملائمًا على ساحل واشنطن إلا في نهاية أغسطس. راح ديف، الذي هجرته فتاة مؤخرًا، يبحث عن جعةٍ وشيء يشتّت تفكيره. في الواقع، عندما غادر منزله في رايمند وقاد شاحنة فولكس فاغن البرتقالية باتجاه الطريق السريع، لم يكن متأكدًا ما إذا كان يجب أن يتّجه يمينًا إلى ويستبورت أو يسارًا إلى لونج بيتش. وفي نهاية المطاف، استقرّ على لونج بيتش. وحين وصل إلى حانة "ذا سور ثمب"، وجدها مكتظةً بشباب لا يفعلون شيئًا يُذكر.

يتبادلون أطراف الحديث.

يلعبون البلياردو.

يتحدثون عن الرماية.

وما لبثت أن وقعت عينا ديف على أجمل فتاة رآها في حياته.

رغم بعض الأخطاء التي وقَّعت فيها شيلي عند اختيار الرجال، لم يكن هناك مجال للإنكار بأنها كانت امرأة حسناء، ذات عينين فاتحتي اللون، وشعر أحمر طويل تتركه منسدلاً، وقوام متناسق تحلم به الفتيات الصغيرات عندما يكبرن. أدركت شيلي أن الرجال ينجذبون للفتيات اللاتي يتباهين بمفاتنهن. ولم تتوانَ عن استغلال ذلك لصالحها في شبابها.

بتقدير ديف نوتيك، كانت شيلي واطسن ريفاردو لونج بعيدة جداً عن مستواه. كان يدرك ذلك تماماً. أخذ يراقبها من بعيد. كانت تمتلك شعراً أحمر وجسداً فتاكاً. كان ديف متأخراً في الانفتاح على الحياة بسبب خجله. ولم يكن لديه صديقة تُذكر في المدرسة الثانوية. وحتى بعد الفترة التي قضاها في البحرية، ظلَّ خجولاً. جرع الجعَّة، وحاول أن يستجمع شجاعته ليدعو الفتاة الجميلة ذات الشعر الأحمر للرقص معه.

"كانت تبدو حقاً كنجمة سينمائية في الأفلام القديمة. كانت فتاة مذهلة. وراح الرجال الآخرون يلاحقونها من جميع الاتجاهات بينما اكتفيت بالتطُّع إليها. وبعد هنيهة، اقترَبت من طاولتي عندما كنت على وشك أن أدعوها للرقص".

أخبرت شيلي ديف أن لديها طفلتين، وأنها تعيش في الجنوب في مقاطعة كلارك، في منزل صغير جميل تركته لها جدُّتها أنا بعد وفاتها. بعدما رقصا على إيقاع عدَّة أغانٍ سألتها: "هل يمكنني الحصول على رقم هاتفك؟".

أجابت بهدوء: "بالتأكيد".

افترقا في وقت متأخر تلك الليلة. ولم يتوقع ديف أن يراها مجدداً، ولكنه لم يتوقف عن التفكير فيها. لم يكن ليراهها هناك على الأقل؛ فحانة "ذا سور تيمب" احترقت بالكامل في الليلة التالية من لقاءهما.

أخيراً، تغلب على خجله واتصل برقم هاتف شيلي، وسألها عما إذا كان بوسعه زيارتها في فانكوفر، فوافقت. وسرعان ما تحولت الزيارة إلى رحلة أسبوعية. ووقع ديف في حب شيلي وابنتيها.

"كانتا طفلتين لطيفتين، مهذبتيْن حقاً. كانتا بحاجة إلى أب. وتفهمت ذلك. أي شخص بوسعه تفهّم ذلك".

في تلك الفترة، احتاجت شيلي إلى شخص مُنقِذٍ تستطيع الاعتماد عليه. كان داني قد اختفى من حياتها منذ فترة طويلة. وكذلك راندي. وكانت تواجه مشكلة بخصوص منزل جدتها أنا. فقد وُضِعَ تحت الحراسة القضائية لعجزها عن دفع الضرائب أو سداد قروض الرهن العقاري. وتنازلت شيلي عن ملكيته رسمياً لصالح ديف.

كتبت إلى القاضي: "إن ديف يحاول إنقاذه من أجلي. ولكنه يحتاج إلى إصلاحات ضرورية. وأنا أجد صعوبة في تلبية احتياجات طفلتين. سأضطر إلى السماح لديف بالاستحواذ عليه نهائياً".

عبّرت شيلي عن حزنها لفقدان منزل العائلة المجاور لدار المسنين؛ فقد توارثته العائلة عبر ثلاثة أجيال.

"لقد عاشت فيه جدي. ووالدي البيولوجية قبل وفاتها. وتربّيتُ هناك خلال الاثني عشر عاماً الأولى من حياتي. كان من المتعارف عليه بين عائلتي وأقاربي أن المنزل سيؤول إليّ في الوقت المناسب. وقد تحقّق ذلك بالفعل في عام 1981. ولم يحدث ذلك من قبل بسبب زيجتي الفاشلة؛ إذ لم يرغب والداي أن أخسره في تسوية الطلاق. وفي

عام 1979 انفصلتُ عن زوجي وانتقلت للعيش بمفردي. أتذكّر ذلك بوضوح، لأن ابنتي بدأت ترتاد رياض الأطفال في خريف ذلك العام. ساعدوني على الحفاظ على منزلي من أجل بناتي. أودُّ العمل مع شركة يو. إس. كريديتكورب لاستكشاف الخيارات المتاحة. لم أؤذِ أحدًا. وكل ما أرغبه هو بناء مستقبل لنفسي".

وعدها ديف لاحقًا بأنه سيعيد إليها المنزل، ولكن مع مرور الوقت، فقد المنزل بسبب الحجز العقاري.

\*\*\*

مع تعمق العلاقة بينهما، اعترفت شيلي، ودموعها تنهمر، بعد زيارة الطبيب، بأن مشكلتها أكبر بكثير من مجرد محاولة توفير لقمة العيش لها ولابنتيها.

قالت: "أنا مصابة بالسرطان. وربما لن أعيش حتى إلى سنّ الثلاثين".

صُعق ديف. بدت شيلي في أتم صحة وعافية. كما أنه كان مغرمًا بها حينذاك. والآن، أصبح أسيرًا لهذا الاعتراف.

قال بعد عدة سنوات لاحقًا: "قلتُ لنفسي على الأغلب ستموت. وإذا ماتت، فمن سيعتني بنيكي وسامي؟ لم يكن ثمة أحد يراهما ويسندهما. طوال الوقت الذي قضيناه معًا، استغلّت ورقة السرطان لمصلحتها. كان يجب أن أكون أكثر فطنةً، لكنني كنت ساذجًا".

بعد شهر تقريبًا في شقة ديف الصغيرة، انتقل الأربعة إلى منزل أحمر في شارع فاوولر بحي ريفيرفيو في رايمند.

قال ديف: "لم أتزوج شيل بسبب احتياج ابنتيها إليّ. ولكنني أعترف أنه كان سببًا رئيسيًا وراء رغبتني في الزواج بها".

في الواقع، أقاما حفل زفافهما رسمياً في رايمند في 28 ديسمبر 1987. كانت إحدى الحاضرات في حفل الزفاف شابة تدعى كاثيرين لورينو، مصففة شعر شيلي وصديقتها المقربة. لم يعلم أحد أن كاثيرين ستلعب فيما بعد دوراً في زيجة نوتيك أكبر بكثير مما يتخيله أحد.

\*\*\*

كان ليس واطسن في غاية السرور لزواج ابنته للمرة الثالثة، وكأنه تخلّص من عبء ثقيل. فذلك كان يعني أنها لن تقصده مجدداً لطلب المال. لم يسامحها بسبب قصة الاغتصاب، رغم أنه تعلم التعامل معها بلطفٍ. صحيح أن اتهاماتها لم تدمره، لكنها تركت جرحاً في قلبه.

استمرت شيلي في التشهير بوالدها خلف ظهره. أما أمامه فحاولت استعطافه باعتذاراتٍ غير مباشرة ووعودٍ بأن تكون ابنة أفضل. وادّعت إصابتها بالسرطان، وأرادت أن تخبره بنفسها قبل لارا، التي تخوض معها صراعاً لرغبتها في رؤية الفتيات بصورة دورية. وعندما تجاهل ليس مكالماتها، كتبت إليه:

"سأظل دائماً فخورة بأنك أبي. كلما تقدّمتُ في العمر، أدركتُ أكثر مدى تقديري لك. الأم يمزقني، يا أبي، أتمنى لو أستطيع الهروب. لقد عرفت القليل جداً عن تفاصيل حياتي لفترة طويلة. وربما في المرة القادمة... لن أرتكب الأخطاء نفسها. أنا لست قوية بما يكفي لأتحمل عبء الأشهر القادمة. ولكنني أحبك يا أبي، ولقد اشتقتُ إليك. أحبك، شيل".

## الفصل التاسع

رأت نيكي وكأنَّ والدتها وزوجها الجديد قد شرعا حياتهما معًا بقبلة سامَّة وإعلان الحرب. كان جليًا للكثيرين، ومنهم نيكي، أن ديف نوتيك أصبح رجلًا أقلَّ قيمةً بالزواج من شيلي. وبدا واضحًا أنه يواجه صعوبات بالغة في التَّكْيُف مع حياته الزوجية مع أمها.

تذكَّرت نيكي واقعةً شهدتها بعيني طفلة مشدوهة، ثابتة النظر ومرعوبة في الوقت نفسه. كان ديف، نحيف القامة، طويل الشَّعر، ومُغَطَّى بالوشوم التي تصوِّر حُبَّه للبحر منذ خدمته في البحرية، جالسًا في الشرفة الأمامية لمنزل فاوِلر وممسكًا بندقية في وضعية الانتحار. راح يرتجف ويبيكي. حدث ذلك بعد مشادة أخرى مع والدتها، وبعد توجيه كلمات الكراهية والاشمئزاز لعدم كسبه أموال كافية أو اهتمامه بالأطفال.

أمطرته أمها بسيل من الشتائم المهينة.

صرّخت شيلى قائلة: "أنتَ زوج فاشل! لا تحبني ولا تحب البنات! لو كنت تحبنا لعملت بجهد أكبر!". ثم أغلقت الباب بقوة.

ظلّ ديف صامتًا حتى هدأ من روعه. ثم ركب شاحنته وانطلق بها كدأبه بعد المشاجرات العنيفة.

كان شخصًا مطيعًا وسليًا وخاضعًا.

قالت نيكي متذكّرةً لاحقًا: "لم أره يضربها مرة واحدة. بل نادرًا ما كان يوجّه لها أي إهانة".

على النقيض من شيلى تمامًا.

قال ديف متذكّراً: "كانت تصبح عنيفةً للغاية، وتضربني عدّة مرّات، ولم أبادلها الضرب لأنه ليس من شيم الرجال. كانت تدفعني وتصرخ. كان سلوكها شديد العنف. ولم أكن معتاداً على ذلك".

راحت تردّد على مسمعيه أكثر من مرة، محاولةً إبقاءه قريباً منها: "علينا مناقشة بعض الأمور".

قال لها: "لا أستطيع البقاء معك وأنتِ بهذه الحالة".

حاولت شيلى تهدئته قائلة: "إنه وضع طبيعي. هكذا يواجه الناس مشكلاتهم".

ردّ عليها: "لا أراه طبيعياً".

كانت البداية الحقيقية للمشكلات عندما أفرط ديف في تناول الخمر في حفلة عيد الميلاد في ساحة ويرهاوسر لفرز الأخشاب. واصطحبه زملاؤه إلى المنزل ليجد شيلى تقف عند الباب، بعينين جاحظتين ووجه مُحمّرٌ غاضب. دفعته وصرخت كثيراً حتى اضطر للذهاب إلى رفاقه ومكث ليلته هناك. وهذا، بدوره، أجج غضبها. أرادت أن يعود زوجها لمواجهة المشكلات التي تسببت هي في وقوعها. لم يكن لديه ملجأ. بعد ذلك، فعلت كل ما في وسعها لإبعاد ديف، ثم الفتيات

لاحقًا، عن عائلته. أصرت على السيطرة التامة طوال الوقت، وفي كل مكان. وإذا نشبت مشاجرة في أثناء وجودهما في السيارة، كانت شيلى تجبره على التَّرجُل.

"اخرج! الآن!"

مع مرور الوقت، لم يعد ديف قادرًا على عيش حياة طبيعية. حدث ذلك تدريجيًا من دون أن يدرك كيفية وسبب حدوثه. عانى من الأرق. وكان يعيش في حالة ترقُّب مستمرة لثورة شيلى القادمة. أريد بعض الراحة. قليلًا من الهدوء. والابتعاد عنها بعض الوقت.

تارة، كان يقود شاحنته ويتجه إلى التلال المطلَّة على رايمند للتخييم. وتارة أخرى، كان يقيم عند أصدقائه. أدرك أن حياته مع شيلى تختلف تمام الاختلاف عن حياة أي زوجين آخرين. ورغم ذلك، لم يلجأ إلى الكحول أو التَّغْيِيب عن العمل. كان يواجه مشكلاته معها بالابتعاد عنها.

النجاة من غضب شيلى كانت تعني تجنُّبها قدر الإمكان. حتى في بداية زواجهما، كان ديف ينسحب من مطالبتها الغاضبة المستمرة. صحيح أنها تتظاهر أحيانًا باللطف والمرح، ولكن مع مرور الوقت، تراجعت تلك الصفات أمام غضبها الجامح، الذي أثار خوفه. كان يشعر أنها ليست طبيعية. ثمَّة خطب بها. الصراخ. ونوبات الغضب العنيفة. وإغلاق الأبواب بقوة لدرجة انكسار مفصلاتها. كل هذا كان يدفعه للجلوس في شاحنته مع حقيبة نوم ووسادة ويدعو الله أن يلهمه الصواب.

كان يناجي نفسه: "هذا الوضع غير صحيح، يا ربي. ليس طبيعيًا. أعلم أن هذه ليست حياة عائلية. أرجوك، ساعدني."

"عندما يواصل أحدهم تضيق الخناق عليك شيئًا فشيئًا، تودُّ في النهاية الهروب. لاحقًا، سألني الناس عن سبب عدم رحيلي مع البنات. بيّد أن هذا كان ضربًا من المستحيل مع شيلي. لا يمكنك. لن تسمح بذلك. ستلاحقك بلا هوادة".

كان يعود إلى المنزل بعد فترات من التفكير العميق ليجدها قد تحوّلت إلى امرأة رقيقة ولطيفة وحنونة. غير أن هذه الحالة قد تستمر لبضعة أسابيع أو أيام أو حتى ساعات. ثم لا تلبث أن تعود إلى طبعها المعتاد.

## الفصل العاشر

بعد سنواتٍ، احترق منزلهم في شارع فاوِلفر في رايمند عن بكرة أبيه، تاركًا ندبة كبيرة قائمة في المشهد، وكأنها استعارة لبداية زواج شيلي وديف. حين تمرُّ نيكي بالمكان، كانت تتذكر صراخ أمها في وجهها ووجه ديف. لكنها تسعى جاهدة للتَّشبُّث بالذكريات الطيبة، رغم نُدرتها. كانت واثقة من حبِّ أمها لها ولشقيقتها سامي.

ولكم بدا لها ذلك مؤلمًا.

أحيانًا، يكون الانتقال إلى منزل جديد بمثابة فرصة لإعادة ضبط الأوضاع، وتحسين الأمور.

أملت نيكي أن يكون ذلك الانتقال بداية جديدة.

يجب أن يكون كذلك.

انتقل ديف وشيلي نوتيك مع الطفلتين إلى منزل كبير مستأجر على الطراز الحرفي الأمريكي في بلدة ويلبا القديمة، واعتادوا الإشارة إليه بمنزل لاودرباك، نسبة إلى أصحابه الأصليين، وهم عائلة لها باع طويل في الصناعة البحرية بالمنطقة. كان المنزل يقع في نهاية طريق خاص طويل يمتدُّ عبر الأراضي الزراعية، ثم ينعطف الطريق صاعدًا بشكل حادٍّ إلى تَلٍّ، حيث تواريه أشجار الغابة عن الأنظار. كان المنزل مطليًا بلون أخضر داكن، مع زخرفة متباينة، وتحيط به شرفة واسعة تمتدُّ حول الزاوية، تربط بين المدخل الرئيسي المفضي إلى غرفة المعيشة وبين باب جانبي يؤدِّي إلى المطبخ. أما داخل المنزل فكان يضمُّ سقوفًا شاهقة ترتفع نحو اثني عشر قدمًا؛ وأرضيات خشبية متهالكة ولكنها جميلة؛ ومدفأة حجرية كبيرة تحتلُّ غرفة أمامية مكسوَّة بألواح خشبية عريضة. وعلى الجانب المقابل لغرفة المعيشة، وبالقرب من الدَّرَج، كان هناك حمامٌ واسع مزوَّد بحوض استحمام كبير. وعلى يمين المدخل الرئيسي تقع غرفة النوم الرئيسية مزوَّدة بنافذة تطلُّ على الفناء الأمامي.

كانت غرفتا نيكي وسامي تقعان في الطابق العلوي، والوصول إليهما يتطلَّب صعود سلام خشبية شديدة الانحدار، وتفصل بين الغرفتين مساحة فارغة مخصَّصة للعب. وكانت غرفة نيكي تطل على التل المعشوشب المحاط بالأشجار خلف المطبخ. بينما كانت نوافذ غرفة سامي تواجه الفناء الجانبي الذي يغصُّ بشجر الورد ويقع به صنوبر الحديدية. كان القبو في الطابق السُّفلي واسعًا ورطبًا، ويشغله فرن يعمل بوقود الديزل وتفوح منه رائحة كريهة طوال العام. راق المنزل لشيلي، واعتبرته مثاليًا، ورغبت في شرائه بدلاً من استئجاره، لكن ذلك كان يتجاوز مواردهم المالية. كان ديف يعمل في الغابة آنذاك، ويكدح لساعات إضافية ويبذل كل ما في وسعه. قالت شيلي إنها قد تبحث عن عمل، لكنها لم تتخذ خطوة فعلية.

كان منزلاً رائعًا وساحرًا ومريحًا.

لكنه كان أيضًا مسرحًا للجرائم.

\*\*\*

كانت الفتاتان تعلمان أن أي شيء يصلح لأن يكون سلاحًا. وكان ديث يعرف ذلك أيضًا. ملعقة الطهي من درج المطبخ. صنارة الصيد. سلك الكهرباء. كانت جميعها أدوات تستخدمها شيلي نوتيك لضرب ابنتيها عند ارتكابهما أي خطأ، مهما كان صغيرًا أو كبيرًا. وعندما تجد عقابًا مناسبًا، تسعى لجعله أكثر فعاليةً ووحشيةً. كان ضرب ابنتيها يحفزها ويشعل حماسها، كأنها تستلذُّ باندفاع الأدرينالين المرافق للهجوم.

ذكرت الفتاتان لاحقًا أن معظم "العقوبات التأديبية" كانت تتمُّ في ساعات الليل.

كانت نيكي وسامي تغطان في النوم بالطابق العلوي، غافلتين عن غضب أمهما العارم، بينما تخطَّط لعقابٍ شديد مفاجئ وهي جالسة على الأريكة. اعتادت شيلي أن تهاجم على حين غفلة. وتعلَّمت ابتهاها ارتداء ملابس إضافية عند النوم، تحسُّبًا لقيام أمهما بسحبهما إلى الفناء في الشتاء القارس.

قالت نيكي لاحقًا: "أحيانًا كانت ثمة أسباب لتلك العقوبات، على ما أظن. ربما استخدمنا مستحضرات التجميل الخاصة بها أو أضعنا فرشاة الشَّعر. أمور كهذه. وأحيانًا لم نكن نعرف حقًا ما جنيناه".

كان الضرب ينتهي دائمًا بالدماء. ذات مرَّة، دفعت شيلي نيكي بقوة نحو خزانة الملابس الكبيرة. وكانت شيلي تصرخ بأعلى صوتها.

"أيتها العاهرة اللعينة الصغيرة!"

قفزت شيلي نحو نيكي وشرعت تضربها مرارًا، بينما الفتاة تصرخ وتتوسّل لها كي تتوقف.

"أنا آسفة يا أمي! لن أفعلها مرة أخرى!".

الحقيقة أن نيكي لم تكن تعلم سبب غضب والدتها.

شيء قالته؟ شيء مفقود؟ أم شيء آخر؟

نهضت نيكي وحاولت الهرب إلى الباب، لكن أمها أمسكت بها ثم دفعتها نحو الحائط، فاصطدمت بمسمار بارز.

ولم تتراجع شيلي إلا بعد أن كان رأس نيكي مثبتًا حرفيًا بالحائط.

حين كانت نيكي تلعب كرة الطائرة في مدرسة رايمند الابتدائية، اعتادت ارتداء جوارب الباليه الغامقة تحت سراويلها القصيرة لإخفاء الكدمات والجروح الدامية على ساقيها جرّاء الضرب بسلك الهاتف، إحدى أدوات أمها المفضلة عندما تغضب.

لاحقًا، تقبّلت نيكي بعض اللوم بشأن الإيذاء الذي تعرّضت له لأن أمها "انفعلت أثناء الضرب لأنني كنت أحاول الهروب".

رغم سنوح فرص عديدة، عجزت نيكي عن البوح بما تتعرّض له. ظلّت حذرةً ومنغلقةً على نفسها. ولم ترغب في أن يعلم أحد بما يحدث لها أو أن أسرتها تمارس أي نوع من العنف.

قالت لاحقًا: "لم يخطر ببالي إخبار أحد. لم أرغب في جذب الانتباه. ولم أودّ أن يظن الناس أنني غريبة الأطوار. ولم يسألني أحد أبدًا، ولا مرة واحدة".

لم تكن جميع أشكال العنف جسدية. فقد مارست شيلي سلسلة من الألعاب العقلية مع ابنتيها أيضًا.

في الأسبوع السابق لعيد الميلاد، حبست شيلي نيكي في غرفتها. وأخبرتها أنها عديمة القيمة ولن تحقق شيئاً في الحياة.  
"أيتها الفاشلة اللعينة! إنكِ تثيرين اشمئزازي!".

وحين حلَّ يوم عيد الميلاد، تصرَّفت شيلي وكأن الأمور تسير على ما يرام. وراحت تُغدِّق الفتاتين بالهدايا، وتُقدِّم لهما أطيب مأكولات العيد. وفي ذلك اليوم فقط، كانوا أسعد عائلة في العالم.  
ثم انتهى الأمر.

كانت بعض تصرُّفات أمهما روتينية ومُتوقَّعة. مثلاً، دأبت على استرجاع جميع الهدايا من الفتاتين بعد أيام قليلة من العيد، متحجَّجةً بأنهما غير مهذبَّين أو جاحدتين، وأنهما لا يستحقان أي شيء أهدتهما إياه.

في إحدى السنوات، حصلت نيكي على دمية كاييج باتش. وكادت تقفز من السعادة. لكن شيلي أخذتها منها مباشرة بعد أن أعطتها إياها، ووضعتها في خزانة. كانت الفتاتان تعرفان أن والدتهما تصنع لهما فخاخاً لترى إن كانتا قد لمستا شيئاً في أثناء غيابها. كانت تضع الأشياء بطريقة مُعيَّنة أو تضع قطعاً صغيرة من الشريط اللاصق على حافة الباب لتعرف إن تمَّ تحريكها. وتعلَّمت نيكي أن تكون حذرة قدر الإمكان، لا سيما مع الدمية كاييج باتش.

قالت فيما بعد: "كنت أنتظر مغادرة أمي ثم أُخرج الدمية، بحذر شديد، من الخزانة لأحملها لفترة. أحياناً كانت تضبطني. وأحياناً لا".

في عيد ميلاد آخر، أهدتهما شيلي دبابيس على شكل دبٍّ في جواربهما. ومع ازدياد كومة الأوراق أثناء فتح الهدايا، اختفت الدبابيس الصغيرة. وجُنَّ جنون شيلي وضربت الفتاتين بحبل كهربائي.  
"لم أرَ في حياتي فتياتٍ أشدَّ أنانية وجحوداً منكما!".



وكل شيء بسيط كالاستحمام كان يُعدُّ امتيازاً ليس بوسعنا الحصول عليه إلا بموافقتها".

\*\*\*

أحياناً بعد الضرب، كانت سامي تتسلَّل إلى غرفة نيكي وتتكوَّر بجوارها على الفراش، وتحدِّثان لساعات عن الألم الشديد في مؤخرتيهما، وتفكِّران كيف بوسعهما كُفُّ آذاها.

قالت سامي مقترحة: "ليتنا نستطيع أن نصغَّر حجمها. ونجعلها صغيرة جداً ونضعها في قفص".

أعجبت نيكي بالفكرة ولكنها رأت ثغرة.

"ستخرج وتعضُّ كعوبنا!".

ضحكتا.

تساءلت نيكي: "هل تتخيَّلين أن تقوم أمانا بطعننا بعيان صغيرة وما شابه ذلك؟".

نعم، كان بوسعهما تخيُّل ذلك.

كلا، فكرة تصغير الأم لم تكن لتجدي نفعاً على الإطلاق.



## الفصل الحادي عشر

رغم خُلُو البيت من الزوار، كان الاهتمام بالمظاهر أمرًا ضروريًا في منزل عائلة نوتيك. لاحظ ديف ونيكي ذلك. حتى سامي أكَدَّت لاحقًا أنها فهمت أهمية إظهار الأشياء بمظهر "جميل" بغض النظر عن الفوضى والاضطراب من حولها. كان الأمر أشبه بوضع مساحيق التجميل على كدمة، أو وردة صناعية في حديقة من القش والأغصان. وكان إضفاء الجمال عند الباب الرئيسي للمنزل يعني أن ما يحدث في الحمام أو غرفة النوم الخلفية أو القبو أو الفناء الخلفي لم يكن بهذا السوء.

أليس كذلك؟

في الواقع، كلما اتَّخَذَت شيلى مَسْكِنًا، كانت تزيّنه بطابع ريفي مريح، أقرب إلى أسلوب هولي هوي منه إلى مارثا ستيوارت. وكان الأزرق لونها المفضّل، فراحت تكسو الأثاث الخشبي الداكن في منزلهم الجديد بأقمشة الجينز الفاتحة أو بأغطية مطرّزة بالقلوب والزهور.

باللونين الوردى والأزرق. ووزعت السلال ومفارش الدانتيل في زوايا المنزل. وكانت مولعة بجمع التحف الصغيرة، فكانت تماثيل بريشس مومنتس ذات العيون الواسعة من أبرز مقتنياتها. كما انجذبت بقوة لأباريق الشاي المزينة بالزهور أو الفراشات. وكان كل فراغ يمكن أن يشغله غرض مُبهجٌ وريفيٌّ، تجده شيلى في مراكز التسوق أو تطلبه عبر البريد. وكانت تستمتع برؤية كل قطعة جديدة في مكانها، تتأملها لحظات، ثم ما يلبث أن يستهويها شيء آخر. كما زينت معظم الغرف تقريبًا بمجموعة هائلة من الصور العائلية. لم تكن الجدران تخلو من صور لبناتها، ثم لاحقًا ابن خالهم شين. كما علقت عشرات الصور حول المدفأة الحجرية الحمراء.

قالت سامي متذكرةً بعد سنوات طويلة: "كانت أمي مهووسة حقًا بوضع صورنا على الجدران. وكان من الغريب رؤية وجه نيكي المبتسم على الحائط. كان قلبي ينفطر عند رؤية تلك الصور، لأنى أعرف ما عانته من ضرب وإساءة، كل هذا ما زال يمزقني ويؤلمني حتى لمجرد التفكير فيه".

هناك مئات، بل آلاف الصور للأخوات. تحمل جميعها ابتسامات ليست مفعمةً بالأمل فحسب بل أيضًا حقيقية في كثير من الأحيان. بعد سنوات، سينظر الآخرون إلى الصور وسيتساءلون كيف استطاعت فتاة جميلة مثل نيكي أن تبتمس أمام الكاميرا.

كانت الفتاتان تراقبان الأم بينما تزيّن غرفة الطعام بورق حائط مُزيّن بالقلوب، وتثبت ألواحًا خشبية ذات لون وردي باهت على الجدران. وأخذتا تُبديان آراءهما عندما وضعت شيلى تمثال المنارة على المدفأة أو مجموعة من الشموع المعطرة على الطاولة الجانبية. كانت تلك الأوقات ممتعة، ورغم أنهما ستسخران لاحقًا من ذوق والدتهما في اختيار الديكور، فإنهما أدركتا وجود رغبة دفينة بداخلها

لخلق جوٍّ دافئٍ ساحر. ومع ذلك، لاحظنا أيضًا أنه يتناقض بشكل صارخ مع واقع حياتها وأسلوب التربية المستخدم معهما.

لم تكن الحقيقة خافيةً عليهما بالتأكيد. كان من الأسهل طاعة الأم عَوَضًا عن معارضتها. وفي كل يوم، وفي كل مرة، كان الأمل يراودهما بانتهاء هذا الجنون، وأن تتحوَّل شيلى نوتيك فجأة إلى الأم التي يحلمان بها.

لم تلبث خيالاتهما الطفولية أن قُمِعَت بعقوبة جديدة. عقوبة أسمتها شيلى "التَّمْرُغُ في الوحل".

كان ذلك أسلوبها للبرهنة على سيطرتها المطلقة على الأسرة برُمَّتها. وكما هو الحال في كل اختراعاتها المميزة، كان "التَّمْرُغُ في الوحل" مزيجًا من الإذلال والألم الجسدي. وكان أيضًا وسيلة عقاب تفرضها من بعيد.

كان "التمرغ في الوحل" نشاطًا ليليًا، يُفرض في جميع فصول السنة. وكانت نيكي دومًا الضحية الرئيسية.

وكان يبدأ بإضاءة شيلى لأضواء غرفة النوم.

"انهضي! اخلعي ملابسك! انزلي إلى الطابق السفلي، أيتها الحقيرة!"

انهمرت دموع نيكي فوراً وهي تمتثل للأمر. استشعرت شيئاً مرعباً في صوت أمها. كان قويًا وعاليًا وغليظًا. وحملت كلماتها غضبًا جعل نيكي تشعر أن أي شيء قد يحدث، وأنها ستكون الخاسرة في النهاية.

"آسفة!"

"اخرسي!"

كانت نيكي تجلس القرفصاء عاريةً في الطين بينما كان والدها يرشُّها بالخرطوم. في أغلب الأحوال، كان ديف صامتًا أثناء تأدية ما كُلف به. بكت نيكي وتوسَّلت لمنحها فرصة ثانية.

أخذت أمها تراقب من على بُعد بضعة أمتار، وتُخبر زوجها بما يجب عليه فعله.

"اجعلها تتمرغ في الوحل! إنها خنزيرة، يا ديف! لَقْنها درسًا!".

تدفقت مزيد من المياه على جسدها المرتعش.

قال ديف: "تمرغي في الوحل، يا نيكي!".

"آسفة، يا أبي".

"تمرغي!".

في إحدى المرات، بينما حاولت نيكي النهوض، تحسست أطراف أصابعها شظايا جليدية متجمدة. كان فصل الشتاء في ذروته، وبركة الوحل التي تتمرغ فيها متجمدة من حولها. كانت واثقة أنها ستصاب بالالتهاب الرئوي وتموت.

فكرت: الموت هو المخرج الوحيد مما أعانيه.

من نافذة غرفتها بالطابق الثاني، راقبت سامي المشهد. ومثت لو كانت معها، ليس لإنقاذها، بل لتشاركها العقاب ذاته. كانت سامي مُدركة تمامًا أن عقوبات نيكي، لأسباب مجهولة، كانت أسوأ بكثير من عقوباتها. لم يكن من الإنصاف أن تتحمل نيكي هذه المعاناة على الأخطاء نفسها التي تُعاقب سامي عليها بضربة حزام أو صفعه قاسية.

قالت سامي بعد سنوات: "فكرت حينها أنه من الظلم ألا أتلقى المعاملة ذاتها. كنت أعلم أن ما فعلته لا يستحق التمرغ في الوحل، ولكنه حدث لها. هذا ما فعله والداي بها".

بعد فترة مرت كالدهر، جرت شيلي نيكي إلى الحمام، بينما توبّخها طوال الطريق. وفتحت صنوبر الماء الساخن وملأت الحوض. لم يكن الماء باردًا، بل ساخنًا. ظلت نيكي قوية، لكنها بكت طوال الوقت.

قالت أمها: "نظّفي نفسك، يا خنزيرة. ثم اذهبي إلى الفراش".

كان من الصعب على نيكي أن تتذكّر كم من الوقت استمرّ ذلك. أو كم مرة أُجبرت على التّمرغ في الوحل. ربما عشرات المرات؟ ربما أكثر؟ بعض الفترات كانت أطول من الأخرى. ربما كانت عشرين دقيقة. وربما ساعتين. كانت تخوض في الطين في الظلام، ويصطدم جسدها بجذور الشجيرات ورذاذ مياه الخرطوم وكلمات أمها القاسية. كانت أختها تشاهد كل شيء، والدموع تنساب على وجهها.

\*\*\*

أدركت نيكي، من دون وعي تام بالأسباب، أن مكانتها في العائلة قد تهاوت إلى القاع. في نظر أمها، تحوّلت إلى لا شيء تقريبًا، كأنها لم تكن موجودة أصلًا. بينما نجحت أختها الصغيرة، بطريقة ما، في استمالة أمها لصالحها. صحيح أن سامي كانت تتعرّض للعنف أيضًا، لكنها كانت تتعامل مع الأمر بطريقة مختلفة. كانت تتحمّل الإساءة ثم تجد وسائل لاستمالة المعتدية بكلمات الحب. وعادت تلك المهارة الفريدة بالنفع على سامي.

قالت نيكي متذكّرةً: "كانت بارعة في تمّلق أمي. كانت سامي تحصل دومًا على ما تريد بالدفاع عن نفسها. وهذا ما أنقذها. لم تركز أمي كثيرًا على سامي لأنها كانت تحظى بأصدقاء، وربما خطر ببالها أنها ستشتكي يومًا ما. ولم أكن أمتع بما تمتلكه سامي؛ قدرتها على التّملق أو الأصدقاء. ولم أعتقد أيضًا أن أحدًا قد يهتم بحالي".

تعلمت سامي أن تكون مسالمة ولا تضغط بشدة لمحاولة الإفلات من عقاب كان سيأتي لا محالة بغضّ النظر عمّا قالت. لم تفهم نيكي ذلك. أو أنها رفضت فهمه. وواصلت المقاومة.

تذكّرت سامي واقعةً عندما جُلِدَت نيكي بالسوط. تزايدت الضربات لأنها لم تتقبّل العقوبة بهدوء. بل قاومتها.

قالت سامي متذكّرةً: "ركضت نيكي لكن أُمي أمسكت بها. وأوسععتها ضربًا حتى لم تُعد قادرة على المشي. اصطبغت مؤخرتها بلون أحمر قان".

أدركت سامي، رغم أنها تصغر شقيقتها بأربع سنوات، أنها إذا تحالفت مع أمها، ستمكّن من تجنّب بعض العقوبات. من حين لآخر كانت تشي بها. لكنها لم تفعل ذلك كثيرًا، لأنها أحبّت شقيقتها الكبرى. أما نيكي، فلم تضع ثقتها التامة بسامي، لكنها لم تتمنّ لها أبدًا أن تتلقّى المعاملة نفسها.

في الواقع، كانت شيلي تحبّ التمييز. وفي معظم الأحيان، كانت سامي هي المفضّلة.

غيّرت شيلي اسم سامي إلى سامي جو تيمّنًا بشخصية هيدر لوكليز في المسلسل الدرامي "السلالة". لاحقًا، ستتساءل سامي إن كانت أمها قد فعلت ذلك لإخفائها عن داني لونج، والدها البيولوجي، الذي علمت أنه كان يبحث عن ابنته حينذاك، ولكنها لم تكن قادرة على الجزم.

قالت شيلي بغتةً في إحدى الأمسيات: "لقد وُلِدَت سامي جو. لم نكن ندعوك بهذا الاسم. لكننا سنناديك الآن باسمك كما كان من المفترض أن يكون دائمًا".

على عكس نيكي التي قلّما حظيت بمحبة أمها، حظيت بها سامي -ودميتها راكوفي التي كانت على شكل راكون- في أحيان كثيرة. كانت شيلي تقيم حفلات باذخة، كعك وهدايا وزينة، للدّبّ الذي اشتراه ديف لسامي في بداية معرفته بالأسرة. لسنوات، كانت شيلي تقود سيارتها إلى متجر باسكن روبنز في أبردين لشراء كعكة آيس كريم، بل

وتدّعي أن الدمية راكوبي أكلت منها، بعد أن تحشوها بجوارب زوجها الرياضية وجوارب النايلون القديمة وتترك نصف الكعكة مأكولة، لتظهر لسامي ما فعله الكائن الصغير خلال الليل.

قالت سامي: "أمي تصير لطيفة متى تريد".



## الفصل الثاني عشر

لم تستطع نيكي أن تتذكر بدقة المدة التي احتجزتها فيها أمها في غرفتها بالطابق العلوي في منزل لاودرياك. ولم تتذكر كذلك السبب الذي دفع أمها لمعاقبها بهذه الطريقة تحديداً. لم تكن هناك أقفال على مقابض الأبواب؛ لذا استخدمت شيلي سكين تقطيع اللحم وثبَّتته في إطار الباب لمنع ابنتها من الخروج. كانت تلجأ لهذه الطريقة كلما أرادت إبقاء أطفالها في مكانهم.

أخبرت شيلي نيكي أنها قبيحة وديمة الفائدة، وأنها بحاجة إلى وقت للتفكير في تصرفاتها السيئة. وأخبرتها أنها ستبقى هناك لفترة طويلة.

قالت شيلي: "بقدر ما يحتاج الأمر".

تذكَّرت نيكي لاحقاً أن هذا الاحتجاز ربما استمر طيلة الصيف.

قالت: "توقَّفت عن إحصاء الأيام".

في الواقع، لم تكن نيكي تكثر كثيراً كثيراً لحبسها في غرفتها أولاً ثم الخزانة. كانت الخزانة ضيقة و خانقة وبلا نوافذ. ومع مرور الوقت، وجدت في الحبس نوعاً من الراحة؛ إذ كان يضمن بقاءها بعيداً عن والديها.

كانت تسمع صوت السكين يتحرك. ثم يُفتح الباب بقوة. فتقف منتبهة، دون خوف. وتواجه أمها بشجاعة.

قالت شيلي بحدّة بينما تناولها دلوّاً بلاستيكيّاً من متجر هوم ديپو في أبردين: "استخدميني هذا".

لم تكن بحاجة للسؤال عن الغرض منه.

خلال الأسابيع التالية، لم تسمح شيلي لنيكي بالخروج إلا لإفراغ الدلو. كما لم تسمح لها بتبادل الحديث مع سامي.

أخبرت شيلي سامي سبب الحبس وأهمية عدم التواصل مع نيكي. قالت: "شقيقتك سيئة. هل تفهمين؟".

كذبت سامي قائلة: "نعم، يا أمي".

انتاب سامي القلق على نيكي. لقد حُبِسَتْ في غرفتها أيضاً، ولكن ليوم أو يومين فحسب.

في بعض الأحيان، كان يُسمح لسامي بالدخول إلى الغرفة لأخذ دلو نيكي. كانت تُفْرِغُه في الحمام بالطابق السفلي ثم تُسرع عائدةً إلى الطابق العلوي بينما كانت والدتها تقف عند الباب. وحاوَلت كذلك إبقاء التواصل مع أختها عن طريق إلقاء كيزان الصنوبر الصغيرة على نافذة غرفتها عندما كانت والدتها نائمة خلال النهار.

أدركت نيكي أنها سجين. لكن هذا السجن برأيها لا يخلو من مزايا. كانت بمعزل عن تقريع أمها اللاذع. ولم تُعَد مضطربةً لتوخي الحذر الشديد لتكتشف أنها قد ارتكبت خطأ رغم ذلك. والغريب

أنها شعرت بالحرية. والأفضل من ذلك عثورها على مجموعة الكتب الضخمة التي احتفظت بها أمها في خزانة الملابس الكبيرة في الغرفة. "اكتشفتُ مدى شغفي بالقراءة في ذلك الصيف. قرأتُ جميع سلسلة نانسي درو التي كانت لدي، ثم انتقلت إلى كتب جون سول ودين كونتز التي تمتلكها أمي. كانت تحب قصص الرعب. وكانت تحتفظ بصناديق مكتظة بالكتب الورقية، وقد قرأتها جميعاً".

عندما أنجبت كلبة الأسرة فريكلز، ألقت سامي كوز صنوبر على نافذة غرفة أختها لتبلغها الخبر.

همست: "ثمانية جراء!".

قالت نيكي: "أريد رؤيتهم". ثم وضعت إصبعها على شفيتها منبهةً أختها بالتزام الصمت.

أومأت سامي متفهمة.

كانت الكلبة فريكلز وصغارها مصدر سعادة.

أرسلت نيكي الدلو إلى أسفل مستخدمة حبلين من رداء الحمام ربطتهما معاً بطريقة شاهدهتها في أفلام الهروب من السجن. نظفت سامي الدلو جيداً، وعندما اطمأنت أن أمها لا تراقبها، أرسلت جروين إلى الأعلى، بينما الرعب يملأ قلبها خشية افتضاح أمرها.

عانقت نيكي الجروين لأطول فترة ممكنة، ثم أنزلتهما مرة أخرى إلى أختها.

\*\*\*

في النهاية تمَّ إطلاق سراح نيكي، لكن لم يمضِ وقت طويل حتى عاودت أمها الكرّة. كان من دأب شيلي أن تظل هادئة، ثم فجأة تتحرك بسرعة باحثة عن هدف. وكان الهدف في أغلب الأوقات نيكي.

من الشرفة. المغطاة، شاهدت سامي والدتها تطارد نيكي عبر أرجاء المنزل ثم في المطبخ. كانت شيلي تصرخ وتأمّر نيكي بالتوقف حتى تتمكن من معاقبتها.  
"سأضربك ضربًا مبرحًا!"

دَفَعَت شيلي ابنتها عبر اللوح الزجاجي لباب المطبخ. فتناثرت الشظايا في كل مكان، وأطلقت نيكي صرخة تشبه صرخة حيوان جريح. أفلتت شيلي من يدها الحزام، وأسرعت لمساعدة ابنتها التي كانت تنزف من عشرات الجروح. كانت الشظايا الزجاجية ملتصقة بقميصها وسروالها الملطّخين بالدماء. وأخذت نيكي تبكي، ولم تتفوّه بشيء. أصيبت بصدمة على الفور. وهرعت سامي، التي كانت تبكي أيضًا، لمساعدتها.

التقت عينا سامي بعيني أمها. وفي تلك اللحظة، حسبت أن والدتها لم تكن تقصد ما حدث. لكن رد فعل شيلي كان دائمًا الإنكار المشوب باللوم.

قالت شيلي: "انظري إلى ما اضطررت لفعله بسببك".

بعد هنيهة، وبينما الدماء تسيل من جسد ابنتها، غيَّرت شيلي فجأة نبرتها.

خرجت كلمات غريبة من فمها، كأنها بلغة أجنبية.  
"أنا آسفة".

كان الاعتذار صادمًا مثل الدماء التي لطّخت أرضية المطبخ حتى وصلت إلى الحمام.

رافقتا نيكي إلى الحمام، حيث أعدت شيلي حمّامًا دافئًا. لم تكن المياه شديدة السخونة، بل دافئة ولطيفة. ونزعت عنها برفق ملابسها المملّخة بالدماء، وساعدتها على الدخول إلى حوض الاستحمام.

اكتست المياه باللون الأحمر.

قالت مجددًا: "آسفة".

تمنت الفتاتان أن تكون أمهما نادمة حقًا على فعلتها. لعلها أدركت أنها تجاوزت الحدود. وراودهما الأمل في حدوث ذلك، لا سيما أن شيلي صارت لطيفة مع نيكي بعد هذا الحادث؛ إذ اصطحبتها لتناول العشاء في أحد المطاعم، وأخذتها أيضًا إلى الكوافير لتصفيف شعرها. قالت نيكي متذكرة: "كنت أنا وهي فحسب. لم تفعل أمي ذلك من قبل".

برغم صغر سنّها، أدركت سامي أنه ينبغي لأمها نقل أختها إلى المستشفى بسبب الجروح التي غطت جسدها.

قالت سامي مفسرةً: "لكن أمي لم تفعل، لأنه لن تستطيع حينها تفسير الجروح وأثار ضربات الحزام والكدمات على جسد أختي. كنا نحملها جميعًا. وكانت جروح نيكي دومًا بليغة. ظللنا لسنوات عديدة نحمل آثارًا واضحة للإيذاء الذي ألحقته أمي بنا".

مع ذلك، لم تكن شيلي تمانع تمامًا اصطحاب بناتها للطبيب عند الحاجة.

ولكنها كانت تعالجهن بنفسها في بعض الأحيان.

لقد أمضت حياتها برؤيتها بين الممرضات، حتى إنها التحقت ببعض الدورات الطبية في جامعة كلارك في فانكوفر. وكثيرًا ما أبدت رغبتها في العودة إلى الكلية للحصول على درجة التمريض. لكنها زعمت أن تربية بناتها أهم من أحلامها وطموحاتها. كما احتفظت بمجموعة من الكتب الطبية وكتيبات الإسعافات الأولية في المنزل، وحين لم تكن منغمسة في رواية لستيفن كينج أو دين كونتز، كانت تنخرط في قراءة أحد الكتب الطبية.

تذُكر ديف نوتيك أن زوجته أجرت له ذات مرة عملية جراحية لإزالة كيس كبير من ظهره.

سكنت له شيلى عدة أكواب من الويسكي لتخديره، ثم استخدمت سكيناً صغيراً لشق جلدده وإخراج الكيس. كان يشعر بالألم، ولكنه كان واثقاً أن شيلى تعرف ما تفعله.

قال متذكراً: "لم تكن عملية خطيرة. اعتاد والدها إزالة الثآليل من أصابعها وأشياء من هذا القبيل. لقد فتحته بطريقة ما وانثق للخارج ثم قَطَعْتَه. وتمَّ الأمر بنجاح".

\*\*\*

رغم شدة الإساءات وتكرارها المروع في منزل عائلة نوتيك، لم تسمع لارا واطسن حفيدتيها تتكلمان بالسوء عن أحدهما. ولم تكشفاً ولو لمرة واحدة عمّا كان يحدث معهما.

عبارة "أمي غريبة الأطوار" كانت أقصى ما أفصحنا عنه.

ذات مرة، زارتهم لارا للاحتفال بعيد ميلاد نيكي. كانت ليلة صيفية حارة، وكان من المقرر أن تنام في غرفة نيكي بالطابق الثاني. وعندما حاولت فتح النوافذ، بسبب القيقظ، اكتشفت أنها موصدة بالمسامير. وأشارت الفتاتان إلى أن والدتهما فعلت ذلك، لسبب لا تستطيعان تذكُره.

في صباح اليوم التالي، لاحظت لارا وجود مزلاج خارجي على بابي غرفتي النوم.

طلبت من الفتاتين تفسير ذلك، لكنهما اعتبرت الأمر شيئاً عادياً تفعله أمهما.

فشيلي كانت غريبة الأطوار.

## الفصل الثالث عشر

بالنسبة للصبي الذي قضى نصف أيامه في شوارع تاكوما، كانت رايمند تمثّل ملجأً أكثر من مجرد مكان. كان شين واطسن ابن بول، شقيق شيلي، والذي قضى فترات متقطعة في السجن. فوجّهت شيلي انتباهها نحو شين، ظاهرياً لمساعدته على الخروج من وضعه الصعب. وطيلة سنوات، تناقشت مع ديف بشأن إيواء الصبي، وربما تبنيّه، لكن ديف رفض الفكرة؛ إذ كان يجد صعوبة في مواكبة تبيذرها.

كانت شيلي تتجاهل زوجها كلياً، كدأبها في التعامل مع أي شيء -أو أي شخص- يعترض طريقها. كانت دومًا على حقٍّ، ومخالفتها يعني أن الآخر أحمق وجبان وأناني.

ورغم بُعد شين عنها بمسافة طويلة، فإنها أرسلت له سيلاً من الرسائل الحنونة.

في أكتوبر عام 1985، عندما كان شين في العاشرة من عمره، كتبت شيلي الرسالة التالية ووقّعتها بأسماء الجميع: "لم يمضِ وقت طويل

على غيابك، ولكننا نفتقدك بشدة. سنراك عمًا قريب. بالتأكيد في عطلة نهاية الأسبوع القادم. نحن نحبك كثيرًا! زوج عمك ديف يقول لك: 'مرحبًا أيها الرجل الكبير! أفتقدك!''.

في الواقع، لم يكن لدى شين مكان آخر يذهب إليه عندما وصل إلى رايمند في منتصف عام 1988. هرب والده، بول واطسن، من باتل جراوند في سنّ الخامسة عشرة، حاسبًا أنه تسبّب في حمل إحدى الفتيات. وتبيّن فيما بعد أن ظنه كان خاطئًا. غير أن بول ظلّ بعيدًا، وانغمس في حياة الجريمة وتورط مع عصابات الدراجات النارية، ولم يظهر إلا لفترة وجيزة في سنّ الثامنة عشرة وبردفته صديقة حبلى تنحدر من سكان ألاسكا الأصليين. وُلد شين في يونيو 1975. وعاش حياة ترحال شاقّة يكسوها العنف المبالغت والتعصب، مع أبٍ دائم التَنقُّل وأمّ تعاني من مشكلات مُدمّرة، بما فيها تعاطي المخدرات. بيّد أن شين تمكن من التأقلم بطريقة ما.

جلب شين معه إلى منزل آل نوتيك الأمل والتفاؤل، سواء أكان ذلك تصنّعًا أو حقيقيًا. لم تكسر الحياةً روحه. صحيح أنه كان أكثر خبرة بحياة الشارع من الفتاتين؛ نيكي التي كانت في الرابعة عشرة وسامي البالغة من العمر عشر سنوات، مقارنةً به بأعوامه الثلاثة عشر، لكنه كان لطيفًا أيضًا.

كان شين كأبي صبيّ في رايمند. أحبّ موسيقى الميتال الثقيلة وبون جوفي. وكانت عيناه وشعره الداكنان يبرزان أصوله العرقيّة. وانجذبت الفتيات إليه نظرًا لكونه الوافد الجديد، وأُعجبن بشخصيته المرحة الخفيفة التي أسرت قلوب الجميع. وتعلّقت الشقيقتان به منذ الوهلة الأولى. كان أكثر من ابن خالٍ، أقرب إلى الأخ. لم تكن الابتسامات والنكات تفارقان شفثيه. وتقدّمت شيلي بطلب للحصول على مساعدات من وزارة الصحة والخدمات الاجتماعية لرعايته.

واشترت له ملابس مدرسية جديدة وأعدت له غرفة مريحة في القبو، زودتها بأغطية سرير جديدة، وساعدته على ترتيب أغراضه القليلة التي جلبها معه ليشعر بالراحة في بيته الجديد.

وسرعان ما أصبح ينادي شيلي بـ"أمي" وديف بـ"أبي".

كان شين فتىً ودودًا، ولكنه أيضًا ترعرع في حيِّ قاسٍ بالمدينة. لم يتحدث كثيرًا عن حياته السابقة قبل رايمند. ذات مرة، خلال رحلة عائلية، نام هو والفتاتان في أكياس النوم في صندوق الشاحنة. كانت المرة الوحيدة التي فتح فيها ابن خالهما قلبه، وأطلعهما على طفولته مع أبٍ درّاجٍ وأمٍ مدمنة على المخدرات. كان غاضبًا ممّا حدث له في تاكوما وتنقله من مكان إلى آخر حتى استقرَّ به العيش مع آل نوتيك. وبعد انتقاله إلى رايمند، قلّمَا سمع أخبارًا عن أهله، باستثناء جدِّه لأُمّه، وبالطبع لارا.

قالت نيكي: "كان شين مختلفًا تمامًا عن أهله. كنت واثقة أنه لن يتورط في مشكلات مع الشرطة، أو يدمن المخدرات، أو ما يشابهها من أمور. لم يراودني أبدًا إحساس أنه سيسير على خطى والديه. كان شين فتىً صالحًا".

لم تمض فترة طويلة على وصول ابن أخيها، حتى كلّفته شيلي بقائمة مهام لا تنتهي.

قالت نيكي بعد سنوات: "كانت أمي تستنزف شين في العمل. قام بكل شيء. في البداية طواعية، ثم في النهاية كان يطيع مُجبرًا جميع أوامرها".

قضى شين معظم وقته في أداء الأعمال المنزلية. وأحيانًا كان يجد متسعًا من الوقت للذهاب بدراجته النارية إلى الغابة. كان يصطحب سامي معه في بعض الأحيان، ولكن نيكي ظلت صديقه المقرب، رغم

أنها تكبره بشهور قليلة. تفهّمت معاناته كشخص غريب في المدرسة والمنزل. وعرفت، مثل شين، الدور الذي لعبته أمها في ذلك.

كان شين يخاف من شيلى. ومثل الفتاتين، كان يفعل أي شيء لتجنّب غضبها. وشرعت شيلى توليه انتباهها، وتلقي على كاهله مزيداً من المهام في المنزل والفناء. وإذا لم يكن ينفذ المطلوب بحذافيره، كان يدفع الثمن. فاخفت أغراضه من غرفته في القبو؛ وسادته وبطانيته ثم سريره. وأمرته شيلى بالنوم على الأرض. ورغم تدمّره، فإنه سرعان ما تعلّم أن الاعتراضات ستزيد العقوبات سوءاً.

وما لبثت أن حرمته شيلى من الاستحمام مرة كل أسبوعين. وأعطته طقمًا واحدًا من الملابس المدرسية. وتحوّل شين من الفتى الجديد اللطيف إلى فتى كرهه الرائحة ومتمسّخ الثياب وغريب الأطوار.

\*\*\*

بعد فترة وجيزة من انتقال شين للعيش مع عائلة نوتيك، سافرت لارا واطسن إلى الشمال. وكانت مثل هذه الزيارات محفوفة بالمخاطر دومًا. فتارة كانت تصل محمّلة بالهدايا وتضطر لتركها عند الباب لعدم وجود أحد بالمنزل، رغم الاتفاق المسبق. وتارة أخرى، كانت تنتظر في سيارتها لساعات طويلة ريثما تعود الأم والفتاتان إلى المنزل، وتستقبلها شيلى باعتذارٍ واهن عن خلط المواعيد أو وجود أمر طارئ استدعى حضورها إلى أبردين أو أولمبيا. ولكن هذه المرة، كانت شيلى والفتاتان وشين في المنزل عندما وصلت. وبينما كانت شيلى تشاهد التلفاز، أمضت لارا الوقت مع الفتاتين في غرفتيهما بالطابق الثاني. كان كل شيء بالطابق العلوي رائعًا. فكانت غرفتا نيكي وسامي نظيفتين ومنظمتين وخاليتين من الفوضى، على عكس غرفة شيلى حين كانت في باتل جراوند.

حرصت لارا على رؤية غرفة نوم حفيدها أيضًا. ومع وجود شيلي خلفها مباشرة، نزلت بحذر الدَّرَج الخشبي المنحدر المفضي إلى القبو. وفي منتصف الدرج، كادت لارا تختنق. كانت رائحة وقود الديزل المستخدم لتدفئة المنزل القديم قويَّة جدًا ولاذعة، ملأت رئتيها وأسالت الدموع من عينيها.

قالت شيلي: "لقد ملأت خزان الديزل للتو. سيعود الرجل لإصلاح المشكلة".

تجاوزت لارا الباب الصغير المؤدي إلى غرفة الفرن، واتَّجَهت إلى مقدمة القبو حيث كان شين ينام على مرتبة على الأرض الأسمنتية. تَلَفَّت حولها بدهشة. لم يكن الوضع مقبولًا على الإطلاق. تساءلت: "أين فراشه؟".

لم تجب شيلي.

نظرت لارا إليها بغضب وذهول تام وقالت: "إنه بحاجة إلى فراش، يا شيلي. ما الخطب؟ إذا لم يكن لديك المال... سأعطيك إياه". وقفت شيلي صامته.

ألقت لارا نظرة سريعة أخرى على الغرفة.

"يحتاج إلى خزانة ملابس أيضًا".

تذرَّعت شيلي بحجج واهية لانشغالها الشديد بعدم تمكُّنها من تجهيز غرفة شين بالكامل، لكنها أخذت المال.

بعد فترة وجيزة، علمت لارا أن شيلي قد اشترت فراشًا لشين في النهاية. وتراءى لها أنه لولا ضغطها على شيلي، لما فكَّرت في شرائه. بل وما اهتمَّت بالأمر من الأساس.



## الفصل الرابع عشر

لاحظت نيكي الأسلوب الذي تتصرّف به الأمهات في التلفاز. راقبتهم بينما يستمعن لأطفالهن ويطمئنونهم بالكلمات الحنونة واللمسات الحانية. وانتبهت كذلك لسلوك أمهات أخريات في المدينة، وطريقة تفاعلهنّ مع أطفالهن أو أزواجهن. لم يكن هناك صراخ أو ضرب. لم يُجبرن أطفالهن على القيام بأشياء غريبة، مؤلمة جسدياً ومهينة نفسياً، يعجزون عن البوح بها. وفطنت نيكي إلى أن والدتها ليست امرأة طبيعية. وعندما أقام شين معهم، راحت تثرثر معه لساعات عن مدى جنون شيلي.

لم يكن شين متسامحاً مثل نيكي.

قال: "كلامها مجرد كذب وهراء".

قالت نيكي: "أعلم. ولكن ثمة لحظات...".

قاطعها شين: "أي لحظات؟".

"لحظات أظنُّ حينها أنها تحبُّنا حقًا. تجعلني أشعر بأنني محبوبة ويختفي كل جنونها".

قال مذكرًا إياها: "لفترة وجيزة فحسب، يا نيك. ثم يعود كل شيء لسابق عهده".

أقرت نيكى بكلامه. ربما كان من الصعب على شين أن يفهم حقًا مصدر مشاعرها. لقد أحبَّتها والدتها ذات يوم. ولكنه كان حبًّا عابرًا ولم يدُم طويلًا. غير أنها تمَّنت من أعماق قلبها أن يعود. رغم كل ما فعلته شيلي.

بعد سنوات، ستجد صعوبة في أن تشرح للآخرين تعلقها بشخص مؤذٍ مثل أمها.

"ربما لأنني في طفولتي كنت أتعلم عليها، لأنها أمي، لم أفكر قطُّ أن لديَّ خيارات أخرى سوى التعايش معها. وعندما كبرت، صرت أُلوم نفسي على عدم القيام بأي خطوة لمساعدة نفسي آنذاك. كانت أمي تُظهِر المودَّة والحنان متى تشاء... ثم تضربني وتسيء معاملتي، وفي اليوم التالي تعانقني أو تخبرني أنني ابنتها المحبوبة وهكذا دواليك. أعتقد أن العلاقة بيننا اتبعت نمط العلاقات المؤذية... تشعر الضحية بالحصار، لا مفرًّا أمامها ولا مهرب... تتعرَّض للإيذاء ثم يعطيها المؤذي جرعة من الحب ليحافظ على سيطرته عليها، فتستسلم وتخضع، ولا تفكر في المرة التالية التي ستتعرَّض فيها للإساءة. كل ما تشعر به هو الراحة لأن الإيذاء قد انتهى (مؤقتًا). كانت أمي قبله موقوتة... ولم أكن أعرف متى ستنفجر. كانت الأوضاع تغدو رائعة لبضعة أيام ثم تسوء بغتة. لقد أحببت والدتي لأنني لم أكن أعلم أن لديَّ خيارًا آخر. كنت مُرغمَةً على حبها".

\*\*\*

أجبرت شيلي الأطفال على القيام ببعض الأفعال المحرجة، وأحياناً المؤلمة. بعضها كان سخيلاً تماماً، وكأنها تجري اختبارات لتري مدى قدرتها على التماذي. كان شين يتعرّض للضرب ويُرغم على التمرغ في الوحل، ويُنعّت بأقذع الألفاظ. فصار هو ونيكي مثل جنديّين في المعتقل، وأصبحا متأمريّن لا يفترقان.

تفنّنت شيلي في ابتكار أساليب جديدة لإذلالهما. أمرتهما بخلع ملابسهما في غرفة المعيشة عقاباً على أخطاء لا يتذكرها أحد. وشاهدت سامي أختها وابن خالها يرقصان ببطء وهما عاريين بناءً على أوامر أمها.

قالت شيلي: "واصل الرقص حتى أمركما بالتوقف".

راقبت سامي المشهد باشمئزاز. وشعرت بالارتياح لأنها لم تكن مكان أختها. كانت شديدة الحياء حتى إنها تخجل من ارتداء ثوب السباحة. وما كان يحدث أمامها تجاوز الإذلال.

ولهذا السبب طلبت أمهما من شين ونيكي القيام بذلك.

في بعض الأحيان كان ديف يشاهد الرقص.

قالت سامي: "كان والدي يجلس ببساطة هناك. وكانت أختي وشين يبكيان طوال الوقت. يطيعان دون نقاش، لأنهما لا يجروان على عصيان أوامر أمي".

لاحقاً بعد سنوات، ستحاول لارا واطسن جاهدةً البحث عن سبب هوس ابنة زوجها بالتعري. كان أمراً مفاجئاً وغير متوقّع. لم تستطع لارا إيجاد علاقة سببية بين طفولة شيلي وهذا السلوك تحديداً.

قالت لارا: "لم يرني أحدٌ من أطفالي قطُّ وأنا أرتدي ملابس داخلية. كنت ألبس رداءً دائماً. ولم يكن والدهم يتجول في المنزل عارياً أو حتى

يسبح بلا ملابس. كان ليس يستحم مع الأولاد عندما يذهبون للتخييم ولكن لم يحدث ذلك يوماً مع شيلي".  
لم تكن لديها فكرة عن مصدر ذلك الهوس.

لعل شيئاً غريباً قد حدث حين كانت شيلي تقيم مع جدتها آنا. كان هذا وارداً، رغم أنه غير محتمل.  
"أظن أن شيلي كانت ستخبرني حينها. حقاً أعتقد ذلك. لا أعرف مصدر هذا السلوك".

كانت حياة شيلي مع أمها البيولوجية، قبل أن تهجر شارون واطسن أطفالها وتعود إلى كاليفورنيا، مُحاطةً بستار من الغموض. قالت لارا بتمعُن: "ربما حدث شيء لها هناك. ليس لديّ أدنى فكرة. كانت شارون مدمنة كحول. وربما أصابها خطب. لا أحسب أننا سنعرف الحقيقة أبداً".

أضافت لارا أن شيلي كانت شديدة الحياء في طفولتها. كانت تبدل ثيابها في غرفتها وتغلق عليها الباب. ولم تكن تتجول أبداً في باتل جراوند بملابس مكشوفة. لم تفعل شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق. كان التعري، في نظر الأبناء، يتعلّق بالقوة أكثر من كونه يتعلّق بالجنسانية. رأت سامي أن أمها استخدمت التعري لإذلال ضحاياها، وأيضاً لمنعهم من الهروب. كان التعري القسري إحدى الوسائل الغريبة والمهينة التي اتبعتها شيلي لطمس هوية ضحاياها.  
وكذلك سلبهم القدرة على الرحيل.

## الفصل الخامس عشر

حلَّ الشتاء، وتوارت الشمس خلف أشجار التُّنُوب المحيطة بمنزل لاودرباك من جميع الجهات. وتدلت القطع الجليدية من الأفاريز المثلثة بالأوراق وإبر الصنوبر. وأخذ الثلج يتكسر بصوت مسموع تحت الأقدام. خيَّم جوُّ من التوتر على المنزل منذ عودة نيكي وشين من المدرسة. كانت العودة للمنزل تعني استعدادهما لكمين مفاجئ أعدته شيلي، التي اعتادت الجلوس أمام التلفاز وتناول ألواح شوكولاتة "أو هنري"، بينما يختمر رأسها بمكيدة جديدة تجعلهما يدفعان الثمن.

كان هناك شعور قوي بأن شيئًا ما سيحدث، كأنه طاقة غريبة تكتنف الجو وتُطبِق على رقبتَي الفتى والفتاة.

صرخت شيلي: "اخلعا ملابسكما! الآن!".

ليس هذا.

ليس مجددًا.

أحياناً، كانا يتحديان أوامرهما المهينة. لكن ذلك لم يكن يجدي نفعاً، بل يؤجج حنق شيلي، وكان إغضابها، الذي يصبغ وجهها باللون الأحمر ويجعل عينيها تجحطان، أشبه بتحدي وحشٍ على وشك الفتك بضحيته. وفي أغلب الأحيان، كانا ببساطة يستسلمان. ومثلما لم تستطع نيكي تذكّر ما فعلته بالضبط لإشعال غضب أمها، لم تفهم كذلك سبب عدم مقاومتها بضراوةٍ مع ابن خالها.

قالت بينما تعصر ذهنها لاحقاً لتحديد سبب بعينه وراء اختيارها هي وشين في ذلك اليوم: "لا بُدَّ أن ثمة سبباً لذلك. وبصراحة لا أتذكره إطلاقاً".

خلعا ملابسهما، وحسبا أنهما سيُجبران على التمرُّغ في الوحل معاً، ولكن ديثف لم يكن في المنزل وقتذاك. كان دائماً يشرف على هذه العملية؛ يقف في الظلام، ويدير الخرطوم حريصاً على تنفيذ أوامر زوجته القاطعة. لكن العقوبة الآن جديدة، ولم يكن أي منهما يعرف بالضبط ما ستنتوي عليه. أمرتهما شيلي بالذهاب إلى مكان على التلّ خلف المنزل والجلوس هناك وظهراهما متلاصقان.

"ستبقيان هناك حتى آمركما بالعكس".

ثم عادت إلى المنزل لتشاهد التلفاز مع سامي.

قال شين بينما جسده يرتعش ومؤخّرتة تكاد تتجمد: "لقد سئمتُ من هذا الهراء، يا نيكي".

قالت نيكي، وقد تجمّد نصف جسدها العاري: "وأنا أيضاً".

انبعثت أنفاس دافئة من فم شين بينما قال: "أريد الخروج من هنا".

قالت نيكي: "وأنا أيضاً".

ظلاً يحدقان بالمنزل، ويتساءلان عما إذا كانت شيلي ستخرج بالخرطوم وتصبُّ عليهما الماء كعقاب إضافي.

لم يكن مستبعدًا أن تفعل ذلك.

أو ربما تأمر سامي بفعلها. كانت سامي المختارة، النزيلة المفضلة التي تنتقل بين العالمين، تشي بالآخرين لكسب الود.

ولمحاولة النجاة من هذا الجحيم.

أحيانًا، كانت نيكي وشين يسخران ممًا تفعله شيلي بهما، ولكنهما لم يفعلا في ذلك اليوم المتجمد على التل خلف المنزل.

قال شين: "هذا محض جنون. أنا أكره والدتك حقًا".

"وأنا أيضًا".

لم تكن نيكي توافق على كلام شين بشكل أعمى. كانت تكره أمها حقًا. لكنها ظنت في قرارة نفسها أن وجود أم أفضل من عدم وجودها على الإطلاق، رغم سوء معاملة شيلي لهم. لم يكن لدى شين عائلة أخرى. أليس من الأفضل أن يتمسك بها لديه؟

من سياج الشرفة، راقبت شيلي عدّة مرّات المراهقين بينما يرتعدان. لم يتحدث أيّ منهما. لم يكن الحديث يشتم انتباه شيلي؛ بل كان يزيد من تغليظ العقوبة.

قال شين بعد دخول شيلي إلى المنزل: "يا لها من مجنونة!".

لم تستطع نيكي جداله فقالت: "نعم. إنها كذلك".

بينما جلسا هناك، مارسا لعبتهما المفضلة: قتل الأم. لم تكن لعبة حقيقية بالطبع. بل مجرد أحلام بالانتقام انغمسا فيها.

مثل وقت الاستحمام. كانت شيلي، بفرنسها شبه المفتوح دائمًا، تكلف شين ونيكي بتجهيز حمام ساخن.

"أعدّ الحمام الآن!"، هكذا كانت شيلي تأمرهما، متى شعرت بالرغبة في ذلك.

كان الفتى والفتاة يذهبان إلى الحمام ويشرعان في ملء حوض الاستحمام. وكانت نيكي تضيف فقاعات الاستحمام، بينما شين يراقب. لم تكن شيلى تفضّل رائحة معيّنة، بل تستخدم ما هو معروض للبيع. الخزامى. الورد. الياسمين. كانت نيكي تجلس على حافة الحوض، بينما تتشكّل كومة هائلة من الرغوة، وتختبر حرارة الماء. يجب أن تكون درجة الحرارة مناسبة تمامًا.

ساخنة، ولكن ليست شديدة الحرارة.

كان شين يراقب الرغوة تتزايد وبيتسم.

كان يقول: "يجب أن نحضر راديو هنا".

فتفهم نيكي مقصده على الفور، وتنظر إليه مبتسمة.

كان شين يومئ برأسه ويقول: "ونلقيه في الماء عندما تدخل الحوض".

كانت تقول: "فكرة جيدة".

ورغم كونها مجرد مزحة، فإنها كانت كذلك من الأفكار التي قوّت أواصر العلاقة بينهما.

كانا يكفّان عن الحديث عندما تعود شيلى، وتنزع عنها البرنس، وتركه يسقط على الأرض وتدخل إلى الحوض. ثم تتلاشى فكرتهما الخيالية العابرة لإنهاء معاناتهما عن طريق صعقها بالكهرباء. ورغم كل ما فعلته بهما، لم يجرؤا على إيذائها.

كان الظلام حالًا عندما أمرتهما شيلى بالنزول من التل والدخول إلى المنزل لتدفئة جسديهما.

قالت: "أمل أن تكونا قد اتّعظتُمَا".

ردًا أنهما كذلك، رغم جهلها التام بما فعلاه وأثار حنقها.

## الجزء الثالث

### أعزُّ صديقة كاثي



## الفصل السادس عشر

لطالما كان منزل لاودرباك في ويلبا القديمة منزل سامي المفضّل في طفولتها. وكان موقعه المعزول في نهاية الطريق يجعله يبدو كوجهة فريدة في الغابة مخفية بين أشجار التّئوب العتيقة والعملاقة، والتي ستسقط في نهاية المطاف تحت وطأة مناشير الحطّابين.

في سنّ السادسة، أمضت سامي عامين في روضة أطفال نصف يوميّة، لأن والدتها فضّلت إبقائها في المنزل لتؤنسها في أثناء مشاهدة كافة المسلسلات الدرامية المعروضة على قناة إيه بي سي. وتشكّلت العلاقة بين الأم والابنة على الأريكة بينما كانتا تتابعان المسلسلات وتتناولان شطائر المخلل وسمك التونة.

أما نيكي فلم تكن لديها ذكريات سعيدة عن السنوات التي قضتها في منزل لاودرباك.

كانت في التاسعة من عمرها عندما انتقلوا إلى المنزل الجديد، ورغم أنها تعرّضت للعقاب على يد أمها في المنازل السابقة، فإنه كان ضمن الحدود التي قد يعتبرها البعض مقبولة. أما ما فعلته شيلي بعد انتقالهم إلى منزل لادورباك، فقد تجاوز المألوف بمراحل. كما تغيّر الوضع في الأسرة أيضاً مع قدوم أشخاص جُدد للعيش معهم. جاء شين أولاً ليقدم معهم، ثم وصلت كاثي.

كانت كاثي لورينو في البداية صديقة لشيلي، ثم تولّت دور مُربيّة أطفالها. كانت مُصفّفة شعرها وصديقتها، والمرأة التي حضرت حفل زواجها. كانت كاثي فارعة القامة، إذ تجاوز طولها 180 سم تقريباً. وكان تترك شعرها البني مسترسلاً ينساب في تموجاتٍ مُجعّدة، ولكنها كحال عديد من مصفّفي الشعر، اعتادت تغيير مظهرها في كل موسم تقريباً. طويل، قصير، مجعّد، مستقيم. كانت تتعامل مع الأمر بروح مرحة، وتدع الفتاتين تجربّان مكوّاة تجعيد الشعر لعمل تسريحة جديدة.

سامي، التي كانت دوّمًا الأكثر استعداداً للتأقلم مع الآخرين، أحبّت كاثي على الفور. "كانت كاثي متسلّطة. هكذا رأها [شين ونيكي]. صحيح أنها كانت كذلك، لكنني أحببتها. اعتبرتّها الأم التي تمثّيتُ أن أحظى بها. وقبل أن تنتقل للعيش معنا، دأبت على زيارتنا وتصفيّف شعري وشعور صديقاتي بقصّات متموّجة. واعتادت أن تحضر أدواتها وتصفّف شعرنا. كانت امرأة رائعة".

استاء شين ونيكي من وجود شخص آخر يتحكّم في حياتهما. في البداية، لم يكونا يطيقان كاثي، رغم أن اللوم لا يقع عليها حقًا. لقد أرغمت على تويّ دور الأم. ولم يكونا بحاجة إلى أمٍ أخرى أو مربية أطفال.

في عيد الميلاد لعام 1988، حملت شيلى، التي كانت في سنّ الرابعة والثلاثين، بطفلها الثالث؛ ما أفضى مزيداً من البهجة على الأجواء. وشعرت نيكي وسامي وشين بالسرور لانضمام فرد جديد إلى العائلة. ولم يكن أحدٌ منهم يعلم بخطة شيلى لإضافة ربّ أسرةٍ آخر.

أعلنت شيلى: "كاثي ستنتقل للعيش معنا".

جاء التصريح مفاجأة للجميع، وليس للأطفال فحسب. كان ديف يعلم أن شيلى تربطها علاقة صداقة قوية مع مُصفّفة شَعْرها، ولكن انتقالها للعيش معهم كان مفاجأة صاعقة.

سأل ديف: "لِمَ ستنتقل للعيش هنا؟".

أجابت شيلى: "عائلتها لا تريدها. إنها بحاجة إلى مكان تستقر فيه. كما أنها ستساعدني على رعاية الطفل كما تفعل القابِلة".

لم يجادل ديف، رغم رغبته في ذلك. لقد حاول سابقاً الاعتراض على انتقال شين للعيش معهم، ولكن والد شين كان مسجوناً، وكان الصبي بحاجة إلى بيئة مستقرّة كي لا يطأ عالم الإجرام. أدرك ديف أن شيلى قد حَسَمَت أمرها ولا تبالى برأيه مطلقاً.

نقلت شيلى وديف سرير كاثي المزدوج وخزانة ملابسها إلى المساحة الخالية بين غرفتي سامي ونيكي في الطابق العلوي. وزينا الجدران ببعض أغراض كاثي، وربّنا سلّة بَكرات خيوط الصوف وغيرها من الأشياء التي جلبتها معها. كانت في الثلاثين من عمرها، وعاطلةً عن العمل، بعدما أُقيلت من صالون التجميل، وكانت ممتنةً لوجودها مع صديقين طيبين مثلهما.

حسب الأطفال أن شيلى كانت تنتشل كاثي من حياة ماضية غير مرغوبة، وبدا أن كاثي سعيدة للغاية وممتنة. في البداية، أخبرتها شيلى بأنها ليست مضطّرةً للعمل، وأنهم سيتكفّلون برعايتها.

قالت لها شيلي: "ينبغي أن تبقي معنا، يا كاثي. سيكون الأمر ممتعًا للغاية. كما أنني بحاجة إليك".

كانت العبارة الأخيرة بمثابة الحافز الرئيسي الذي دفع كاثي للموافقة.

كانت شيلي بحاجة إلى كاثي بالتأكيد. في البداية، أخبرتها بأنها تحتاج إليها لمرافقتها إلى الفحوصات الطبية، ثم لرعاية المولود الجديد. ثم تحوّل الأمر إلى تربية أطفالها الأربعة المشاغبين الذين يحتاجون إلى حكمة كاثي ودعمها. وأبدت كاثي استعدادها للاضطلاع بهذه المسؤولية.

راحت نيكي تراقب الوافدة الجديدة بعين الريبة والقلق، وتتفحص بدقة مصففة شعر والدتها وصديقتها المتسلطة. ولاحظت العلاقة التي تتطوّر بين كاثي وأمها. كانت كاثي تعشق شيلي، وتستمع إلى كل كلمة تقولها بشغف، وكأنها بدت في نظرها أشبه بالإلهة التي تحتل مكانة أعلى من الجميع. وظهر جليًا أن كاثي تتقبّل ذلك بترحاب.

كانت كاثي تقول للأبناء بإصرار: "لا أحد يعمل بجدّ أكثر من أمكم. لا أفهم لماذا لا تبدلون مزيدًا من الجهد لمساعدتها؟".

إذا سمعت كاثي تعليقًا اعتبرته إساءة أدب تجاه شيلي، فإنها كانت تتنحّى بالمدنّب جانبًا وتوبّخه بهدوء.

"انتبه لكلامك! لا تتواثق".

أحبت سامي كاثي على الفور؛ ربما بسبب مكانتها الأثيرة لدى والدتها. أمّا نيكي وشين فاعتبراها امرأة متطفلة ومتحكّمة، وأن هدفها الوحيد هو تحويل حياتهما إلى جحيم بإملاء الأوامر عليهما. وكأنه صار لديهما أم أخرى. كانت شيلي -بلا ريب- قد أطلعت كاثي على أحوالهما؛ نيكي كانت متمرّدة أمّا شين فكان من الصعب تهذيبه.

قالت نيكي متذكرةً: "لم تعاملنا بقسوة. كانت تزورنا وتسمع صراخ أمي في وجوهنا باستمرار. ظننت أننا مجرد أطفال مشاغبين. كنا دائماً نتورط في المشكلات لأسباب مختلفة. كان شين يدخن السجائر أحياناً وقُبِض عليه مرة واحدة وكان بحوزته ماريجوانا. ظننت أن شين كان صبيّاً مزعجاً".

وإذا كانت معرفة كاثي بأطفال آل نوتيك قليلة، فمعرفتهم عنها كانت أقل بكثير.



## الفصل السابع عشر

كانت والدة كاٲي لورينو، كاي توماس، امرأة جَذابة سيئة الحظ في الزيجات طويلة الأمد. ترعرعت كاي بين أبويها في شمال هوليوود، كاليفورنيا، حيث كان والدها يعمل في هيئة الإذاعة الوطنية الأمريكية (NBC). واضطرت والدتها للعمل في مؤسسة لوكهيد لدعم الأسرة إبان فترة الحرب. وعندما كبرت كاي، حصلت على وظيفة في قسم مستحضرات التجميل الراقية في هوليوود. كانت حياة مترعة بالعمل الشاق مع لمسة من السحر والبريق.

تذكر كيلي، ابنة كاي الصغرى، أن والدتها كانت امرأة حزينة قلماً تعرف الابتسامة طريق شفيتها، ولكنها عملت بجد وهويت القراءة. وفي عام 1952، أنجبت أول مولود لها، وهو ابنٌ ذكر. تلاه فيما بعد بنتان، كاٲي وكيلي وابن آخر.

مكتبة

t.me/soramnqraa

ولدت كاثيري في صيف عام 1958 بشعر أشقر وأجمل عينين زرقاوين، مثل كُرتي زجاج زرقاوين كبيرتين. ورثت ملامح أمها، التي كانت قد عملت عارضة إعلانات لخبز لانجندورف في الثلاثينيات.

توالى مجيء الأزواج ورحيلهم، مع تنقُّل العائلة من مكان إلى آخر؛ لومبوك، وموربارك، وسيمي قالي. وُلِدَت كيلى بعد مجيء كاثيري بأربع سنوات، ثم تلاهما أخ آخر. ورغم شُح المال، نشأت كاثيري وإخوتها في أحياء الطبقة الوسطى، حيث عمل الآباء في السباكة والطباعة، بينما كرّست الأمهات حياتهن لرعاية الأطفال وشؤون المنزل. واعتاد الأطفال الخروج للعب في الصيف، والعودة للمنزل في وقت العشاء. وكانت كاثيري وكيلى تشاركان دائماً غرفة نوم ذات فراشين يفصل بينهما طاولة زينة. وكانت الدُملى والملابس التي تخطها أمهما مبعثرة في كل مكان. دأبتا على قراءة قصص ما قبل النوم من كتب طفولة أمهما كل ليلة تقريباً. وبالطبع، لم تكن حياتهم تخلو من المتاعب والمشكلات. فلطالما لاحقت المتاعب والدتهم كاي. ورغم ذلك، عاش الأطفال حياة سعيدة.

بعد وفاة زوجها، اشترت كاي مقطورة تخييم وانطلقت تجوب أنحاء كاليفورنيا برفقة الأطفال. وغدت هذه الرحلات مصدراً لذكريات لا تُنسى. صنعت كاثيري حقائب يد من بناطيل الجينز القديمة، وكانت الشقيقتان تملآن حقائبهما بالوجبات الخفيفة، وتصدان إلى سطح المقطورة، وتقضيان ساعات في مشاهدة الطريق والثرثرة. كانت كاثيري معجبة بالصبي الذي يقطن في الجهة المقابلة، لكن علاقتهما لم تتعدَّ حدود الصداقة. واعتادت أن تنتظر بفارغ الصبر كل شهرٍ صدور كتب داري هارلكوين وسيلويت. فكانت تشتريها جميعاً وتلتهمها قبل حلول الشهر التالي. كما عشقت موسيقى الريف، وكانت دولي بارتون وفرقة الإخوة جاتلين من الفنانين المفضلين لديها.

عندما بلغت كاثي الثامنة عشر عامًا تقريبًا، أخبرت كاي أبناءها أنهم متجهون شمالًا إلى ساوث بيند، واشنطن، لقضاء عطلة عائلية. وبعد أيام على الطريق وليالٍ في الفنادق الرخيصة، رغم أن الأطفال كانوا يحلمون بتجربة فندق مريح واحد على الأقل يضم حمام سباحة، وصلوا إلى مقاطعة باسيفيك في واشنطن.

قالت كيلى مستعيدة الذكريات: "كنا في فصل الصيف، والأجواء رمادية ومظلمة كعادة ساحل واشنطن".

بعد وقت قصير من الرحلة إلى الشمال، استقالت كاي من وظيفتها كطاهية في مطعم ثاوزند أوكس ستيكهاوس وأعلنت للأطفال الثلاثة الذين لا يزالون في المنزل: مكتبة سر من قرأ "سننتقل إلى واشنطن!".

وقع إعلان الانتقال كالصاعقة على الجميع. لم يكن أحد متحمسًا للفكرة؛ إذ كانوا يعيشون في منزل مستأجر كبير، على قطعة أرض في سيمي فاللي، يحتوي على أربع غرف نوم وست أشجار جوز؛ تُعدُّ مصدر دخل حيوي للعائلة في موسم أعياد الميلاد. لقد اعتبروه منزلهم بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لا سيما أن عائلتهم تعاقب عليها الآباء.

لم يكن لديهم أدنى فكرة عمَّا ينتظرهم، لكنهم جميعًا كانوا يعلمون ما ستركونه وراءهم.

لم تستطع كيلى، الأخت الصغرى، فهم سبب انتقال العائلة إلى واشنطن. فقد كانت كاي عاطلة ولم تكن تمتلك أموالًا كثيرة. ومع ذلك، اصطحبت أطفالها ووالدتها إلى ساوث بيند في صيف عام 1977. وكانت كاثي، البالغة من العمر تسعة عشر عامًا، في منتصف تدريب تجميل الشعر، ونقلت دراستها من سيمي فاللي إلى مدرسة تجميل في

أبردين. واستقرُّوا في منزل خشبي صغير يعود تاريخ بنائه إلى أوائل القرن العشرين، دفعت كاي مقابله أكثر من 25,000 دولارًا. لم تكن تعمل، ولم يتبقَّ معهم بعد شراء المنزل سوى أموال قليلة. قالت كيلي بحدة: "لم أفهم ما كان يدور في ذهن أمي. كيف سنتمكن من تدبير أمورنا؟".

واصلت كاثي دراستها في مدرسة التجميل، وحصلت على وظيفة في صالون تجميل بالمنطقة. ومع ذلك، كان من الصعب على شخص جديد مثل كاثي بناء قاعدة من الزبائن في مكان كمقاطعة باسيفيك. فمن المعروف أن غالبية مصفِّفي الشَّعر يعتمدون على الزبائن من الأصدقاء، ومعظم الصداقات تكون نتيجة علاقات طويلة الأمد. رغم صغر عدد سكان المقاطعة، فإن جدرانها كانت شاهقةً بالنسبة لوافدة شابةً مثل كاثي، الفتاة ذات الشخصية اللطيفة والخجولة أحيانًا، والتي شعرت وكأنها تقف أمام جدران حصينة يصعب اختراقها.

\*\*\*

تمتَّعت كيلي بشخصية أقوى بكثير من أختها. كانت أكثر إدراكًا لرغباتها وتطلُّعاتها في الحياة مقارنة بأختها الكبرى. كانت مُصمِّمةً على مغادرة ساوث بيند. وكانت ترغب في الالتحاق بالجامعة، وتحلم ببناء حياة زوجية سعيدة ومستقرة. أما كاثي، فكانت عالقة ومحاصرة. كانت لديها أحلام وطموحات، لكنها لم تعرف كيفية تحقيقها.

قالت كيلي متذكرةً: "استغلت أمي كاثي، التي كانت تسعى جاهدة لإرضاء الجميع. وحين عملت كاثي في صالون التجميل، صار لديها هي

وأمي حساب مصرفي مشترك. كانت أُمي تعمل، لكنها استخدمت راتب كاثي لتسديد الفواتير".

عندما احتاجت كيلى، التي لم تتعلم قيادة السيارة إلا في سنِّ الحادية والعشرين، إلى مَنْ يُقْلُها، كانت كاثي مَنْ تتولى المهمة دائماً. بالطبع كانت كيلى سعيدة بهذا الأمر، لكنها لم تتساءل أبداً عن سبب استعداد أختها الدائم لتقديم العون والمساعدة وإبداء اللطف والطيبة.

كانت كاثي في صغرها تتولَّى رعاية الأطفال مجاناً عندما تعلم أن الأسرة فقيرة. وذات مرة، اشتكت لإحدى جاراتها أن عائلتها لا تملك مالاً كافياً لقضاء العطلات، فتوافد على منزلهم مجموعة من الناس اللطفاء محمّلين بالهدايا. ومع ذلك، أخرج هذا الأمر كاي، رغم أنهم كانوا بحاجة ماسّة في الحقيقة. كانت كاثي مقتصدة للغاية وأدخّرت المال لتشتري لأُمها "خاتم الأم" في عيد الميلاد. وعندما بلغت والدتها عامها الخامس والأربعين، خطّطت كاثي لحفلة عيد ميلاد مفاجئة. كانت سخيّة ومعطاءة بلا حدود.

بعد سنوات عديدة، حين ذهبت كاثي لزيارة كيلى في سياتل لحضور حفل نيل ديامند، مرّتا بجوار متسول بالقرب من ساحة الحفل، ولم تردّد كاثي في مدّ يدها إلى حقيبتها لتعطيه بعض المال.

قالت كيلى لاحقاً عن الحياة في المدينة الكبيرة: "قلت لنفسي إن أختي لن تستطيع التأقلم في هذا المكان أبداً. إنها شديدة الطيبة". بعد وفاة والدهما في حادث عمل في موقع تصوير تلفزيوني، حصلت كاثي وشقيقها على تعويض مالي نتيجة دعوى قضائية بسبب القتل الخطأ. كانت كاثي تحلم بشراء سيارة جديدة، ربما من طراز كمارو أو ترانز آم. ولكن بناءً على إلحاح أحد أفراد العائلة، تخلّت كاثي عن أحلامها واستثمرت المال في منزل بالقرب من منزل والدتها.

كانت مستقلةً وتعمل في صالون تجميل في أبردين.

كانت تبني حياتها.

لكن هذا لم يدم طويلاً.

بغض النظر عن كل ما بذلته كاثي من جهد، لم تتمكن من تحقيق حجم المبيعات التي كان يريد لها أصحاب الصالون الرئيسيون. فقدت وظيفتها وأصيبت بالاكتئاب. كانت الأمور تسير عكس رغبتها. وبدأت تغرق مالياً، لدرجة أنها فقدت المنزل واضطرت للعودة للعيش مع والدتها. كانت ضربة قاسية ومُحزنة. وبعد فترة قصيرة من عودتها للعيش مع أمها، قيل لكاثي إنها بحاجة إلى دفع الإيجار. لقد فعلت الكثير من أجل والدتها، لكن هذه المرة تبدلت الأوضاع. لم يكن لديها مال على الإطلاق. ومع ذلك، كانت لديها صديقة صدوقة. حتى إنها حضرت حفل زفافها.

كان اسم هذه الصديقة شيلي نوتيك.

## الفصل الثامن عشر

رُزق ديف نوتيك بمولود جديد، وكانت الفترة الوحيدة التي شعر فيها بالسعادة الحقيقية طوال حياته الزوجية مع شيلي. وحملت هذه المناسبة كل مشاعر الترقُّب والفرح المصاحبة لقدوم مولود جديد. ولكن بوجود كاثي وشين في المنزل، فإن طفلاً جديداً كان يعني فماً آخر يجب إطعامه. وشعر ديف بالضغط المُلقى على كاهله بصفته المعيل الوحيد للأسرة، فاجتهد في العمل أكثر من أي وقت مضى. كان شين فرداً من العائلة، ورغم أنه كان بحاجة إلى التوجيه بين الحين والآخر فيما يتعلق بالأعمال المنزلية، فإن ديف اعتبره فتى صالحاً. من ناحية أخرى، كانت كاثي سندا لشيلي طوال فترة الحمل، ورافقتها إلى مواعيد الفحص السابقة للولادة، وساعدتها في متابعة علاج السرطان. كان ديف يعتبر حمل شيلي بحد ذاته خارقاً، نظراً لكل جرعات العلاج الكيميائي التي كانت تتلقاها لمحاربة السرطان،

لكنه لم يفصح لأحدٍ عن ذلك حينها. وفكّر أن هذا الطفل الجديد كان معجزةً لا جدال فيها.

حين أخبرت شيلي ديف أن الوقت قد حان للذهاب إلى المستشفى في أوليمبيا، أبلغته بأن كاثي ستأتي معها.

كانت المرة الأولى التي يسمع فيها ديف بهذه الخطة.

سأل: "ألن أقود أنا السيارة؟".

قالت: "نعم، ستتبعنا".

صدم ديف. "حقاً؟".

أنهت شيلي النقاش بحدة.

"لقد سمعت ما قلت، يا ديف".

ولكن عندما وُلِدَت توري نوتيك في الأسبوع الأول من يونيو عام 1989، كان ديف، وليس كاثي، من حملها بين ذراعيه أول مرة. كانت صغيرة جداً وملفوفة بإحكام، وبشرتها تميل إلى اللون الرمادي قليلاً، لكنها كانت أجمل شيء رآه في حياته على الإطلاق. كانت عيناها زرقاوين وشعرها أشقر مجعّداً.

قال: "لن أنسى ذلك أبداً. فتحت عينيها وكنت أول وجه تراه في حياتها".

قالت شيلي إن توري وُلِدَت مبتسرة برئتين غير مكتملتين النمو. وتراءى لديف آنذاك أن وجود كاثي للمساعدة كان نعمة من الله، وأنها -بلا ريب- خير معين لشيلي.

بعد عودتهم إلى المنزل بفترة وجيزة، أعلنت شيلي بطريقة دراماتيكية أن توري قد توقفت عن التنفس ولكنها تمكّنت من إنعاشها. وفي اليوم التالي، أخذتها شيلي وكاثي إلى المستشفى مرة أخرى،

حيث بقيت تحت مراقبة الفريق الطبي المختص بحديثي الولادة لمدة أسبوع تقريبًا.

قال ديف لاهقًا: "لا أعرف إن كانت شيلي قد أنقذتها فعلاً أم لا. لكن هذا ما أخبرتني به".

لفترة قصيرة، وبغض النظر عن المشكلات، كانت الأمور تسير على نحوٍ أفضل. وبدأت شيلي، التي كانت في منتصف الثلاثينيات آنذاك، تستشعر المتعة من القلق الدائم من أن مكروهاً قد يصيب الطفلة. ورغم أن توري لم تكن حقًا رضية مبتسرة، فإن شيلي أخبرت نيكي وسامي أن الولادة المبكرة بأسبوعٍ تسببت لأختهما الصغرى بمشكلة في القلب تتطلب المراقبة. عادت توري إلى المنزل وهي مزودة بسرير خاص وأجهزة مراقبة القلب.

في كل ليلة، وبعد أن تخلد الفتاتان للنوم، كانتا تستيقظان على أصوات المنبهات وأجواء الفزع التي تسود الطابق السفلي، فتهرعان إلى الأسفل وتجدان أمهما تحتضن الطفلة بعينين مذعورتين.

سألها سامي بنبرة قلقّة: "أهي بخير؟".

أجابت شيلي بينما تهدد توري جيئة وذهابًا: "إنها بخير الآن. إنها بخير".

كانت شيلي مصدر الهدوء في قلب العاصفة المرعبة، تمتصّ مشاعر القلق والخوف من ابنتيها وتبذل قصارى جهدها لطمأنتهما.

في إحدى المرات، نزلت نيكي إلى الأسفل لتجد أمها تمسك بوسادة فوق وجه توري.

قالت شيلي بينما ترفع رأسها عن الطفلة، وقد ارتسم على وجهها تعبير الدهشة: "إنها بخير الآن".

لم تكن أصوات المنبهات قد انطلقت بعد.

لقد جاءت نيكي مبكراً.

لاحقاً، تذكّرت نيكي حين ظهرت أمها في غرفتها وهي طفلة، وظنّتها حينها أنها وضعت وسادة على وجهها.

هل فعلت ذلك معهنّ جميعاً؟

بعد ذلك، شرّعت نيكي وسامي في مراقبة أختهما الرضيعة من كذب. لم يتحدّثا عمّا يشتبهان في وقوعه. لم يكن هناك حاجة لإثارة غضب شيلي. بدّت مهتمّةً بطفلتها الجديدة، ولكنه كان اهتماماً سطحياً. ومع مرور الأسابيع، تولّت كاثي والفتاتان دوراً أكبر في رعاية الطفلة.

عادت شيلي إلى مشاهدة التلفزيون والسهر طوال الليل.

مع ذلك، اعتبر ديف شيلي أفضل أمّ عرفها في حياته.

قال لاحقاً: "كانت رائعة مع الرضيع. لم أرَ أمّاً أفضل منها قطّ تتعامل مع الأطفال".

دأبت شيلي أثناء فترة رضاعة بناتها على الاستمتاع بتحميمهنّ وتغيير ملابسهن، واستعراضهن أمام الآخرين، كأنها تستلذّ بالاهتمام المصاحب للأمومة. ولكن ما أن تكبر الطفلة، حتى يتضاءل اهتمام شيلي بها تدريجياً. وظلت تنقل اهتمامها من ابنة إلى أخرى حتى استقرّ على توري، وغدت محطّ اهتمامها طوال اليوم، وكل يوم.

بعد سنوات عديدة، جاء والد سامي، داني، لزيارتها، وأخبرها بشيء غير نظرتها بالكامل إلى كيفية اهتمام والدتها بالأطفال بخلاف ما سمعته من ديف نوتيك.

قالت سامي عن والدتها: "لطالما ظننّتها أنها كانت أفضل مع الرضيع مقارنة بالأطفال الأكبر، خاصّةً كلّما كبرنا". ولكن في النهاية ارتابت حتى في صحّة هذا الاعتقاد. "أخبرني والدي البيولوجي أنه

شاهد والدتي تنهض فجأة من الأريكة وتركض إلى مهدي لتمسك بي. أرادت أن تظهر وكأنها كانت تحملني طوال الوقت. لكنها لم تكن كذلك. أدرك أنها كانت تتركني في مهدي طوال اليوم؛ فالحفّاضات كانت متسخة، وزجاجات الرضاعة مُلقاة بإهمال، والطفح الجلدي بسبب الحفاضات كان رهيبًا".

بالنسبة لشخصٍ اعتاد إخفاء أسرار كثيرة، صارت شيلى خبيرة في إخفاء الأمور عن الأنظار. هذه المهارة ستساعدها على كتمان أحلك أسرارها عن عائلتها.  
وعن السُّلطات أيضًا.



## الفصل التاسع عشر

تجمّع الأطفال حول سامي، فتاة عيد الميلاد، لإطفاء كعكة عيد الميلاد وردية اللون التي تعلوها شموع بيضاء يتراقص لهبها. كانت شيلي تحب الاحتفال بالأعياد والمناسبات الخاصة بشكل مُلفت للنظر. وكانت أعياد الميلاد حدثًا مهمًا للغاية بالنسبة لها. بغضّ النظر عن ضيق الحال أو حتى انعدام المال؛ دأبت شيلي على إيجاد وسيلة لتكديس الهدايا وملء الثلاجة بالحلوى. انقضّت سامي على جبل الهدايا المكّدس أمامها على طاولة النزهة في الشرفة. أهدتها شيلي دمية "بوبل"، وكانت دُميةً مَحشوّةً طمحت جميع الفتيات في الحصول عليها في تلك السنة. بينما أهدتها كاثي قلادةً ذهبيةً يتدلّى منها قلب صغير. سعدت بها سامي للغاية وارتدتها على الفور. كانت مجوهرات حقيقية، وكانت مميّزةً بشكل خاص لأن كاثي كانت مميّزة.

وبينما راح الجميع يقضون وقتًا رائعًا، تعكّر صفو الأجواء بسؤال من أمها.

"أي الهدايا أعجبتك؟".

افتّر ثغر سامي عن ابتسامة عريضة ولمست القلادة مجيبةً:  
"هدية كاثي. أحبُّ هذه القلادة كثيرًا! أليست جميلة؟".

قالت شيلي: "بلى، إنها جميلة".

بعد أن غادر الجميع لاحقًا، جلبت شيلي حزامًا وضربت فتاة عيد  
الميلاد.

"يا لكِ من فتاة مُدلّلة جاحدة! لقد نظّمتُ هذه الحفلة. ودعوتُ  
أصدقاءك! أنا ربّبتُ لكل شيء. أحضرتُ لكِ أشياء جميلة. قلادة كاثي لم  
تكن حتى جديدة! لقد جلبتها من منزلها!".

بالدموع، وآلام الضرب، تعلّمت سامي درسًا مهمًّا؛ الهدية المفضّلة  
دومًا لديها لا بُدَّ أن تكون هديّة أمها.

\*\*\*

أحرزت لارا واطسن نجاحًا في حياتها المهنية، إذ عملت في المجال  
الطبي، وتخصّصت في مؤسسات رعاية المسنّين؛ نتيجة خبرتها في باتل  
جراوند أثناء فترة زواجها بليس واطسن. وبعد انفصالها عن زوجها  
منذ أكثر من عامين، عاشت في منزل صغير في شارع شيري شمال  
غرب فانكوفر. وفي أحد الأيام، تلقّت اتصالًا من شيلي نوتيك، التي  
بدت في غاية الحزن واليأس، وباتت تتحدث الآن بطريقة محدّدة  
للغاية.

قالت شيلي: "تمّ التأكّد من الأمر. سرطانٍ لمفوما لاهودجكيني".

صعّقت هذه الأخبار لارا. وشرعت تبكي بحرقةٍ. رغم كل خلافاتهما،  
كانت شيلي فردًا من العائلة. كما كانت أمًّا ولديها فتيات صغيرات  
يعتمدن عليها. كان خبرًا مؤلمًا للغاية.

أخبرتها شيلي أنها تتلقَى العلاج، ولكن الحالة كانت جدَّ خطيرة.  
بعد بضعة أيام، اتصلت شيلي مجدِّدًا. هذه المرة، قالت إن الأطباء  
أخطؤوا في التشخيص. لم يكن لمفوما، بل سرطان الغدة النخامية.  
لم تسمع لارا بهذا الأمر من قبل. تساءلت كيف يرتكب الأطباء  
مثل هذا الخطأ الفادح ويغيِّرون التشخيص في خضم خطة العلاج.  
قالت لاحقًا: "لم أرَ الأمر منطقيًّا لأنني كنت أعمل في المجال  
الطبي".

استفسرت لارا من شيلي عن العلاج.  
أجابت: "الحالة سيئة للغاية. لا أعرف الوقت المتبقي لي. سأستشير  
طبيبًا مختصًّا".

جال بذهن لارا حينها أنها قد تُضطرُّ لتربية حفيداتها إذا لم تتجاوز  
شيلي هذه المحنة. ولم يكن ذلك يزعجها لأنها تحبهن جميعًا.  
عرَّضت لارا المجيء إلى رايمند للمساعدة، لكن شيلي أخبرتها أن  
لديها مَنْ يساعدها بالفعل.  
"صديقتي كاثيرينا هنا".

سألت لارا: "مَنْ تكون كاثيرينا؟".  
أجابت شيلي: "مُصَفِّة شَعري وأعزُّ رفيقاتي. إنها تتعامل مع  
الفتيات بحبِّ واهتمام. وستعتني بهنَّ أثناء خضوعي للعلاج".  
راوَدت لارا بعض الشكوك، لكنها لم تُلحَّ عليها. سرطان أو لا، لن  
يفرض أحدٌ إرادته على شيلي.

خلال الأسابيع التالية، راحت كاثيرينا تتصل هاتفياً بلارا لتزويدها  
بآخر المستجدات بشأن علاج شيلي، ولتطمئنهن كذلك على أحوال  
الفتيات.

قالت لارا متذكرةً: "كانت كاثي رائعة للغاية. هكذا كانت في البداية. كانت إنسانة متفانية جدًا، وتقوم، رحمة الله عليها، بكل ما يلزم، وتردُّ دائمًا على اتصالاتي".

ذات مرة أخبرتها كاثي: "شيلي مُتعبَةٌ للغاية. أنا الآن أعدُّ العشاء وأعتني بالبيت. والأبناء ينجزون الفروض المدرسية. وأبذل قصارى جهدي".

ومع ذلك، بدأت تظهر علامات توترٍ مُبكرةٍ في علاقة شيلي وكاثي. في إحدى المرات، وبينما كانت لارا تتحدَّث إلى نيكي، سمعت صراخًا. "ماذا يحدث، يا نيكي؟".

أجابت: "أمي غاضبة من كاثي مرة أخرى".

\*\*\*

استغرق علاج شيلي من السرطان فترة طويلة جدًا؛ أطول ممَّا ينبغي، لدرجة أثارت شكوك لارا. فشرعت تسأل أطباء الأورام الذين تعمل معهم عن أعراض ابنة زوجها السابق والعلاج الغامض الذي تتلقَّاه من مصدر مجهول، ولم يستطيعوا فهم الأمر أيضًا.

وذات يوم، اتَّصَلت شيلي وأثارت لارا الموضوع بنبرةٍ لم تستخدمها من قبل.

قالت لارا: "بصراحة، يا شيلي، لقد سئمتُ من أكاذيبك المتعلِّقة بالسرطان".

انفعلت شيلي.

"تحدَّثتُ إلى بعض الأطباء ونعتقد أنكِ تكذِّبين مجدِّدًا".

أغلقت شيلي الخط في وجهها.

وبعد بضع دقائق، أعادت كاثي الاتصال بلارا.

قالت كاثي: "لقد أغضبتِ شيل حقًا".

"هذا كلام فارغ، يا كاثي. السرطان لا يستمر طوال هذا الوقت".

"ماذا تقصدين؟"

"إنها تخدعكم".

ثمَّ تحدّث ديف.

"كيف طاوعكِ لسانك أن تقولي هذا الكلام، يا لارا؟ شيل تخوض أصعب معركة في حياتها. ولا يبدو أنك تهتمّين بها على الإطلاق".

كانت لارا تعرف أن ديف يصدق كل كلمة تقولها زوجته. لذا لا بُدَّ من تقديم دليل.

"هل تأخذها إلى الطبيب، يا ديف؟"

أجاب: "نعم".

استمرّت لارا: "هل رافقتها فعليًا عند الفحص؟ تعلم أن الأطباء يصرون على ذلك. الأسرة جزء ضروري من رحلة العلاج".

أجاب: "كلّاً، إنها امرأة ذات كبرياء وتطلب مني الانتظار في الخارج".

"ألم تكن حاضرًا معها أثناء الحقن الوريدي؟"

"نعم، ولكن هذا ليس سببًا يدعوك لاتهمها بالكذب، يا لارا".

لم تستسلم لارا واستطردت: "أين تنتظر؟ في السيارة؟"

حاول ديف أن يظل متماسكًا. "في غرفة الانتظار. طوال اليوم".

ردّدت لارا: "طوال اليوم".

قال ديف: "نعم. ثماني ساعات".

قالت لارا: "لا يستغرق العلاج ثماني ساعات. هل تلقَّيتَ فاتورة من شركة التأمين؟".

أجابها ديف أن شيلى تستلم البريد وأنه لم يرَ أي فاتورة، لكن هذا لا يثبت شيئاً. والحقيقة أنه لم يكن هناك ثمة طريقة لإقناع ديف. أنهى المكالمة مع لارا.

قالت لارا لاحقاً: "ليس لديّ شكُّ في أن ديف كان يجلس في غرفة الانتظار. إنه يقول الحقيقة. ربما خرَّجت من الباب الخلفي للذهاب إلى السينما أو لتناول الغداء. لا أعرف مدى صحة هذا التخمين. ولكنه وارد".

## الفصل العشرون

بوجود كاٲى؁ استمرّت الأجواء في منزل لاودرباك بالتغير تدريجيًا. كان التغير بطيئًا لا يُلاحَظ إلا بعد فوات الأوان. لم تبدُ كاٲى مُدركةً للأعيب شيلي الحقيقية. كانت وحيدة؁ ومنقطعة عن عائلتها؁ وبلا دعم مادي. كانت امرأة ضخمة؁ وجريئة؁ ومرحة؁ وتلعب السوفتبول في دوري محلي؁ وتداوم على ارتياد الكنيسة. واعتادت جمع الفتيات وإثارة قهقهتهن بقصصها عن فترة عملها في تصفيف الشعر بصالون أبردين. ولكن بعد انتقالها للعيش مع آل نوتيك؁ بدأت كاٲى تذبذب تدريجيًا. وشرعت شخصيتها تتلاشى أمام أعين الجميع.

كانت رغبات شيلي حينذاك هي الأهم.

نعم!

فورًا!

سأعيد تنظيفه.

بدأت روح كاٲى المفعمة بالتفاؤل تفتّر شيئًا فشيئًا. مهمًا بذلت كاٲى من جهد، لم تبدُ شيلى راضية. لم تكن رعاية الطفلة وتنظيف المنزل وإعداد الطعام مهمًا كافيةً في نظر شيلى. وحين تغضب منها، كانت تلتقط أي شيءٍ في متناول يديها؛ أداة مطبخ، سلك جهاز، كتاب على الطاولة الجانبية، وتضربها بقوة. كانت كاٲى تبكى، بل تُهدّد بالرحيل في بعض الأحيان. ولكن شيلى راحت تلقى باللوم عليها دائمًا.

دأبت على إخبارها: "لقد أجبرتني على فعل ذلك. لا تدفعيني للقيام به مجددًا. أحتاجك إلى جانبى. لا تجادلى. افعلى ما أطلبه".

كانت كاٲى تعبر عن أسفها وتعدّها بعدم تكرار الأمر.

ثم تعانقها شيلى، وتعطيها حفنة من الحبوب الدوائية.

وكان الأبناء يشاهدون كل ذلك، ولا يفهمون ما يجري.

تحدّث شين ونيكى عن الأمر.

قال شين: "أمك مجنونة وكاٲى غبية لأنها تتحمّلها".

شاطرته نيكى الرأى، لكنها علمت أيضًا أن وجود كاٲى في المنزل خفّف الضغط قليلًا عنها. وشعرت بالارتياح المشوب بالحزن في الوقت ذاته؛ لأنهم لا يستحقون تلك المعاملة مثلما لا تستحقها كاٲى.

تصاعد نمط الإساءة تدريجيًا.

ذات يوم، اشتبكت كاٲى وشيلى في شجار عنيف على التلّ بالقرب من باب المطبخ. رغم أن شيلى كانت لا تزال حبلى بتوري، وكاٲى تفوقها حجمًا، فإن الأخيرة كانت هي من تتعرّض للضرب. جذبتها شيلى من شعرها فصرخت كاٲى. ثم دفعتها شيلى بقوة لتسقط على الأرض. وأخذت شيلى تركلها في بطنها فتدحرجت كاٲى على التل.

بكت كاٲى وهي تعتذر عمّا فعلته وأثار غضب شيلى بهذا الشكل.

ووعدها أنها لن تعيد الخطأ.

راقبت نيكي بعينين مصدومتين الشَّجار من نافذة غرفتها. لقد رأت والدتها تصرخ في وجه كاثي، وتهينها، وتتلاعب بعقلها، ولكن كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها شيلى تعتدي بالضرب عليها. لم تستوعب نيكي ما يحدث أمامها.

لكنه حدث.

في إحدى المرات، راقب شين والفتاتان من غرفة الجلوس مشادةً كلاميةً بين شيلى وكاثي. كانت شيلى تعقد ذراعيها على صدرها وتهزُّ رأسها.

قالت كاثي مُصِرَّةً على براءتها: "لم أفعل ذلك"، مُنكِرةً مزاعم شيلى.

بدا القلق على شيلى وقالت مُصحِّحةً: "بل لا تتذكرين فعل ذلك، يا كاثي. تقصدين أنكِ لا تتذكرين".

نظرت كاثي مباشرةً في عينيها وقالت: "لم أفعل ذلك".

هزَّت شيلى رأسها وألقت نظرة حزينة على صديقتها. كان الأبناء قد شاهدوا شيلى تتلاعب بعقولهم مرارًا. كانت بارعة في تحريف الحقائق لدرجة أنهم كانوا أحيانًا يصدقون أمورًا يعرفون يقينًا استحالة حدوثها.

قالت شيلى مكرِّرةً: "تعرفين أنني أحبك، يا كاثي".

تلاشت إرادة كاثي وشرعت تبكي.

قالت: "نعم، أعرف، وأنا أحبك أيضًا".

قالت شيلى: "إدًا، عليكِ أن تصدِّقيني عندما أخبركِ أنكِ تمشين أثناء النوم ليلاً. هذا الأمر يثير قلقي".

"لكنني لا أتذكر أنني فعلت ذلك".

قالت شيلي: "صحيح، بالطبع لا تتذكرين".

كان هذا هو جوهر شخصيّة شيلي.

"كنت سأعرف ذلك".

قالت شيلي: "وجدتُ فطيرة الليمون والمارينج تحت سريرك صباح اليوم، يا كاثي".

بدت كاثي مرتبكةً وقالت: "لم أضعها هناك".

"تقصدين أنكِ لا تتذكرين أنكِ وضعتها هناك. الأبناء لم يفعلوا ذلك". ثم أقلت نظرة على الأبناء وأردفت: "أليس كذلك؟". أدركت نيكي أن أمها قد عادت إلى إحدى حيلها المفضّلة؛ التلاعب العقلي. كانت نيكي قد عانت من هذا التلاعب أيضًا.

ردّوا بصوتٍ واحد: "بلى". كان من الأفضل عدم لفت انتباه شيلي إليهم. ولكن نيكي كانت قد لمحتها تخفي الفطيرة تحت سرير كاثي. مثلما رأت شيلي من قبل تخفي أكياس الهدايا، ثم تكتشفها.

أعدت شيلي انتباهها إلى صديقتها قائلة: "كاثي، أنتِ لا تفقدين الوزن لأنكِ تُفرطين في الأكل خلال النهار، والآن تفرطين في الأكل أيضًا للأسف خلال سيرك أثناء النوم".

ارتبكت كاثي، لكنها قالت بتصميم: "لكنني لستُ كذلك".

لم تتوانَ شيلي عن الإلحاح، وخلال الأسابيع التالية، واصلت العثور على بقايا طعام مخبّأة تحت سرير كاثي أو في المساحة بين غرفتي نيكي وسامي. وذات مرة، أمرت نيكي بإخفاء الطعام تحت سرير كاثي، لتخبئها في الصباح التالي بأنها "تأكل أثناء النوم" و"تأكل كل طعامنا ليلاً".

قالت شيلى لكاثي خلال مواجهة أخرى مُتَّصِنَةً في صورة تدخُّل: "سمعتك تعبثين في الثلجة الليلة الماضية. كنت تلتهمين الطعام كالخزير في منتصف الليل. كُفِّي عن هذا السلوك!".  
توسَّلت كاثي قائلةً: "أنا آسفة، إنني أحاول".

مع مرور الوقت، لاحظت الفتاتان وشين، برغم صغر سنِّهم، تضاؤل قدرة كاثي على مواجهة شيلى. تمامًا كما حدث مع ديثف ومعهم.

\*\*\*

رأت نيكي التوجُّس يرتسم في عيني كاثي عندما واجهتها شيلى.  
قالت شيلى: "الليلة الماضية مشيتِ عارية أثناء النوم ودلفتِ إلى غرفة شين. لقد أخبرني".

بدت كاثي خائفة. "لم أفعل، يا شيل".

قالت شيلى: "بل فعلتِ. لقد رأيكِ، يا كاثي. أعرف أنكِ ترغبين فيه، لكن كُفِّي عن هذه التصرفات. لا أريد حدوثها في بيتي".

تراجعت كاثي للوراء قليلاً، مصعوقة من الاتهام. كانت شيلى تلمح إلى أن كاثي، امرأة في الثلاثينات من عمرها، ترغب في ممارسة الجنس مع صبي قاصر.

قالت كاثي: "مستحيل أن أفعل ذلك. أقسم لكِ. لم أفعل".

نظرت شيلى إلى كاثي بعينين مترعتين بالشفقة.

قالت: "إنكِ لا تدركين ما تفعلينه، يا كاثي. حقًا لا تدركين. انتظري".  
ذهبت شيلى وأحضرت شين.

قالت: "أخبرها".

بدت ملامح الجدية على وجه شين وأيد قصة شيلي.  
قال: "كنتِ كذلك. الليلة الماضية، يا كاثي. لقد رأيتكِ".  
شرعت كاثي تبكي. بدت مُرتبِكةً بينما تواجههما.  
قالت: "لم أفعل. أنتما مخطئان".

ظلَّ شين ثابتًا على موقفه وقال مُصرِّاً: "بل فعلتِ. رأيتكِ. كل شيء".

ركضت كاثي إلى غرفتها والدموع تنهمر من عينيها.  
فيما بعد، أخبر شين نيكي أن القصة كانت مُلققة.

قال: "لم تأتِ كاثي عارية إلى غرفتي. كان عليّ أن أؤيد كلام والدتك".

كانت نيكي على دراية بهذا الأسلوب، فقد واجهت الموقف نفسه من قبل. كانت شيلي تحب أن تهاجم بمساعدة شخص آخر. عادةً كانت شيلي تستعين بديف. وأحياناً، كانت تورط ابنتيها في اللعبة. وفي أوقات أخرى، كانت تستعين بشين، خاصة عندما يتعلق الأمر بكاثي.  
قال شين: "والدتك مجنونة، يا نيك".

أيدت نيكي كلامه قائلة: "إنها مختلة نفسياً".

"إنها تظن أن الجميع أغبياء لدرجة أنهم يصدقون أكاذيبها".  
"كاثي تصدقها".

قال شين: "لا أصدق حرفاً ممّا تقوله أمك".

قالت نيكي: "وأنا أيضاً. وكأن فمها لا ينطق إلا بأكاذيب سخيفة".

رغم كلامهما القاسي، لم يكن لدى أيٍّ منهما الشجاعة أو العزيمة لمواجهتها. كانا ينفذان جميع أوامرها، ويعرفان سبب تورطهما؛ فقد كانا يحاولان ببساطة التكيّف مع الوضع الصعب. فالتمرد على

أوامرها كان يعني تجريدتهما من الملابس وإجبارهما على التمرغ في الوحل أو ربما الضرب بسلك كهربائي، أو التعرض لأي عقوبات أخرى ابتكرتها في اليوم نفسه. الخوف من المجهول صيرهما خانعين.

قال شين: "صحيح أننا ننفذ أوامرها لكننا لا نصدق كلامها. سنشير حقها لو ظننت أننا لا نصدقها".

\*\*\*

اقتربت كاثيرا خطأ ما أثار غضب شيلي، رغم عدم تذكر نيكي له، مثلما عجز كل الأبناء عن تحديد ما فعله أي منهم ليستحق العقاب. وضعت شيلي قدمها في ظهر كاثيرا أعلى الدرج ودفعتها لتهوى حتى سقطت متكومة بجسدها على الأرض. وأخذت شيلي تشتمها وتصفها بالغيبة والخرقاء. لقد تعلم الأبناء مع مرور الوقت عدم التفوه بكلمة؛ فجذب الانتباه لتصرفات أهم يجعلهم عرضة للعقاب.

شرعت شيلي في سحب امتيازات كاثيرا، متحججة أنها "تسيء التصرف ولا بُد أن تتعلم القناعة". وكان هذا يعني حرمان كاثيرا من معظم أغراضها الشخصية التي جلبتها معها إلى لاودرباك؛ فصادرت منها الصور وأسطوانات الموسيقى الريفية وأدوات الحياكة. وما لبثت أن سحبت معظم ملابسها، ولم تترك لها سوى سروال داخلي وحمالة صدر وروب فضفاض.

بعد أيام، اختفى الروب أيضاً.

بعد ذلك، اختفت ملابسها الداخلية. وصارت كاثيرا تقوم بالأعمال المنزلية وهي عارية. ثم أُخبرت بأنها تحتاج إلى طلب الإذن لاستخدام المرحاض. ولم يُعد مسموحاً لها الاستحمام إلا بعد موافقة شيلي مسبقاً. ومع مرور الوقت، أصبحت تستحم في الخارج باستخدام خرطوم الحديقة.

غدت رؤية كاثي عارية وعدم التعليق عليها أمرًا طبيعيًا في منزل آل نوتيك. كان الأبناء يشاهدون التلفاز بينما تقوم كاثي بأي عمل تأمر به شيلي. لم يلتفتوا إليها حتى، وبالتأكيد لم ينبسوا ببنت شفة.

كانت أهمهم تعاقب كاثي أحيانًا بحبسها في الخزانة عقابًا على أخطاء تافهة. وسمعت سامي أمها تهمس بكلمات مطمئنة من خلال باب الخزانة المقفلة بينما كانت كاثي تختبئ بداخلها.

كانت تقول لها: "ستكونين بخير".

غمغمت كاثي ردًا غير مفهوم من الجانب الآخر للباب.

"ليس من المقبول أن تتعرّضي للأذى، يا كاثي. لن أسمح لأحد بإيذائك. أنا أحبك يا كاثي، وسأحميك".

ابتعدت سامي بهدوء، متسائلةً كيف أمكن لأمها أن تعاقب كاثي بهذه القسوة ثم تتصرف وكأنها ستكون دائمًا موجودة بجانبها لحمايتها من أي أذى.

كانت شيلي تفعل ذلك مع الجميع. غير أن معاملتها القاسية الموجهة بشكل رئيسي نحو كاثي، منح سامي بعض الراحة. كانت تفضّل أن تكون الضحية كاثي وليس إخوتها. وشعرت بامتنانٍ خفيّ لبقاء كاثي، فرحيلها يعني أن أهمهم ستوجّه سهام قسوتها نحو شين ونيكي مجددًا.

رأت سامي في كاثي امرأةً قوية. كانت أكبر حجمًا من أمها، وذكية أيضًا.

قالت سامي بعد سنوات: "كنت أعتقد أنها امرأة بالغة. كان لديها سيارة. لم تكن أمي والدتها. لم تكن صغيرة السنّ. كان بوسعها المغادرة لو أرادت. لم أفهم ما يحدث. كنت طفلة. لكنني تساءلت حينها ما خطبها؟ ما الذي يمنعها من الرحيل؟".

راود نيكي الشعور ذاته. قالت لشين: "ثمة خطب بها. لماذا لا تغادر؟".

ومع ذلك، قالت نيكي متذكرةً: "خلال كل ما حدث مع كاثي، لم أتعرّض للضرب كثيرًا. وكأنهما تجاهلاني لفترة".

صحيح أن الإساءة التي كان الأبناء يتعرّضون لها توقفت مؤقتًا، ولكن الثمن كان باهظًا. فقد عاشوا في عالم يتطلّب منهم تجاهل ما يحدث لكي يأمنوا قسوة أمهم، لكن هذا جعلهم يتقبّلون أمورًا ظلت تطاردهم للأبد.

\*\*\*

لم تظهر شيلي ذرّة رحمة، وبمرور الوقت استعانت بالفتاتين وشين للمشاركة في بعض العقوبات التي صمّمتها لكاثي. قامت نيكي وسامي بإلقاء الأربطة المطاطية على كاثي بإصرار من أمهما، بينما كانت المرأة تنزل الدرج للقيام بالمهام المنزلية. كانت ضعيفة ولم تكن تتحرّك بالسرعة المطلوبة التي تريدها شيلي.

صاحت شيلي من الدّرج: "أحضرّاه!".

فعلت سامي المطلوب بينما جسدها يرتجف خوفًا من تجاهل أوامر أمها.

غير أن شين كان هو مَنْ نفذ معظم أوامر شيلي.

عندما كانت شيلي تأمره بركل كاثي أو ضربها، كان ينفذ بلا نقاش. لم يفعل ذلك بحماس، لكنه فعله على أي حال، مدرّكًا مدى سرعة انقلاب شيلي عليه. إذا لم ينفذ أوامرها، ستجبره على التمرّغ في الوحل أو ستقيّده عاريًا بالجدار بشريط لاصق، أو ترغمه على النوم على الأرضية الأسمنتية من دون ملابس أو بطانية. فعل شين ذلك لسبب

آخر أيضاً. برغم كراهيته لأفعالها معه ومع الآخرين، كانت عمته شيلي أشبه بالأم في حياته.

كي يرضيها ويحافظ على دعمها، دأب على طاعة كل أوامرها من دون تردد.

قالت سامي متذكرةً: "كانت كاثيري تخاف من شين، وترى فيه مصدر الألم الذي تفرضه أمي. كان يضربها ويركلها. فعل ذلك لأنها أرغمته". استغلت شيلي كل الفرص المتاحة.

ذات مرة، عندما كانت كاثيري تركض صعوداً على الدرج للهروب من شين، ظهرت شيلي وضمت كاثيري بين ذراعيها لحمايتها، متحوّلة فجأة من المسيء إلى المنقذ.

وفي مرة أخرى، اختفت كاثيري، وبحث عنها الجميع داخل المنزل وخارجه.

قالت شيلي: "لا بُدَّ أنها في مكان ما".

لم يتمكن أحد من العثور عليها، حتى وجدتها سامي مختبئة في خزانة أمها.

اتّضح أن شيلي أخفتها هناك. سمعت سامي أمها تتحدث مع كاثيري.

قالت مطمئنة: "سيكون الأمر على ما يرام. أنا هنا لحمايتك. لا خوف عليكِ معي، يا كاثيري. أعدكِ ألا يؤذيك أحد. لن يسيء إليك شين ولا أحد منهم".

كانت كاثيري تبكي وتتشبّث بشيلي، ممتنة للتدخل.

قالت سامي: "تصرّفتُ أمي وكأنها لا تعلم مكان كاثيري طوال ذلك اليوم. ولكنها كانت تعرف. أجبرتها على البقاء في تلك الخزانة لساعات،

مُدَّعِيَةً حَمَايَتَهَا مِنْ شَيْنٍ. لَكِنْ الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ كَاثِي تَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَقِفُ بِجَانِبِهَا. لَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ".

أَخْرَجَتْ سَامِي كَاثِي مِنَ الْخَزَانَةِ.

لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنِ الْمَرَّةَ الْأَخِيرَةَ.

فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، عِنْدَمَا كَانَ يَزُورُهُمْ ضِيُوفٌ، كَانَتْ شَيْلِي تُخْفِي كَاثِي فِي الْخَزَانَةِ حَتَّى يَرْحَلُوا. مَهْمَا طَالَ الْوَقْتُ. كَانَتْ كَاثِي تَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، تَنْتَظِرُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ شِعَاعًا مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ.

\*\*\*

بَدَأَتْ كَاثِي تَفْقِدُ الْوِزْنَ. وَغَطَّتْ جَسَدَهَا الْكِدْمَاتِ وَالْخَدُوشِ. وَتَدَهَوَّرَتْ صِحَّةُ أَسْنَانِهَا. وَقَصَّتْ شَيْلِي شَعْرَهَا الطَّوِيلَ الْجَمِيلَ بِمَقْصِهَا الْمَسْعُورِ. وَتَذَكَّرَتْ نِيكِي نَظْرَاتِ كَاثِي الْمَتَعَاظِفَةِ إِلَيْهَا أَثْنَاءَ تَعَرُّضِهِمْ لِلْإِسَاءَةِ عَلَى يَدِ أُمِّهَا. وَشَعَرَتْ بِغُصَّةٍ فِي حَلْقِهَا عِنْدَمَا نَظَرَتْ كَاثِي إِلَيْهَا بِتَعَاظِفٍ.

تَعَاظُفُ!

نَظَرَتْ كَاثِي، الَّتِي صَارَتْ هَدَفًا لِلأَذَى وَالْإِذْلَالِ، إِلَى الْأَبْنَاءِ بِتَعَاظِفٍ.

رَفَضَتْ كَاثِي قَبُولَ أَيِّ مَسَاعِدَةٍ مِنْهُمْ، مَدْرِكَةً أَنْ مَحَاوَلَتِهِمْ لِمَسَاعِدَتِهَا -وإنْقَاذِهَا- سَتَجْعَلُهُمُ الضَّحَايَا التَّالِيْنَ لِلْأَمِّ وَالْأَبِّ.

قَالَتْ كَاثِي ذَاتَ مَرَّةٍ: "لِيَتَكَّمُ تَسَاعِدُونَنِي. لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ".

لَمْ تَعْتَقِدْ نِيكِي أَنَّ كَاثِي كَانَتْ تَضْحِي بِنَفْسِهَا مِنْ أَجْلِهِمْ، بَلْ كَانَتْ تَدْرِكُ اسْتِحَالَةَ الْخِلَاصِ مِنْ هَذَا الْوَضْعِ الْمَأْسَاوِي.

خِلَاصِهَا هِيَ.

قالت نيكي بعد سنوات: "كنت أشعر بالاستياء من كاثيري لإملاء الأوامر علينا. وفي بعض الأحيان كرهتها حقًا. كانت تزعجنا كثيرًا في صغرنا. لقد منحتها أُمِّي السُّلْطَةَ التَّامَّةَ وجعلتها تشعر بالحاجة والأهمية. والمراهقون يمقتون وصاية الغرباء. وبرغم ذلك كنت أعرف يقينًا أنها طيبة القلب".

## الفصل الحادي والعشرون

كان من المستبَعَد أن يستهوي آل نوتيك أي نشاط غير التخييم في واشنطن، حتى لو استطاعوا تدبير المال للانطلاق في رحلة إلى مكان آخر. كان ديف قد ترعرع بين غابات الصنوبر الكثيفة وعلى طول الساحل الصخري لشمال غرب المحيط الهادئ. وكذلك شيلي. وكانت الغابات المحيطة بمقاطعتي باسيفيك وجرايز هاربر المجاورة ذات لون أخضر داكن، وتتميز برطوبتها واكتسائها بظلال من الرمادي. ألوان خافتة، بلا شك، ولكنها جميلة للغاية. قاموا بتعبئة السيارة بكراسي التخييم والمبردات والخيمة، وانطلقوا إلى موقع التخييم الخاص بهم في ويستبورت.

شغل ديف وشيلي وشين والفتيات سيارة كستنائية اللون من طراز تويوتا، والتي يملكها آل نوتيك، ولم يكن هناك مساحة لكأني فركبت في صندوق السيارة. وحتى لو كانت هناك مساحة، لكان لا

يزال يتعيّن على كاثيركوب الصندوق لأن شيلي وديف أصراً على ذلك. ومن الغريب أنها لم تقاوم.

قالت سامي لاحقاً: "لا أتذكر أنها اعترض أو اشتكت البتّة. كانت أمي تقول: سنذهب للتخييم، يا كاثيركوب. ادخلي الآن إلى الصندوق".

بعد عام من انتقالها، احتلت كاثيركوب موقعاً غريباً وتابعاً في العائلة. كانت تشارك في النزاهات العائلية مثل التخييم، لكنها لم تكن جزءاً كاملاً منها. كانت تقف بعيداً بينما يشوي الأطفال المارشملو أو النقانق. ولم تكن تجلس مع شيلي أو ديف عند تناولهما القهوة صباحاً أو الجعة مساءً. كانت المسؤولة عن إحضار اللوازم وإقامة الخيمة.

قالت سامي متذكّرةً: "كان الأمر أشبه بـ'كاثيركوب'، أحضري هذا أو 'كاثيركوب'، افعلي ذلك، وأشياء من هذا القبيل. كانت موجودة لخدمة أمي وليس لتستمتع بالرحلة معنا. وكانت تقوم بكل ما يُطلب منها. والغريب أن الأمر لم يبدو غريباً آنذاك. كنّا أطفالاً؛ لذا اعتقدنا أن هذا هو الوضع".

بدلاً من النوم مع الآخرين في الخيمة في الليلة الأولى، نامت كاثيركوب تحت السيارة.

في الليلة التالية، خطّطت شيلي لترتيبات أخرى لنوم كاثيركوب.

"سيكون النوم في الصندوق ممتعاً، يا كاثيركوب!". تذكّرت نيكي أمها تقول ذلك بينما تساعد صديقتها على الدخول للصندوق ثم تغلق غطاءه جزئياً.

قالت نيكي: "أتذكر أن أمي أخذت تضحك على ذلك. وفي صباح اليوم التالي، استيقظت [كاثيركوب] وسقطت من الصندوق. سقطت بقوة على الأرض".

\*\*\*

كسل شيلي كان واضحًا للجميع. لا أحد سوى كاثي سيقول خلاف ذلك. دأبت على ترك الصحون تتكدّس أينما كانت تستلقي. وأحيانًا، كان الطعام يجفُّ ويتصلَّب حتى تلتصق الأطباق. كما كانت الملابس المتسخة تتراكم كجبل فلا يتبقَّى لأحد ملابس نظيفة ليرتديها.

ذات مرة، أخبرت شيلي الفتاتين أنها مشغولة بأمر ما، وعليهما الذهاب إلى مغسلة الملابس.

قالت: "خُذَا كاثي. لا يمكننا تركها وحدها اليوم".

حملت الفتاتان أكياسًا بلاستيكية ممتلئة بالملابس المتسخة إلى السيارة، ودخلت كاثي إلى الصندوق.

كانت كاثي قد أصبحت ضعيفة بحلول ذلك الوقت، وأدركت سامي أنها لن تتحسَّن. كانت تتدهور بشكل واضح، رغم إصرار شيلي المستمر على تحسُّن حالتها.

بعد وصولهن إلى المغسلة وملء ستِّ غسالات، ذهبت سامي إلى السيارة للاطمئنان على كاثي. تحدّثت إليها من خلال الصندوق لأن شيلي حدّرت الفتاتين من السماح لكاثي بالخروج لأي سبب.

سألته سامي: "كيف حالك هناك؟".

قالت كاثي: "بخير. كيف يسير الغسيل؟".

"نحن على ما يرام، يا كاثي".

"كيف الطقس بالخارج؟".

أجابت سامي: "رائع. رائع حقًا".

عادت سامي إلى الداخل وشعرت بالغثيان، ثم عادت بعد فترة قصيرة للاطمئنان على كاثي.

قالت: "المجفّفات تعمل الآن. لن تستغرق وقتًا طويلًا".

أجابت كاثي بصوتٍ خافت تحت غطاء الصندوق: "لا بأس. سأحدث إليك قريبًا".

كانت المحادثات تسير على هذا النمط؛ عادية وبلا جدال. لم تكن كاثي تضرب بقبضتيها وتحاول الهروب. لم تحاول ركل المصباح الخلفي. لم تشتك من الظلام في الداخل، أو من شعورها بالحرّ أو بعدم الراحة. كانت مطيعةً. هادئة. تنتظر حتى يصلن إلى المنزل لتخرج وتساعد شيلي.

وحتى مع تحمّل كاثي ركوب صندوق السيارة، والعمل في المنزل عارية، وتناول أي حبوب تُعطى لها، كانت شيلي تجد أساليبَ لزيادة التعذيب.

لمجرد أنها كانت قادرة على ذلك.

ذات مرة، شاهدت الفتاتان برعبٍ كاثي جالسة خارج الشرفة وعلى رأسها وعاء، بينما كانت شيلي تمسك بمقص الحلاقة، وتقص شعرها الطويل المموج، الذي لطالما استخدمته كاثي، أثناء فترة عملها في تصفيف الشعر، بطاقة تعريفية لها. سألت الدموع على وجنتيها بصمت. كان شعرها يشبه عشًا متشابكًا.

صاحت شيلي بعدما أفسدت شعر كاثي: "انظرا يا بنات إلى قَصَّة شعر كاثي الجديدة! أليست رائعة؟".

كان من العسير النظر إليها من دون الكشف عن الرأي الحقيقي. لم يكن هناك شيء رائع فيما فعلته أمهما. ظننت نيكي أنها أسوأ قَصَّة شعر رأتها في حياتها. كانت سيئة للغاية وكأن أمها تعمّدت ذلك بالتأكيد.

قالت نيكي: "آه، نعم. أعجبتني. تبدو لطيفة جدًا!".

شعرت سامي بغثيان لكنها قالت: "جميلة جدًا، يا كاثي!".

أدركتا أن أي تعليق مخالف سيفضي إلى عواقب وخيمة. ربما لكاثي. وربما لإحدهما. مع أهمهما، لا يمكنهما التنبؤ بما سيحدث. ربما استلهمت شيلى الفكرة من قَصَّة الشَّعر القبيحة التي قَصَّتها لها جدَّتها آنا ذات مرَّة، والتي كان القصد منها في الواقع تلقين زوجة أبيها درسًا. "لا يمكنك تمشيظ شعرها بطريقة صحيحة؛ لذا قصصته!". مثل لارا، تعلَّمت نيكي أيضًا أن تبلع تعليقاتها. عاد الجميع إلى المنزل.

تساءلت نيكي عندما كانت أمهم غير قادرة على سماعهم: "لماذا تسمح كاثي لأمي بفعل هذا الهراء بها؟". لم تكن سامي تعرف الجواب. لكن رأي شين لم يتبدَّل. قال: "أمك مجنونة تمامًا. هذا هو السبب. وكاثي خائفة منها حتى الموت. مثلنا جميعًا".



## الفصل الثاني والعشرون

لا بُدَّ أن الأدوية هي السبب. كانت كاثيرا امرأة طبيعية قبل انتقالها للعيش معهم. كانت تتمتع بهوية مستقلة، ولديها آراء حول الأحداث الجارية في العالم. ولم تكن مجرد هدف ساكن يتلقى الضربات تلو الأخرى.

حاول شين ونيكي معرفة ما يجري مع كاثيرا. فتسلَّلا إلى غرفة أمهما أثناء غيابها بينما كانت كاثيرا منشغلة بالأعمال المنزلية.

قال شين: "دعينا نرى الأدوية التي تعطيها لكثيرا".

كانت شيلي تحتفظ بمجموعة من زجاجات الدواء على الجزء العلوي من خزانة الملابس وعلى طاولة جانبية بالقرب من الفراش. كما كانت خزانة الأدوية في الطابق السفلي أشبه بصيدلية صغيرة تراصت فيها عشرات من زجاجات الأدوية الموصوفة، من بينها لورازيبام، ونيتروكويك، وأتينولول، وألتيس، وباكسيل.

كان الأمر محيرًا.

معظمها أدوية لم يسمعا بها من قبل، وصفها أطباء من مقاطعة باسيفيك، وُصِفَت من صيدليات مختلفة في رايمند وساوث بيند وأبردين.

كان البروزاك، في كبسولاته الخضراء والبيضاء، هو الدواء الأكثر شيوعًا.

قالت نيكي: "هذا ما تُعطيه لكاثي طوال الوقت".

وضع شين حبة دواء في فمه وابتلعها.

قالت نيكي لاحقًا: "أتذكر بعد عشرين دقيقة تقريبًا من تناوله الحبة، كان مخدّرًا تمامًا".

من الواضح أن شيلي كانت تخدّر كاثي بالعقاقير.

تساءل البعض لاحقًا عمّا إذا كانت قد فعّلت ذلك مع شين أو فتياتها من حينٍ لآخر.

\*\*\*

توطّدت العلاقة بين نيكي وشين، وتقاربا بسبب المعاناة المشتركة، وكونهما هدفًا متكررًا للعقوبات القاسية والمهينة التي كانت تُفرض عليهما أكثر من سامي، ولم يَجِدَا الراحة إلا بقدوم كاثي.

تأمرا كما يفعل المراهقون، وتخيلًا كيف يمكنهما إنهاء بؤسهما وإنقاذ العالم من شرور شيلي.

قال شين ذات مرة: "يجب أن نضعها في القبو".

قالت نيكي مقترحة: "أم العليّة؟ أي مكان لا تستطيع الهروب منه".

قال شين: "أنتِ مُحِقَّة، ولكن لتكلم بجديّة، لِمَ تتصرّف أمك بجنون مفرط؟".

هزّت نيكي كتفيها قائلة: "وما أدراني؟".

فكّر شين للحظة وأضاف: "صحيح، هكذا حال بعض الناس. أنتِ تعرفين أنني سأرحل عن هذا المكان".  
"وأنا أيضًا".

"أنا جادٌ في كلامي".

تمنّت نيكي لو تتحلّى بالشجاعة مثل شين، إلا أنها وجدت نفسها عاجزة عن مغادرة ذلك المنزل. كانت تتحدّث عن الهروب بجرأة، لكنها عجزت عن ترجمة كلماتها إلى أفعال.  
أما شين، فقد حاول الفرار عدّة مرّات.

وكلما أقدم على تنفيذ وعده بالهرب، كانت نيكي تقنع نفسها بأنه التصرف الصحيح، وتؤيّد في قرارة نفسها، حتى حين تجمع أمها الفتيات في السيارة للبحث عنه، لم تفقد الأمل قطّ في أن يحقق غايته في النهاية.

كان لدى شين أسباب وجيهة للهروب من منزل عمّته.

كانت شيلي تتفنّن دومًا في ابتكار أساليب جديدة لإيذائه.

ذات مرة، أخذت شريطًا لاصقًا من درج المطبخ وكريم تخفيف آلام العضلات آيسي هوت من خزانة الأدوية في الحمام. كان أحدث أشكال العقاب الذي بدأ بالضرب ثم تدرّج إلى أساليب أكثر غرابة. أجبرته على خلع ملابسه وربطت كاحليه ومعصميه أمام أعين الفتيات. احتجّ، لكنه لم يقاومها.

ثم وضعته في زاوية قريبة من الباب الرئيسي، وشرعت تدهن  
عضوه الذكري بالكريم، فصرخ متألمًا.  
قالت: "إيَّاك أن تعيدها مرة أخرى".

بعد سنوات، لم يتذكر أحدٌ ما فعله المراهق ليستحق هذا العقاب.  
كان ذلك أسلوب أهمهم المتطرف في التأديب.  
شعر شين بالإذلال والغضب من شيلي، لكنه استسلم لأفعالها.

\*\*\*

ذهبت أمها وأختها الكبرى إلى المتجر، وتركتا سامي مسؤولاً عن  
شين، الذي ارتكب فعلَةً أثارت حنق شيلي. فأجبرته على خلع ملابسه،  
ثم قيَّدت معصميه وكاحليه بشريط لاصق، ودفعته إلى الزاوية بالقرب  
من الباب الرئيسي.

أوصت شيلي سامي قبل مغادرتها قائلة: "تأكّدي من بقائه في  
مكانه".

بمجرد أن سمعت سامي صوت انطلاق السيارة، فعلت ما اعتادت  
عليه هي وبقية الأبناء عندما تغادر الأم المنزل. ذهبت إلى الحمام.

لم تكن شيلي تسمح للأطفال باستخدام المرحاض إلا بإذنها، وتشتري  
عليهم أيضًا أن يكون الباب مفتوحًا على مصراعيه. وفي معظم الأحيان،  
كانت شيلي تجلس بجانبهم وتراقبهم من كذب خلال قضاء حاجتهم  
وكانها تجربة علمية.

عندما انتهت سامي وعادت إلى غرفة الجلوس، لم تجد شين.

أصابها الذعر ففتشت كل ركن في المنزل والفناء، لكن لم يكن هناك  
أي أثر لشين. انتابها الغضب بسبب هروبه. كانت تعلم أن أمها ستجبر  
الجميع على الانطلاق للبحث عنه طوال الليل والنهار، مهما كلف

الأمر. فقد كانت شيلي صيَّادةً عنيدةً لن تتوقَّف حتى تعثر عليه، ولم تكن تعبأً إن كان هناك يوم دراسي صباح الغد، ولا أن البحث قد يستمر حتى الثالثة صباحًا.

عندما حلَّ الظلام، عثرت سامي على شين في حظيرة أحد الجيران.

قالت سامي: "يجب أن تعود إلى المنزل، يا شين. أمك غاضبة، وأنت تعلم أنها ستجذك".

لم تنبس شيلي بكلمة عندما عاد شين إلى الداخل. كان عاريًا يرتجف بردًا ويبكي.

حدجته بنظرة حادة.

قال: "أنا آسف حقًا، يا أمي، أعذكِ ألا أكرِّرها".

أخيرًا، تحدثت شيلي، وسألت الصبي عن سبب تصرفه. غيَّرت نبرة صوتها فجأة لتصبح رقيقةً مطمئنةً. وكأنها وجدت قطعًا ضالًّا فحملته بلطف لتمنحه مأوى.

قالت: "إننا نحبك يا شين، لا تُخفنا هكذا. لا أفهم لماذا تريد أن تتركنا".

في مناسبة أخرى، عندما كانت العائلة تخطِّط لزيارة مُتنزَّه وإيلد وايفز المائي والترفيهي شمال تاكوما، هرب شين مجددًا. وأوقفت شيلي الرحلة فورًا وشرعت في البحث عنه. وعرفت نيكي وسامي ما سيحدث، فخيم القلق على قلبيهما. ستفوتهما فرصة الذهاب للمتنزَّه المائي، وستواصل أمهما البحث حتى تعثر على ابن خالهما.

استمر البحث ليومين. بدأن بحفي تيليكم حيث كان شين يعيش قبل انتقاله إلى رايمند. وفتَّشن جميع المنازل الصغيرة والخربة، وخلف كل مرآب قديم ومهجور. ومشَّطن كل متجر في مول تاكوما الضخم. ولكن لم يجدنه.

بل ولجأت شيلى إلى عرَافَةٍ في تاكوما لمعرفة مكانه.

قالت نيكي بينما تستعد للصفعة القوية على وجهها: "إنه لا يريد البقاء هنا، يا أمي. دعيه يذهب".

تجاهلَتها شيلى وواصلت البحث عنه.

طوال الوقت، كانت نيكي تدعو الله ألا يعثروا عليه.

يا ربِّ، أرجوك، ساعِدْ شين على الهروب! أمي شريرة، يجب أن يرحل إلى مكان آمن.

لكن الله لم يستجب لدعواتها. بعد عدة ساعات من البحث في اليوم الثاني، وجدت شيلى ابن أخيها الضال وأقنعتة بالعودة إلى السيارة بكلمات لها مفعول السحر في قلبه. أخبرته كم تحبه.

كلمات كان ينبغي أن يعرف أنها زائفة وقتذاك.

قالت شيلى بصوتٍ لطيف متظاهرة بالقلق: "لقد أفزعتنا يا شين، لا تفعل ذلك مجددًا. سأموت قلقًا عليك، وكذلك الفتاتان. نحن نحبك".

## الفصل الثالث والعشرون

بعدما رأت شيلي أن توري ومهدها لم يعودا مناسبين لغرفتها في الطابق الأرضي، أمرت كاثي بتخليها عن المساحة التي تشغلها بين غرفتي نيكي وسامي.

"لديّ غرفة صغيرة مريحة لكِ بالأسفل."

بحلول ذلك الحين، اختفت معظم أغراض كاثي الشخصية، مثل أثاث غرفة النوم والملابس التي كانت قد أحضرتها عند انتقالها. لم تشكُ كاثي، وكأنها نسيت كيف تدافع عن نفسها. كانت تحت سيطرة شيلي تمامًا.

اتّضح أن "مريحة" كانت وصفًا مُضللًا. كانت غرفة كاثي الجديدة تقع على يمين الدَّرَج؛ غرفة الفرن، على الجانب الآخر من القبو البارد حيث ينام شين. وكانت أرضية المساحة البالغة خمسة في ثمانية أقدام أسمنتية، وذات جدران غير مكتملة، مع عوارض مكشوفة.

وكانت قَدِرَةً وباردة للغاية حتى في فصل الصيف، ومساحتها ضيقة جدًا تكاد لا تتسع لفراش واحد.

ارتسم بعض الحزن على ملامح كاثي لانتقالها للعيش بالأسفل، لكنها لم تعترض. قَبِلَت الأمر لأن شيلى أخبرتها بأن هذا الترتيب أفضل لتوري.

"سيعجبك المكان بالأسفل، يا كاثي".

لم يعجب الأمر سامي على الإطلاق. وشعرت بالأسى لإجبار كاثي على البقاء في ذلك المكان المرعوب بالأسفل. وبعد فترة قصيرة من انتقال كاثي إلى غرفة الفرن، عثرت سامي على صناديق أغراضها التي زعمت أمها أنها تبرّعت بها لأن كاثي فعلت شيئًا ضايقها. وأحضرت سامي بعض الملصقات إلى الطابق السفلي وعلّققتها. وانتاب كاثي الذعر عندما أدركت ما تفعله.

قالت كاثي: "لا تفعلي ذلك".

"لا بأس".

أصرّت كاثي: "كلّا، من فضلك توقّفي".

واصلّت سامي ما كانت تفعله قائلة: "سنجعل هذا المكان أجمل وأفضل لك".

خيّم الرعب على كاثي.

قالت متوسلة: "أرجوك، يا سامي. لا تفعلي".

لم تفهم سامي سبب خوف كاثي. كانت تعلم أن أمها ربما لا يعجبها ما تفعله، ولكن مظهر الغرفة كان سيئًا وتفوح منها رائحة كريهة. أرادت أن تحسّن مظهرها قليلًا، لا أن تجعلها رائحة، بل أفضل للسكنى.

كانت كاثيرا أكثر دراية بشخصية شيلي من ابنتها.

عندما رأت شيلي ما فعلته سامي، صرخت في وجه كاثيرا ونزعت المملصقات من الغرفة. وأخبرت سامي أنها فتاة مشاغبة وعليها أن تهتمّ بأمورها.

قالت لها: "إياك أن تكررِها!".

\*\*\*

في وقت متأخر من إحدى الليالي، وبعد أيام قليلة من تجمد وذوبان الثلوج، كانت كاثيرا قد اقتربت خطأً أثار حنق شيلي. لم يسبق لنيكي وسامي أن شاهدتا والدتهما يمثل هذا الغضب العارم من قبل. وقفت الفتاتان وأخذتا تراقبان من نافذة غرفة نيكي، بينما شرع والداها يأمران كاثيرا بتسلق التلّ الصغير خلف المنزل. وجاء شين أيضاً ليُشاهد. كانت كاثيرا عاريةً وتجمد بردًا. كان من الصعب رؤية ما سيحدث لها في البداية. ثبتت نيكي وسامي أعينهما على التل، بينما راحت كاثيرا تتوسّل إلى ديف وشيلي للسماح لها بالدخول إلى المنزل، لكنهما رفضا.

صرخت شيلي في وجهها: "افعلي ما نطلبه منك، يا كاثيرا. لماذا تُعقدين الأمور؟".

ومن دون أن ينبس بكلمة، دفع ديف كاثيرا من الأعلى، وبدأت تنزلق أسفل التل، وهي تبكي وتصرخ طوال الطريق. وعندما وصلت إلى الأسفل، أصدرت شيلي أوامر أخرى.

"انهضي! واصعدي مجدّدًا!".

زحفت كاثيرا صاعدةً والدموع تنساب على وجهها طوال الطريق.

استمر المشهد لفترة طويلة وكأنه دام لساعات. كانت كاثيرا عاجزة عن المشي من شدة البرد والألم اللذين تشعر بهما بلا شك. مرارًا وتكرارًا. صعودًا وهبوطًا. وفي الضوء الخافت المتسلل من نافذة المطبخ، بدا جليًا أن مؤخرتها قد جُرحت بقسوة من الشظايا الجليدية.

أخذت تكرر بلا توقُّف: "أنا آسفة. لن أكررها. أشعر بالبرد. إنني أتألم. أرجوك، يا شيلي. أتوسَّل إليك".

كان الأمر أشبه بكابوس لا ينتهي. هزَّ شين رأسه وذهب إلى القبو، من دون أن يعلِّق بكلمة واحدة على المشهد المؤلم، فماذا كان سيقول؟ ولم تستطع الأختان تحمُّله أيضًا، فتقاسمتا سرير نيكي، وتعانقتا حتى الصباح.

قالت سامي لاحقًا، بصوت منكسرٍ: "ذهبنا جميعًا إلى هناك في الصباح. أنا وشقيقتي وشين... كان الثلج مُلطَّخًا بالدماء على طول الطريق أسفل التل. وكأنه شريط أحمر كبير".

اغرورقت عينا نيكي بالدموع عندما رأت الثلج المملطَّخ بالدم في ذلك الصباح، لكنها لم تدعها تسيل على وجنتيها. سترها أمها، وقد تستمتع بذلك. كان ثمة شيء أكبر يحدث، واستشعرته الشقيقتان. كانت كاثيرا هي التي تتحمَّل التعذيب والعقاب، وليس هما.

قالت لاحقًا: "وطالما كانت أمي تعاقب كاثيرا، كانت تتجاهلنا. وبرغم شناعة الأمر -وكنا ندرك ذلك حينذاك- شعرنا بالارتياح، لأننا لسنا الضحايا".

## الفصل الرابع والعشرون

في مارس عام 1991، كانت كاي، والدة كاٲي، بحاجة إلى جراحة قلب مُعقَّدة، إلا أن ابنتها الكبرى كانت غائبة عن الأنظار. وكان أفراد العائلة يعلمون أنها تقيم عند شيلي نوتيك، فحاولوا الاتصال بها مرارًا دون جدوى. ظلَّ الهاتف يدقُّ باستمرارٍ، ولا أحد يجيب. وحين ردتَّ شيلي أخيرًا، زعمت ببرودٍ أن كاٲي قد انتقلت من المنطقة.

قالت: "إنها برفقة حبيبها روكي".

"روكي؟". بدا الاسم مألوفًا بشكل غامض لأخت كاٲي، كيلى، لكنها لم تلتق به قطُّ، وكذلك شقيقاها.

رغم إصرار شيلي على القصة، كانت مُقلِّة في التفاصيل. وما لبثت أن أغلقت الخط.

لقد اختفت كاٲي، ولكن أين؟

قالت كيلى لاحقًا: "حاولنا العثور عليها، لكننا فشلنا".

بعد فترة وجيزة، تلقّت كيلى مظروفاً به صورة باهتة لأختها واقفة أمام شاشة كبيرة. وفي داخله رسالة بخطّ كاثي المميز، تعبّر فيها عن أسفها لشُحّ التواصل بينهما، لكنها تطمئن كيلى بأنها بخير. قالت كيلى لاحقاً محاولة استعادة الذكريات: "تحدّثت عن روكي. وبدأت القصة معقولة. وفكّرت حينها أنني لا ألومها لاختيارها حياة مختلفة بعيداً عن الأسرة، حتى إن كان ذلك يعني أنني لن أراها مرة أخرى. قلت لنفسي لا بأس. ربما وجدّت شخصاً كما في الروايات الرومانسية. ربما تعيش الحياة التي تريدها وليس الحياة البائسة في المنزل".

بعد شهر، تحديداً في 15 أبريل عام 1991، انطلقت عائلة نوتيك في رحلة إلى شاطئ ووشواي، وهي بقعة على ساحل واشنطن معروفة بشواطئها المتآكل بسرعة، حيث تنتصب الكبائن المهجورة والمقظورات فوق المحيط المتلاطم، ويلوح راكبو الأمواج الرمادية في الأفق. كانت المناسبة عيد ميلاد شيلي، وكان شاطئ ووشواي من الأماكن المفضّلة لدى ديف لممارسة رياضة ركوب الأمواج. جلست توري في المقدمة مع والديها، بينما شغل بقية الأبناء المقعد الخلفي.

راحت كاثي، المحبوسة في صندوق السيارة، تذوي يوماً بعد يوم. ويكشف الفيديو الذي صوّرته كاميرا العائلة في ظهيرة ذلك اليوم لقطات لامرأة في حالة صحية متدهورة؛ إذ تبدو أسنانها الأمامية متآكلة وسوداء وقبيحة، وترهّل جلدتها في الأجزاء التي كان ممثلة سابقاً. كانت تجلس تحت الشمس تبحلق بلا مبالاة في الماء بينما تستمتع صديقتها بيومها المميز.

تألّقت شيلي كعارضة أزياء على الشاطئ العاصف بينما انهمك ديف في التقاط الصور لها. شعرها الأحمر يضوي تحت أشعة الشمس، وعيناها الزرقاوان تتلألآن عندما تضحك. لا يمكن إنكار جمالها اللافت

للنظر في عمر السابعة والثلاثين. وعدت الأبناء بالهدايا، وأمطرت  
ديف عبارات الحب.

خلف هذا الوجه الجميل والكلمات المعسولة، لم يرَ أحد ما تخبئه.  
أو كم من الوقت ستستمر في ارتداء هذا القناع؟



## الفصل الخامس والعشرون

لم تفهم سامي نوتيك المنطق وراء قرار والديها بشراء المنزل الريفي الأبيض المكسو بالألواح الخشبية، والواقع في طريق مونهون لاندينج في رايمند في صيف عام 1992. كان المنزل عاديًا لا يثير الإعجاب، وقد أبدت شيلي استياءً للاضطرار إلى الانتقال إليه؛ إذ كان يمثل تراجعًا صارخًا عن الأناقة والجاذبية التي يتمتع بها منزل لاودرباك السابق. كان منزلًا ريفيًا يعود إلى ثلاثينيات القرن الماضي، وبحاجة إلى تجديد شامل. ورغم مهارة ديف في الأعمال اليدوية، فإن انشغاله الدائم بالعمل قلل من قدرته على الاهتمام به.

لم يكن الموقع سيئًا. شكَّلت أشجار الفاكهة، وخاصة التفاح، بستانًا صغيرًا في المكان، وامتدَّ حقل كبير حتى حافة الغابة المليئة بأشجار الصنوبر والتُّنوب. كما كان هناك ممرٌ للأياثل عبر المزرعة، وكانت هناك مستعمرة لطائر البلشون بالقرب منها. كان المنزل يقع على طريق متعرِّج يمتد على طول نهر ويلابا الريفي البعيد. ورأت سامي

أن ميزته الوحيدة هي وقوعه على طريق رئيسي، وليس مختبئًا بين أشجار الصنوبر الشاهقة بعيدًا عن الطريق. وتمت أن يكون العيش فيه أفضل؛ فالقرب من الطريق الرئيسي قد يقلل من تعرُّض كاثي للتعذيب، وربما تتوقَّف أمها عن إجبارها على العمل في الفناء عارية، وربما تكفُّ عن إرغام نيكي وشين على التمرُّغ في الوحل.

لكن اتَّضح أن الموقع أكثر انعزاليًا ممَّا تخيلت سامي. وفي الأيام الأولى، طلبت شيلى منها استكشاف المكان والطريق المحيط من جميع الزوايا لمعرفة مدى وضوح البيت والفناء للمارة أو أصحاب المنازل الأخرى.

قالت لابنتها الوسطى: "الخصوصية أمر بالغ الأهمية لعائلتنا".

أمضت سامي، البالغة من العمر اثني عشر عامًا تقريبًا، عدة ساعات تنفَّذ أوامر أمها. تجوَّلت في الغابة وعبرت منطقة تمَّ تجريدها من الأشجار مؤخرًا في أرض ويرهاوسر. وعند عودتها، أبلغت أمها بما رأت.

قالت سامي: "لا يمكن رؤية سوى جزء صغير من المنزل من الخارج".

كانت مساحة المكان تقارب خمسة أفدنة، ومعظمه مُسَوَّر، وهو أمر جيد. امتلك آل نوتيك مجموعة من الحيوانات الأليفة، تضمَّت في البداية الكلاب والقطط، ثم توسَّعت لاحقًا في المنزل الجديد، لتشمل الخيول والدجاج وبيغاء من فصيلة كوكاتيل وأرنبًا اسمه باترغب. ورغم ادعاء شيلى حبها للحيوانات، فإنها في الحقيقة كانت تميل إلى جمعها أكثر من رعايتها.

ضمَّ البيت أيضًا عدة مبانٍ خارجية، معظمها صغيرة؛ حظيرة دجاج، وسقيفة أدوات، وحظيرة متداعية، وسقيفة بئر، وغرفة مضخة المياه؛ ما أكَّد الطابع الريفي للمكان. وكان أكبر المباني عبارة عن

مبنى الأعمدة بحجم مرآب الضواحي، ويضم ورشة نجارة وأرفف تخزين وخزانة مؤن ومجمدًا. وعلى بعد خطوات قليلة من الباب الخلفي، وقَّر المبنى المصنوع من الألومنيوم مساحةً ضرورية لتخزين جميع الأشياء التي لا يسعها المنزل.

كان المنزل صغيراً جداً، الأمر الذي أدركه الأبناء بوضوح.

فبمساحة تزيد قليلاً عن ألف وستمائة قدم مربع، وغرتي نوم صغيرتين في الطابق العلوي تفصل بينهما ما سيسمونه غرفة الكمبيوتر، وغرفة نوم رئيسية للوالدين في الطابق الرئيسي، لم يكن هناك ما يكفي من الغرف للأخوات الثلاث وشين وكاثي.

بالإضافة إلى وجود حمام واحد فقط، يقع بجوار غرفة نوم الوالدين؛ ما جعل المنزل يبدو أصغر.

نامت توري في غرفة نوم والديها في الطابق الرئيسي. ونام شين معظم الوقت في خزانة ملابس نيكي، من دون مرتبة.

قالت سامي لاحقاً: "لم تُعطه أمي سوى بطانية. لم يمتلك شين غرفة نوم طوال فترة إقامته في مونهون لاندينج".

وعلى غرار شين، لم يكن لكاثي مكان للنوم سوى الأرضية في غرفة المعيشة. وبحلول ذلك الوقت، وضعت كل متعلقاتها في كيس ورقي. فقد فقدت معظم أغراضها الشخصية التي كانت قد أحضرتها معها عندما انتقلت للعيش مع عائلة نوتيك. أاثا غرفتها، ومعظم ملابسها، وكتبها، كلها اختفت. ووضع ديف سيارتها القديمة، بليمث داستر، في الجزء الخلفي من المنزل الجديد. وبعد فترة، اختفت أيضاً.

شرعت شيلي فوراً في وضع خطط لتجديد المنزل؛ إصلاح المطبخ، وإضافة حوض استحمام ساخن، وإزالة الحطام الذي تركه الملاك السابقون. ولعدة أسابيع عملت العائلة نهاراً وليلاً، في الغالب ليلاً،

لنزع السجاد وتفريغ المطبخ. وكان ديثف يعود إلى المنزل في العطلات الأسبوعية، منهكًا من القيادة لمدة خمس ساعات من موقع عمله في البناء في جزيرة ويدي، وراح يبذل قصارى جهده لتنفيذ التجديدات وفقًا لمعايير شيلي. مُنحت نيكي وسامي حرية تزيين غرفتي النوم؛ فاخترت نيكي ديكورًا منقوشًا بالأبيض والأسود والمميز في حقبة الخمسينيات، بينما انتقت سامي سجادًا بلون المرجان.

بعد أن صار المنزل في حالة أفضل إلى حدٍّ ما، أخبرت شيلي نيكي أنها ستقوم بطائه باللون الأحمر الداكن. ومع ذلك، عندما اشترت الطلاء، كان أحمرَ فاقعًا. ولم تُعرِ شيلي الأمر اهتمامًا، وأعطت نيكي فرشاة طلاء صغيرة، وأمرتها ببدء بالعمل.

استغرقت المراهقة صيفًا كاملًا كي تنجز العمل.

أما سامي فكلّفت بطلاء مبنى الأعمدة، ولم يكن مفاجئًا حصولها على أدوات طلاء أفضل. بينما تحمّل شين عناء تنظيف الفناء المهمل وتكديس الحطب. وأخذت شيلي تراقب العمل بين الحين والآخر. واعتادت الجلوس معظم الوقت على الأريكة تشاهد المسلسلات الدرامية وتأكل شوكولاتة أوه هنري، وتدسُّ الأغلفة اللزجة بين الوسائد.

لم يغيّر المكان الجديد أو العمل الشاق الوضعَ الأساسي. فقد واصلت شيلي سلوكها العدواني، موجّهةً غضبها بشكل رئيسي نحو شين وكاثي.

عُنف شيلي العشوائي والمفاجئ أبقى الجميع في حالة حذر شديد. كانت نيكي تنتفض خوفًا عند اقتراب أمها، التي لم تتردّد في إيذائها بالعضّ أو الصفع أو اللكم. ذات مرة، ضربتها أمها بسبب نومها في مقعد الراكب في السيارة، وكانت تريدها مستيقظة.

وفي أحد الأيام غضبت شيلي منها. لكنها انتظرت توقُّف الحافلة المدرسية أمام المنزل ثم صفعتها بقوة على الوجه.

قالت نيكي: "تعمَّدت أن يشهد زملائي الصفعة حتى يسخروا مني".

في واقعة أخرى، ذهبت شيلي إلى مدرسة نيكي الإعدادية في منتصف اليوم، باحثةً عن الماسكارا التي كانت مُقتنعةً بأن نيكي سرقها من حمَّامها. فتحت خزانة ابنتها بعنف وألقت كل شيء على الأرض أمام أعين الطلاب.

صرخت أمام زملاء نيكي: "لقد سرقَتها! سرقَت ماسكارتِي! هذا ليس تصرفًا صائبًا. الابنة الصالحة لا تفعل ذلك!".

ورغم قسوة معاملة شيلي لنيكي، كانت كاثي الضحية الأكبر.

\*\*\*

كانت كاثي محرومة بشكل كبير من الاستحمام قبل انتقال العائلة إلى مونهون لاندينج وبعده. وكما كان الحال مع شين ونيكي، كانت تُمنَع عادةً من الاستحمام. في البداية، كان الاستحمام شبيهًا بتجربتها في منزل لاودرباك؛ حيث كانت تُرشُّ بالماء من الخرطوم بينما تقف عارية خلف المنزل على العشب. وكان ذلك يحدث بغضُّ النظر عن فصول السنة ومدى برودة الطقس.

ولم يتم استخدام الصابون، بل كانت شيلي تصبُّ عليها المبيُّض.

"أنتِ خنزيرة قذرة وهذا سينظِّقُكِ!".

كانت كاثي تصرخ عندما يلامس السائل الكاوي جروحها التي لم تلتئم بعد، والتي غطَّت جسدها من الرأس حتى أخمص القدمين. وعند اشتداد صراخها أو محاولتها للإفلات، كانت شيلي أو ديف، عندما يكون في المنزل، يربطان ساقها وذراعيها بشريط لاصق. وفي

حال غياب ديف، كانت شيلي تطلب من شين الإمساك بكاثي بينما تحمّمها بالخرطوم.

في إحدى المرات، كمّمتها شيلي بقطعة من الشريط اللاصق لمنعها من الاستنجد بالجيران.

"اصمتي! ماذا دهاك؟ إنني أساعدك، أيتها الخنزيرة الغبية!"

بعد انتهاء الاستحمام، كانت شيلي تتحوّل فجأة إلى شخصية لطيفة وحنونة، وتطوّق كاثي بذراعيها.

"ألا تشعرين بالتحسن الآن؟"

\*\*\*

استفسر ديف من شيلي عن كاثي، وأصرّت على أنها تساعدها على التّحسّن. ومع مرور الوقت، بدأ يلاحظ أنه لا يرى صديقة زوجته المفضّلة كثيراً كما اعتاد. وعند عودته من العمل في العطلات الأسبوعية، لا يجد كاثي في أي مكان.

أخبرته الفتاتان أن أمهما تحتجز كاثي في غرفة المضخّة.

لم يرَ ديف أي منطقية في هذا التصرف، فقرّر مواجهة شيلي بشأنه.

"لماذا تضعينها في غرفة المضخّة، يا شيل؟"

بدت شيلي مرتاحة تماماً لهذا الترتيب، إذ كان لديها سبب وجيه.

أجابت: "يجب حمايتها".

"حمايتها؟ ممن؟"

هزّت شيلي رأسها بحكمة. "من الأبناء، يا ديف".

الأبناء؟ لم تبدُ إجابتها منطقية؛ لأنهم كانوا أبناءً صالحين. كان منهنّكاً من الصراع مع شيلي لدرجة أنه لم يجادلها، وهو أمر اعترف

لاحقًا بأنه لم يكن ليقوى عليه حتى لو كان قد نال قسطًا كافيًا من الراحة.

دأب ديف على اعتبار كلام شيلي حقائق ثابتة لا تقبل النقاش. راحت تصرُّ باستمرار على أن شين هو المسيء لكاثي، وأنها وضعت صديقتها المقربة في غرفة المضخة لحمايتها من ابن أخيها.

قال ديف متذكرًا: "عُدْتُ إلى المنزل ذات يوم، رأيت شين يجرُّ كاثي من قدميها في الفناء". ورغم احتمال أن يكون شين قد فعل ذلك بأمرٍ من شيلي، كان ديف واثقًا، بعد رؤية هذه الواقعة، أن شيلي كانت تخبره الحقيقة المطلقة.

مكتبة  
t.me/soramnqraa



## الفصل السادس والعشرون

"أين كاثي؟"

صاحت شيلي بينما تنهض من الأريكة في غرفة المعيشة بمنزل مونهون لاندنينج. وقفت هناك مرتدية مبدلاً، وكان شعرها أشعث وغير ممسّط.

أجابت سامي: "إنها تقتلع الأعشاب الضارة".

تطلّعت شيلي من النافذة، ثم صرخت قبل أن تتجه إلى غرفة النوم لترتدي ثيابها: "لقد اختفت! ابحثوا عنها في الغابة حالاً!".

لم تكن بحاجة لإضافة "حالاً". فكل ما كانت تقوله يُعدُّ أوامر قاطعة لا تحتمل التأخير. ركضت سامي خارج الباب وعبرت الحقل إلى الغابة خلف المنزل. وهتفت باسم كاثي مراراً بينما تفتّش المكان. كانت تعرف أن أمها لن يهدأ لها بال إلا إذا استمروا في البحث حتى الليل. تتبّعت الفتاتان وشين مسارات الغزلان في الغابة.

قال شين: "ربما هربت".

قالت نيكي: "أتعشم".

انطلقت شيلي بالسيارة، وبعد ساعتين عادت برفقة كاثير التي كانت تحمل حقيبتين مليئتين بالملابس الجديدة من مول ويشكا في أبردين. وأخبرتهم أنها وجدت كاثير مع صديقة، وتمكّنت من التحدث معها على انفراد في حمام المول. وقرّرت كاثير العودة إلى المنزل. كان بحوزتها زيٌّ أخضر وآخر أحمر، وكلاهما يتكوّن من بنطلون وقميص مُخطّط بنفس الألوان. كانت ترتدي أيضًا ثيابًا جديدة أثارت دهشة سامي ونيكي. بدت كاثير في حال أفضل ممّا كانت عليه منذ فترة طويلة، رغم فقدان بعض شعرها وأسنانها. بدت نظيفة وأكثر سعادة. عقّدت الدهشة لسان نيكي. لم تفهم سبب عودة كاثير. لماذا لم تستغل الفرصة لإخبار أحد؟ صديقتها في المول؟ الشرطة؟

أي شخص؟

قالت بعد سنوات: "صدمتني عودتها. لم أصدق أن أمي لم تتعرّض للمساءلة. حسبت أنها ارتكبت جريمة. كان بوسع كاثير اللجوء إلى الشرطة وإخبارهم أنها تعرّضت للإساءة. لماذا عادت؟ لقد جنّنت وفقدت عقلها تمامًا. إنها مخبولة. وظننت أن أبي كذلك. لم لا يُطلقها؟".

بعد سنوات، بكت سامي عندما تذكّرت سعادة كاثير. كان الأمر بشعًا وظالمًا. "تمكّنت من البقاء داخل المنزل لفترة قصيرة بعد أن أمسكت بها شيلي في المول. ليس لفترة طويلة، ولكن بعض الوقت".

بعد أيام قليلة، أُعيدت كاثير إلى غرفة المضخّة عقابًا على هروبها.

لم يرها أحدٌ ترتدي تلك الملابس الجديدة الرائعة مجددًا.

\*\*\*

حاولت كاثير الهرب مرارًا. وذات مرة، حاولت الهرب وهي عارية.

اقترب أحد التلاميذ من سامي في المدرسة ليخبرها بالقصة.

قال: "تخيّلي! رأوا أممك من الحافلة بينما تجري عارية في الفناء! بدت كدب عار كبير!".

ومنت سامي أن تنشق الأرض وتبتلعها في تلك اللحظة.

قالت محاولة إنكار أمر تعلم يقينًا أنه وارد الحدوث: "لا أظن ذلك".

"رأتها أم إيرين".

كانت أم إيرين سائقة الحافلة المدرسية.

حاولت سامي نسيان الأمر، لكن القصة انتشرت في المدرسة كالنار في الهشيم. ولم يتوقف أحد عن الحديث عنها.

أخبرت سامي أمها بكل شيء عندما وصلت إلى المنزل.

قالت شيلي: "اللعنة! كانت كاثير! كانت تحاول الهرب! لكنني أمسكت بها".

جاء تفسير أمها مطابقًا لما توقعته سامي إلى حد ما. قالت: "الأمر جدُّ مُحرج، يا أمي، يعتقدون أنك فعلت ذلك".

فزعت شيلي. إنها كاثير! سيتساءل الناس عمًا يحدث في منزلهم إذا رأوا كاثير تركض في الفناء عارية. ووضعت خطة في لمح البصر.

قالت: "ادعي إيرين على العشاء، يمكنكما استخدام حوض الاستحمام الساخن".

في وقت لاحق، عندما جاءت إيرين، كانت هي وسامي في حوض الاستحمام الساخن واقتربت شيلي.

قالت شيلي: "يا إلهي! أشعر ببالغ الحرج. كنت في حوض الاستحمام عارية، وفجأة حدثت شرارة، فقفزت وركضت عبر الفناء. كنت خائفة! حسبت أنني سأموت!".

استمعت الفتاتان إلى القصة، وأخذتا تُردِّدان بعض التعبيرات مثل "يا إلهي!", بينما واصلت شيلي الإشارة إلى بقعة محترقة على جدران حوض الاستحمام، وشرحت كيف اندلعت الشرارة بالأسلاك.

قالت سامي لاحقًا: "كانت أمي بارعة، لقد أحرقت تلك البقعة قبل مجيء إيرين، لتبدو قصتها أكثر منطقية. لا أعرف إن كانت إيرين قد صدقتها، لكنني كدتُ أفعل".

\*\*\*

سمعت نيكي صراخًا فاختلست النظر من الباب المفتوح لمبنى الأعمدة، حيث كُلفت بأداء بعض الأعمال المنزلية. في ذلك اليوم، سُمح لكاثي بالخروج من غرفة المصنّعة لاقتلاع الأعشاب الضارة، ولم تكن شيلي راضية عن مستوى عملها. وعقابًا لها، جرّها ديف، بأمر من شيلي، من الحديقة حيث كانت تعمل. وعندما لمحت نيكي كاثي، رأتها متهاوية وعارية تبكي على لوح خرساني.

قالت شيلي بنبرة أمرة: "اركلها، يا ديف!".

لم ينطق ديف بكلمة. قلّمًا كان يتكلم. كان يرتدي حذاء ذا طرف فولاذي، من الطراز الذي يرتديه في الغابة. وشرع يركل كاثي في رأسها. قالت نيكي لاحقًا: "كانت ممدّدةً على الأرض وتئنُّ. أعتقد أنه ركلها بقوة. ثم لم أعر الأمر اهتمامًا. عدتُ إلى داخل مبنى الأعمدة".

## الفصل السابع والعشرون

كانت غرفة المضخة أصغر المباني الخارجية في البيت الريفي، والتي شملت حظيرة قديمة، ومبنى الأعمدة، وحظيرة دجاج، وعددًا من أكواخ التخزين. كانت مظلمة ورطبة وباردة. قرّرت شيلى أنها ستكون مكانًا مناسبًا لكاثي لتعيد التفكير في أخطائها. كما قضت نيكي وشين بعض الوقت أحيانًا في ذلك المكان الضيق الذي لا يتجاوز طوله أربعة أقدام وعرضه أربعة أقدام.

أجبرت كاثي على البقاء هناك أيامًا، بل أسابيع متواصلة في بعض الأحيان.

جلبت سامي بعض الوسائد من أريكة بنية قديمة موضوعة في مخزن الحطب، لإضفاء بعض الراحة على المكان من أجل كاثي. وحين علمت شيلى، أجبرتها على إزالتها على الفور.

قالت شيلي: "نريدها أن تتحسّن! وليس أن تشعر بالراحة! يجب عليها أن تفهم ما فعلت وأن وتدرك سبب عقابها. نريدها أن تعود إلى المنزل، لا أن تبقى هنا!".

لم تفهم سامي كيف لمُساعدَتِها أن تؤذي صديقتها، لكنها تراجعت. فمساعدتها لكاثي قد يغلظ عقوبة الأم.

كانت أمها في الغالب تمارس الإساءة بطريقة غير مباشرة، إذ كانت تُكلّف ديثف أو شين بتنفيذ أوامرهما. وكان تقاعُسها أحيانًا عن التصرف هو ما يعكس عدم اكتراثها بالآخرين.

ذات مرة، تتبعت سامي أمها وكاثي خارج المنزل إلى الممر المجاور لمبنى الأعمدة المفتوح. وفجأة، ومن دون سابق إنذار، دفعت شيلي كاثي بقوة، فطارت في الهواء وارتطم وجهها بالأرضية الأسمنتية. لم تحاول حتى تخفيف سقوطها، بل تكوّمت كاثي بجسدها، وبدأت تصرخ وتمسك رأسها، متلويّةً من شدة الألم كحيوان جريح. شاهدت سامي والدتها تتردّد للحظة قبل أن تساعد كاثي على النهوض وتعيدها إلى غرفة المضخّة.

ظنت نيكي أنها تعرف دافع أمها لوضع كاثي في هذا المكان. لم يكن بسبب خطأ جديد ارتكبته كاثي. ولم يكن عقابًا حقيقيًا. بل كان الدافع الحقيقي هو أن أمها سئمت من مراقبة كاثي بعد محاولات هروبها. لم تقل شيلي ذلك صراحة، لكن نيكي حسبت أن أمها خشيت أن تنطق كاثي حرفًا مِمّا يحدث معها.

وكما فعلت مع سامي، حاولت أمها وضع تصرفاتها في إطار إيجابي لصالح كاثي. على سبيل المثال، راحت تُردّد أن حبس كاثي في غرفة المضخّة كان لصالحها.

قالت شيلي بينما تمسك يد كاثي وتقودها خارج الباب وعبر الفناء: "أعتقد أنها ستكون أفضل حالاً في غرفة المضخة. إنها تحتاج إلى بعض الهدوء والسكينة".

كانت تسوق دوماً تبريرات واهية لتصرفاتها تجاه كاثي.

كانت نيكي تساعد أمها من حين لآخر في نقل كاثي إلى غرفة المضخة ووضعها هناك. وأخذت صحة كاثي تتدهور بسرعة. كانت نيكي متيقنة أن أمها تكذب بصفاقة؛ فكاثي كانت بحاجة ماسة إلى رعاية طبية، وليس عزلها في ذلك المكان الرطب.

لم يكن من المنطقي حبس شين ونيكي أيضاً، ولكن كان ذلك مصيرهما كلما سئمت شيلي الضرب، ورغبت في عقاب يدوم لفترة أطول.

عقاب يُظهر مدى سيطرتها على الجميع.

قالت نيكي لاحقاً موضحةً السبب وراء هذه العقوبة: "كانت تُبعدنا -أنا وكاثي وشين- عن ناظريها. لم تضطر لمراقبتنا والقلق بشأن ما قد نفعله. خاصةً شين وكاثي".

ومع الوقت، بدا أن كاثي تقبّلت وضعها، مثلما اعتادت ركوب صندوق السيارة.

في أحد الأيام، كانت سامي بالقرب من غرفة المضخة عندما سمعت صوت كاثي يقول: "أهناك أحد في الخارج؟".

اقتربت من الباب المغلق ووضعت أذنها عليه. ولم تجرؤ على فتحه، كاثي كانت تعرف أنها لا تجرؤ على طلب ذلك على أي حال. فشيلي أوضحت للجميع أن وضع كاثي هناك كان عقاباً، وكذلك سبيلاً لشفائها وتحسُّنها.

سألت كاثي: "هل المطر يهطل بالخارج؟".

"نعم، منذ قليل، ولكن كَفَّ عن الهطول الآن، يا كاثيري".

قالت بصوت خافت أجش: "صحيح، ظننتُ أنني سمعت صوت المطر".

\*\*\*

كان ديثف يعمل في جزيرة ويدي. واحتاجت شيلي الذهاب إلى المدينة لإنجاز بعض المهام. وقبل مغادرتها، كلَّفت شين بمراقبة كاثيري، مُحذرةً إيَّاه من السماح لها بالصراخ أو استدعاء أي شخص.

قالت: "ولا تدعها تهرب، تأكَّد من بقائها حبيسة في غرفة المضخة، يا شين. لا يمكننا الوثوق بها الآن، إنها غير طبيعية".

تظاهر شين بالموافقة.

ولكنه قال لنيكي فور مغادرة شيلي: "سحقًا لأوامرها! سأحرر كاثيري".

شعرت نيكي بالسخط من قرار والدتها بحبس كاثيري في غرفة المضخة. كانت تدرك حاجة كاثيري الملحة للعلاج، فحالها راح يتدهور يومًا بعد يوم. وكان وجهها متورمًا، وأسنانها القليلة المتبقية تشبه ثمار الجوز البنية الصغيرة، تتدلى وكأنها على شفا السقوط.

أزاح شين القفل وفتح الباب بقوة.

غمر الضوء المكان فأجفلت كاثيري. جلست بلا حراك ثم نظرت إليه أخيرًا.

قال: "تعالى إلى الخارج".

لم تتحرك.

كانت نيكي تعلم أن كاثيري تخاف من شين، رغم أنه لم يكن هناك ما يدعو للخوف منه في ظل غياب أمها.

في البداية ترجَّها شين، لكن صبره نفذ سريعًا أمام سكونها.

"هيا يا كاٲي؁ اخرجي. عليكِ الخروج من هنا".

شرعت كاٲي تبكي. كانت شاحبة ومحطمةً وجسدها تغطيه الجروح؁ وقد تساقط معظم شعرها؁ ولم تكن ترتدي إلا قميص نوم خفيف ومهترئ.

ازداد غضب شين مع كل ثانية تمرُّ. "ماذا دهاكِ بحق الجحيم؟ ارحلي! اخرجي من هذا المكان حالًا! هذه فرصتك!".

بدت كاٲي مرعوبة وقالت: "أنت تكذب!".

قال شين: "كلًا؁ ما أقول إلا الصدق. بوسعكِ المغادرة الآن".

تراجعت كاٲي خوفًا إلى زاوية المبنى الصغير. وأخيرًا تحدّثت بصوت أجش: "إذا خرجتُ؁ سيعثرون عليّ. تعرف ذلك. سيفعلون. ستعثر هي عليّ".

احتدم غضب شين. وعجز عن فهم سبب عدم هروبها؁ رغم سنوح الفرصة. لقد كانوا جميعًا صغار السن؁ وليس لديهم مكان آخر يمكنهم اللجوء إليه؁ أما هي فامرأة بالغة.

"هذه فرصتك الوحيدة؁ يا كاٲي. لا تضيّعها بغبائك".

توسّلت كاٲي إليه أن يتركها وشأنها.

أغلق شين الباب بقوة؁ تاركًا إيّاها في الظلام. التفت لنيكي قائلاً: "ستموت إذا بقيت هناك".

"أعلم".

في وقت لاحق؁ جلس الاثنان في غرفة نيكي بالطابق العلوي لفترة طويلة؁ وساورهما شعور وطيّد بأن أمل كاٲي في النجاة يتلاشى. عندما فتح شين الباب ليسمح لها بالهرب؁ كانت تلك فرصتها الأخيرة على الأرجح. لم تعد كاٲي تملك ذرّةً قوةً لمقاومة الوضع. لقد استسلمت تمامًا.



## الجزء الرابع

### الزّوج ديف



## الفصل الثامن والعشرون

كانت شيلي لا تفتأ تردّد على مسمعي ديف أنه زوج سيئ.  
كانت تقول له مقوِّضةً ثقته بنفسه: "أنت أسوأ زوج على الإطلاق!".

كانت تخبره أنه ما كان ينبغي لها أن تتزوَّجه.  
وأنه كان بوسعها اختيار أي رجل تريده.  
وأن اختيارها له كان خطأ فادحًا.

لم يعارضها ديف. كان يعرف في قرارة نفسه أن شيلي مُحِقَّة في كل شيء. كان يدرك أن الزوج المثالي سيبقى في المنزل طوال الوقت، ويشترك في الأعمال المنزلية، ويعتنى بالأطفال، ويبينّ لزوجته أنه أكثر من مجرد مصدر للدخل. لكنه كان يعمل ست عشرة ساعة يوميًا، ويقود سيارته من جزيرة ويدي للعودة إلى المنزل في العطلات الأسبوعية، والتي لم يتمكن خلالها من إنجاز أي شيء فعلي. كانت

وظيفته في البناء تتطلب العمل اليدوي، الذي يستنزف قواه بالكامل. وطوال اليوم، كان يجرع كميات كبيرة من القهوة ويتناول حبوب نودوز وقيثارين ليكافح النعاس.

روى فيما بعد: "كنت أقود الجرّار، أنزل وأصعد، وأتجه صعوداً وهبوطاً على التلال لإنجاز العمل. كان العمل يتطلب مجهوداً بدنياً شاقاً. وكنت أكافح للبقاء مستيقظاً. وتدهور الوضع في عملي لدرجة دفعتني لاستنشاق بخاخ الأمونيا من علبة الإسعافات الأولية للبقاء مستيقظاً أثناء قيادة الجرار".

كثيراً ما وجد ديف نفسه غير قادر على إكمال رحلة العودة من جزيرة ويدبي إلى المنزل. وكان يتساءل كيف لم يسبق له أن انحرف عن الطريق واصطدم بشخص. في بعض الأحيان كان يقود ببطء شديد على الطريق السريع، من دون وعي بالسبب، لدرجة أن الجميع يتجاوزونه. وكان يسمع أحياناً أصواتاً داخل رأسه وصفها بـ"الأصوات الصارخة".

عندما تسيطر عليه تلك الأصوات، كان يتوقف على جانب الطريق ويغفو ليستجمع شتات نفسه. وفي بعض الأحيان كان يتمكن من مقاومة تلك الحالة ويواصل القيادة حتى منزله برايمند. أو إذا كان أقرب قليلاً، كان يوقف شاحنته "أولد بلو" في "بيوت كريبك"، وهي منطقة للنزهات تقع على بُعد ثلاثة أميال شمال المنزل على الطريق السريع 101. في تلك اللحظات كان يستنفد كل طاقته، ويبلغ منه الإنهاك مبلغه، حتى إنه لم يعد لديه القوة الكافية لضغط دواسة الوقود. كان يساوره الضعف الشديد فلا يقدر على مواجهة شيلي، حتى إنه يحتاج إلى استراحة كي يستجمع قواه.

ويبعد عن رأسه تلك الأصوات.

لكن هذا لم يردع زوجته. في إحدى المرات، أيقظه طرُق قوي على نافذة شاحنته.

كانت نيكي.

قالت: "نحن نعرف مكانك، يا أبي". ثم عادت إلى سيارة الجيب الجديدة التي اشتريتها شيلى لنفسها.

لم تكلف شيلى نفسها عناء النزول من سيارتها أو حتى توجيه كلمة إليه. لقد تركت ابنتها الكبرى تُخجله وتُدكره في الوقت نفسه بأنه أينما ذهب، وأينما اختبأ، ستمكّن من تعقبه.

كان هذا ديدن شيلى. كانت عنيده كلاب الصيد، وتتمتع بقدرة على التحمل وموهبة فطرية في تتبّع أثر أي شخص. في أي وقت.

كان ديف واهماً بلا شك إذا ظن أن بوسعه الهروب ولو لفترة وجيزة من مشكلات البيت.

ظنّت لارا واطسن أن صهرها يعاني من مشكلة إدمان خطيرة، لكنها بدت تافهة مقارنة بمشكلة شيلى. بوسعه الإقلاع عن الإدمان. لكن التخلّص من شيلى لم يكن بهذه السهولة كما تبين.

كانت لارا على يقين من أن ديف سيتبع خطى راندى وداني ويغادر في النهاية. ومع ذلك، اعترف ديف لاحقاً بأنه لم يملك الشجاعة لترك شيلى، ولكنه ظلّ يأمل في أن يجدها قد رحلت يوماً ما.

قال ديف متذكراً: "تمنيتُ أن تختفي، أو تنتقل إلى فانكوفر، أو مكانٍ بعيد. لا أعرف ماذا كنت أتوقع، لكنها ظلت تلاحقني".

بينما تأمّلت لارا الوضع من بعيد، رأت أن الجدة آنا قد سبقتها في هذا الوضع حين أجبرت زوجها على النوم في الحظيرة. كما فعل راندى، زوج شيلى الأول، حين لجأ للنوم في سيارته بعد مشاجراتهما. والآن يتكرّر السيناريو بحذافيره مع ديف.

قالت لارا: "لم يكن يرغب في العودة إلى المنزل، أو ربما لم تسمح له. كان يعمل ليل نهار ثم ينام في شاحنته. كانت شيلي تستأثر بالسيارة الكبيرة، بينما اكتفى هو بالشاحنة. كان ينام فيها أو يتسلل إلى المكتب بعد انتهاء دوام الموظفين لينام على الأرض هناك".

\*\*\*

ألقى ديف لاحقًا باللوم على ما حدث في المنزل الأحمر الصغير في مونهون لاندينج على قراره بترك وظيفته في ويرهاوسر، وهو قرار أصرت عليه شيلي، مُدعيةً أن الشركة العملاقة تستغله وأن بإمكانه كسب المزيد من الأموال بالعمل لدى شخص آخر. لكن وظيفته أبعدته عن المنزل، وكان مقتنعًا بأنها السبب في تقصيره في أن يكون أبًا ملتزمًا وزوجًا صالحًا.

قال عن حياتهم في منزل لادورباك: "كانت الأمور تسير على ما يرام. وكنا أنا وشيل ونكي وسامي وكل شيء بخير. وكنت أعود إلى المنزل كل ليلة كما ينبغي. فالزواج يُعدُّ مسؤولية مشتركة، وأنا قصرتُ في واجباتي. تربية الأطفال مهمة شاقة. ولا يمكن الاعتماد على الأم وحدها للاعتناء بهم طوال الوقت، وضبط سلوكياتهم ومساعدتهم في واجباتهم المدرسية. لم أكن موجودًا لمساعدتها. وحتى حين أكون بالبيت، كنت أغطُّ في النوم. لم أستطع حتى البقاء مستيقظًا لمشاهدة التلفاز".

رأى ديف أن شيلي تتحمّل عبء الأسرة بأكمله.

"لقد وقعت كل المسؤولية على عاتقها كام، بل وأكثر. وأقصد تنظيم حفلات أعياد الميلاد للأبناء، وتجمُّعات الشواء، وغيرها. كانت شيل تحضر دائمًا مسابقات سامي الرياضية، بينما تغيبتُ أنا عن جميع المناسبات المدرسية. لم أكن الزوج المثالي قط".

كان ديف مقتنعًا بأنه ارتكب خطأ فادحًا في محاولته التصرّف بشكل صحيح، وأنه خذل الجميع، ولم يكن على المستوى المطلوب. وبرأيه، فشل في المهام المتوقّعة منه.

"كان والدي يعولني ويعمل بجدّ شديد، وكذلك جدّي. لقد خذلتُ عائلة نوتيك. أشعر بأن الفشل جزء من شخصيتي".

استنزفت الفواتير الطبية حسابهم المصرفي. وطالبت شيلي ديف ببذل مزيد من الجهد لتلبية الاحتياجات، مؤكّدةً أن الأمر مسألة حياة أو موت. لكن ديف عجز عن العمل بجهد أكبر. كان يواجه صعوبات بالغة، ويعمل ساعات إضافية لدفع جبل الفواتير المتراكمة.

ذات يوم، طلبت منه شيلي اللجوء إلى عائلته للحصول على المساعدة المالية. فاتصل ديف بأخته، التي يعتبرها آل نوتيك ثريّةً، ليشكو لها حالتهم المادية المتعسّرة.

قال ديف بصوت متوسّل: "سرطان شيلي يدّمّرنا".

وافقت أخته على تقديم المساعدة.

بعد بضعة أيام، عادت شيلي من استلام البريد في حالة غضب شديد لم يعهده ديف.

قالت بحنق: "ثلاثون دولارًا فقط؟ هل تصدّق؟ هذا قليل جدًّا! أعاني من السرطان وهذا كل ما يقدمونه لنا؟".

كان ديف يشعر بالحرج الشديد لطلب المال، ولكنه شعر بخيبة أمل أكبر بسبب استياء زوجته من المعونة.

قال لها: "إنهم يساعدوننا، يا شيل".

"مساعدتهم لا تكفي".

كان هذا أقصى ما يستطيع ديف فعله؛ دعم شيلي دائماً، وطلب المال، والعمل بلا كلل، وتبرير تصرفاتها لعائلته.

استمر الحال على المنوال ذاته؛ بينما كانت شيلي تهين ديف وتنتعه بالرجل الضعيف ورب الأسرة الفاشل متى سنحت الفرصة، استغل ديف كل مناسبة ليؤكد لزوجته مدى حبه وتقديره لها.

على عكس بعض الأزواج الذين يكتفون بشراء بطاقة جاهزة ويوقعونها، كان ديف رقيق المشاعر. لم يكن يكفي بتوقيع اسمه على بطاقات الحب الجاهزة التي تُباع في متجر "هولمارك"، بل راح يكتب لها رسائل بخط يده النضيد تُعبر عن مشاعره الحقيقية، أو بالأحرى، صورة رومانسية ومثالية عن علاقتهما.

"هل تتذكري كلماتك لي منذ سنوات؟ لقد قلت إن الملائكة يتصرفون ببراءة وبساطة. أنا متزوج بملاك. عيناك هما أرق عينين رأيتهما في حياتي. وروحك تبتُّ الدفاء والحب أينما حَلَلتِ... تخمرين بالحنان والاهتمام كل شيء وكل شخص، من أطفالك إلى الناس والحيوانات والنباتات. أنتِ حقاً نقية القلب والروح".

لم يكن مهماً مدى إيمان ديف بكلماته.

كانت رسائله رغبة ورجاء. كانت ما يتوق إلى تصديقه ليتحمّل رحلاته الطويلة من وإلى رايمند.

## الفصل التاسع العشرون

لم تكن شيلي طبيبة، لكنها راحت تتصرّف على هذا الأساس، على الأقل هذا ما بدا لعائلتها. تتذكّر سامي أنها كانت تستيقظ أحياناً لتجد أمّها تلوّح بقارورة زجاجية مكسورة أمام وجهها، تستنشق منها شيئاً؛ ما يجعلها تسعل بشدة وتكاد تتقيأ.

رأت أمها تفعل الشيء نفسه مع كاثي.

قالت سامي: "كانت كاثي يُغشى عليها من شدة التعذيب، ثم تعيدها أمي إلى وعيها وتعيد الكرّة".

ذات مرة في مونهون لاندينج، شعرت سامي بالصداع. أخبرتها أمها أن الإكسيدرین قد نفذ، وعرضت عليها دواء آخر.

كانت الحبوب غريبة الشكل وغير مألوفة، لكنها تناوّلتها على أي حال. وسرعان ما وجدت نفسها تزحف على الأرض، عاجزة عن رفع رأسها. حاول شين مساعدتها لكن بلا جدوى.

قال شين: "أعطتكِ أمك دواءً قويًا يُرخي العضلات. فعَلتِ معي الشيء ذاته".

رغم امتلاكها مخزونًا كبيرًا من الأدوية في المنزل، راحت شيلى تبحث عن شيء آخر لم يكن لديها في ذلك الوقت. قامت بتصوير معلومات تروّج لفوائد مهدّئ الأعصاب هالدول، الذي أرادت الحصول عليه.

لسببٍ ما. لشخصٍ ما.

\*\*\*

استمر علاج شيلى من السرطان لفترة طويلة، لدرجة أن لارا لم تُعدّ تحتمل الأمر. ورأت أن شيلى جعلت بناتها يَعِشن كابوسًا يعتقدن فيه أن والدتهن ستموت في أي لحظة. وظنّت أن زوجها يجب أن يواجهها، لكن ديف كان ساذجًا للغاية. وطيبًا جدًّا. وقرّرت لارا مواجهة شيلى بنفسها .

اتّصلت لارا بابنتها كارول، أخت شيلى غير الشقيقة، وأخبرتها أنهما ستذهبان إلى رايمند لإنهاء قصة السرطان نهائيًا. وقرّرتا عدم إخبار شيلى مسبقًا، لأن في كل مرة كانتا تُرتبان للزيارة، كانت شيلى تحرص على عدم وجود أحد في المنزل في الوقت المحدد.

سافرت الأم وابنتها بسيارة لارا السوداء من طراز شيفروليه بليزر موديل 1992 إلى منزل شيلى لمعرفة الحقيقة. وعندما فتحت شيلى الباب الرئيسي، كادت لارا تضحك لو لم يكن المشهد مروّعًا للغاية.

بدت شيلى كدمية من مسرح الكابوكي، لكنها دميمة تعاني اعتلالًا شديدًا.

قالت لارا متذكرة: "كانت تضع مكياج أبيض وقد حلقت حاجبيها بالكامل. أما وجهها فكان مرعبًا. أستطيع تخيُّله بوضوح الآن. لا يُصدَّق".

لم تَبْدُ شيلى سعيدة برؤية زوجة أبيها وأختها على عتبة منزلها. وبعد لحظة صمت، دعتهما للدخول.

قالت: "تسعدني زيارتكما".

كانت لارا قد اعتادت أكاذيب شيلى؛ لذا رَدَّت عليها بكذبة صغيرة.

قالت: "نريد التحدث معكِ حول ما تمرّين به حتى نتمكّن من دعمك بشكل أفضل".

جلست شيلى على كرسي وقالت: "أشكركما".

كانت لارا مُصمّمة على تحقيق هدفها.

قالت: "نحتاج إلى أسماء أطباءك وعنوان العيادة. لقد استمرّ علاجك لفترة طويلة جدًا. سنحتاج أيضًا مراجعة جميع فواتيرك".

لم تُجِب شيلى. ربما لم يكن لديها الكثير لتقوله.

سألت لارا: "ما مدى سوء حالتك بعد العلاج؟".

نظرت شيلى إليها مباشرة وأجابت: "حالي سيئة للغاية".

في إحدى اللحظات، نهضت شيلى وذهبت إلى الحمام. تبادلّت لارا وكارول نظرات صامتة. كانت الفتاتان جالستين هناك بهدوء ويدعمان والدتهما. لم يكن هناك أي أثر لكاثي لورينو.

بعد بضع دقائق، خرّجت شيلى بحفنة من الشعر الأحمر.

قالت شيلى بينما تسقط خصلة الشعر على الأرض: "شعري، يا

أمي، شعري يتساقط".

قالت لارا: "يا إلهي!"، والتقطت خصلة الشَّعر بينما كان الجميع يتابعون المشهد. تأمَّلت الشعر ثم واجهت شيلي مرة أخرى.

قالت أخيراً: "لم أرَ من قبل مريضاً يخضع لعلاج السرطان ويفقد شَعره من المنتصف. عادة يفقدونه من فروة الرأس. لكن شعرك يتكسَّر".

ذهبت لارا إلى الحمام للتَّحَقُّق ممَّا حدث.

قالت متذكِّرةً، متشبِّهةً بالذِّكرى الواضحة حتى بعد سنوات: "وجدتُ سَلَّةَ مهملاتٍ تعلوها بعض المناديل الورقية المجددة. فتشت السَلَّةَ ووجدتُ شَعراً طويلاً ومقصاً. وكان لا يزال هناك شَعْرٌ في المقص. شعر أحمر. خرجت بالمقص. كانت شيلي جالسة وتولي ظهرها إليّ. كادت كارول تفقد وعيها من الصدمة. لم تنبس الفتاتان بكلمة".

ورفَضت شيلي مُجدِّداً الاعتراف بالحقيقة.

التفتت لارا إلى ابنتها في السيارة في طريقهما إلى المنزل.

قالت: "رباه! هذه الفتاة مريضة حقاً". لم تكن تقصد السرطان.

شاطرَتها كارول، التي كانت لا تزال مصدومة، الرأي.

لم يكن أي منهما يعرف مدى مرض شيلي الحقيقي.

بدأ سيل من الاتصالات الهاتفية في ساعات الفجر الأولى خلال تلك الفترة. كانت لارا تستيقظ مفزوعة من النوم لتردَّ على الهاتف في الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً لتجد شخصاً يصرخ في أذنها. وفي بعض الأحيان كانت المكالمات تنقطع بشكل مفاجئ مراراً وتكراراً. ولم تُشكِّ لارا لحظة واحدة في أن شيلي وراء هذه المكالمات. وإذا لم تكن هي، فإنها قد وُكِّلت شخصاً آخر بذلك.

تلقت كارول مكالمات مماثلة أيضاً.

كانت كارول تعمل في مجال عروض الأزياء المطبوعة لشركة نورديستروم آنذاك، وقد ذكرت ذلك لشيلي التي بدت مهتمة. والغريب أن وكالة عرض الأزياء التي تعمل بها كارول أبلغتها أنها تلقت بلاغاً مجهولاً في إحدى الليالي يتهمها بالسرقة ويحذر من التعامل معها. كان ذلك ديدن شيلي. كانت معظم أعمالها الانتقامية تتم في ساعة متأخرة من الليل عندما يكون العالم غارقاً في سبات.

قالت لارا متذكرةً: "كان هذا دأبها. كانت مخلوقاً ليلياً لا تستطيع النوم حتى في طفولتها. وفي الصباح نرى حول عينيها هالات سوداء كبيرة. وكانت تقاوم الخروج من فراشها، ونضطر لخوض مشاجرات عنيفة كل يوم لإقناعها بالخروج من المنزل".

\*\*\*

استشاطت شيلي غيظاً حين علمت بوجود حفل عشاء لجمع التبرعات لوالد أحد زملاء نيكي بالمدرسة الثانوية، والذي كان يعاني من السرطان.

سألته شيلي: "لماذا لم تفعلي ذلك من أجلي؟ أنتِ لا تحبينني مطلقاً".

فكرت نيكي: لست مصابة بالسرطان، يا أمي.

لكنها قالت: "أنا آسفة، يا أمي".

هزت شيلي رأسها بازدراء مريـر وقالت: "لا أعرف لماذا أهتم بك، يا نيكي. أنتِ تخذلينني دوماً. يا لخبيرة أملي فيك!".



## الفصل الثلاثون

في سنِّ السادسة عشرة تقريبًا، استنفد شين واطسن كل طاقته. كان يذهب إلى المدرسة، ويعمل في الفناء حتى حلول الظلام، وينام في خزانة ملابس ابنة عمته نيكي. كان مرهقًا جسديًا وعقليًا. لم يكن أي شيء مِمَّا يحدث حوله، أو ممَّا فرضه الأبوان عليهم، صحيحًا أو طبيعيًا. كان يكره ذلك. وأراد الهروب. ومع ذلك، تيقن شين أنه عالِقٌ مثل كاثي تمامًا. والمفارقة الساخرة، والمروعة كذلك، في وضعه هذا أن عائلة نوتيك كانت خطته الاحتياطية، وعقد عليهم آمالًا عظيمة. كانوا هم مَنْ أنقذوه من حياة الشوارع، ولكن كم كان الثمن باهظًا!

من وجهة نظر شين، كانت شيلى أسوأ ممَّا يمكن وصفه، لكن ديف لم يكن أفضل حالًا، ربما كان أسوأ. كان ديف رجلاً بالغًا، ولم يفهم شين لماذا يفعل كل ما تأمره به شيلى. تمارين عارية لشين ونيكي. القفز في الهواء بالخارج خلال الشتاء. التجوال حول المنزل في منتصف الليل حتى ينهارا. ومع تقدُّم سنِّه وغمو جسده، بدأ شين

يقاوم ويجهر بأرائه بجرأةٍ حول مدى تدهور الأوضاع قبل وبعد مجيء كاثي. تشاجر مع ديف أكثر من مرة بينما كانت شيلي ترابطهما، وتحثُّ زوجها على جعل شين عبرة لمن لا يعتبر.

"من أجل مصلحته، يا ديف!"

في بعض الأحيان تصاعدت المواجهات في منزل مونهون لاندينج إلى اشتباكات جسدية.

ذات مرة، ضرب شين ديف أثناء مشادة كلامية في غرفة الغسيل. بعد سنوات، نسي ديف تفاصيل ما حدث بينه وبين شين والذي أدَّى إلى اشتباكهما في تلك الليلة. ربما أبلغته شيلي بتصرفٍ وقح تجاهها أثار غضبها.

قال ديف: "كان يزداد عنادًا وتحديًا، وداومَ على الهروب. كان صبيًا متمردًا لا يخشى أحدًا".

مع ذلك، كان ديف يحبُّه.

قال لاحقًا: "كان يناديني بأبي وينادي شيل بأمي. كان يعمل بدأب ويجتهد في الدراسة. حاولت شيلي مساعدته لأنه كان منبوذًا، وكان ابن أختها لحمها ودمها. وكان الأمر صعبًا لأن شين كان مشاكسًا ودائم التورط في المشكلات بالمدرسة".

ارتبط تدهور مستوى شين الدراسي بشكل مباشر بما كان يحدث في المنزل، وهو الأمر الذي لم يدركه ديف بسبب غيابه معظم الوقت. كتب شين في أحد الواجبات المدرسية ما يشير إلى وجود صدعٍ في الصورة المثالية التي حاولت شيلي وديف تصديرها للناس.

"الإنسان يزداد رُقيًا لكنه يزداد وحشية في الوقت نفسه... ربما لأنني أكره هذا المكان وأكره الناس هنا".

وفي واجب مدرسي آخر، أعدَّ شين قائمة بأهم الأشياء بالنسبة له:

"إعطاء الأولوية لكل فرد من عائلتي على حساب نفسي.

عدم تعاطي المخدرات أو الكحول.

عدم الوشاية أو الخيانة".

كان شين يدرك دوره في الأسرة. ذات مرة، ركل كاثي بحذائه بناءً على أمر من شيلي. شاهدها بينما تكافح للنهوض، وكأنها حيوان صدمته سيارة أمام المنزل. كانت تبكي وتصرخ وتتوسّل الرحمة.

"اركلها مُجدِّدًا، يا شين!".

كان يطيعها، لكن ذلك لم يكن جوهره الحقيقي. رغم استمتاعه باللعب مع سامي ودفع توري على الأرجوحة، فإن نيكي كانت أقرب أصدقائه. وعندما كانا لا يتحدثان عن كرههما لشيلي أو رغبتهما في رمي مجفّف الشّعْر أو الراديو في حوض استحمامها، كانا يخططان للهروب. كان شين مقتنعًا بأن حياته العائلية السابقة، برغم اضطرابها ومشكلاتها، كانت أفضل بكثير ممّا يعيشه الآن مع آل نوتيك.

قال لنيكي: "لم أعد أحتمل هذا المكان. لا بُدَّ أن أغادر. علينا جميعًا الخروج من هنا بأي طريقة".

أرادت نيكي الهرب أيضًا، لكن كان أمامها عامان حتى تنهي المدرسة الثانوية.

قالت: "عليّ إنهاء المدرسة الثانوية ثم ألتحق بالجامعة".

هزّ شين رأسه: "لا أستطيع الانتظار حتى ذلك الحين".

قالت: "إذا ذهبّت، رجاءً لا تتركني".

كان شين يعبدها دائمًا. "بالتأكيد. سنرحل معًا. ولكن إذا اضطررتُ للرحيل بسرعة، سأعود بالتأكيد لأجلك".

"يجب أن تفعل".

رغم رغبتها في المغادرة، راود نيكي التردد العميق. كان عليها التفكير في أمر شقيقتها. كانت تعرف أن أمها تمتلك سيطرة غريبة وقوية عليها. كما كانت تعلم أنه مهما ابتعدت وأينما ذهبَت، فإن والدتها ستعثر عليها حتمًا. لقد وجدت كاثي في المركز التجاري. وتمكَّنت حتى من العثور على شين في وسط تاكوما.

كانت أمها صيَّادة.

## الفصل الحادي والثلاثون

كان ديف نوتيك مشاركاً طوعياً في إيذاء نيكي وشين، لكن شيلي أصرت على أنهما خارج السيطرة ويحتاجان إلى تربية صارمة لضمان التزامهما بالسير على الطريق المستقيم في المستقبل. ورأى ديف أن تبريرها كان منطقيًا. كل الأبناء بالفعل يحتاجون إلى قبضة حازمة.

لم يَلْمُ والده على ضربه بحزام الحلاقة.

لكن ماذا عن كاتي؟ وجد صعوبة في إيجاد مبرر لما يحدث لها. كانت امرأة بالغة، وليست طفلةً. كما كانت تقوم بما يُطلب منها؛ فكانت تغسل الملابس وتنظف المنزل وتطعم الحيوانات. صحيح أنها لم تكن تفعل الأمور بالطريقة التي تريدها شيلي دائماً، لكنها كانت تحاول.

جلس ديف في شاحنته عند الرصيف النهري. كان يشعر بالخوف والإرهاق -كورقة شجر طافية على سطح النهر- والعجز عن إنهاء ما

يحدث لكاثي. لم يكن يتجاهل ما يجري. بل ببساطة، لم يكن يملك القوة لمواجهة شيلي أو حتى أن يطلب منها التوقف.

كلّما أُلقت شيلي باللوم على كاثي مُدّعيةً أنها المسؤولة عن وضعها الحالي أو انتقصت من جهود صديقتها لتحسين حياتها، لم يكن ديف يجادل زوجته أو يُذكّرها بدورها في حالة كاثي. وعندما حمّلت شين مسؤولية المشكلات العقلية التي تعاني منها كاثي، لم يواجهها ولم يذكّرها بأنها هي مَنْ أجبرته على إيذائها.

كان ديف يدرك المجرى التي تتخذه الأمور ومدى تورّطه فيها. كانت صحة كاثي تتدهور بسرعة، وبدا جلياً أنها قد تموت إذا استمر الوضع على هذا النحو. فقرّر التحدّث مع شيلي على انفراد خلال إحدى زيارته إلى رايمند واقترح عليها حلّاً يعتقد أنه مناسباً.

قال: "دعيني آخذها إلى مكان ما".

لم تفهم شيلي مقصده. "ماذا تعني؟".

"دعيني آخذها إلى أوريجن أو مكان ما وأتركها هناك".

لم تعتقد شيلي أنها فكرة صائبة؛ أوّلاً، قد تخبر كاثي شخصاً ما بما يحدث، وثانياً أنها ستتعافى.

قالت: "لا تقلق، ستتحسّن حالتها".

لم يصدق ديف كلامها، ولكنه لم يعارضها كدأبه. ومع ذلك، أخذ القلق يراوده بشأن ما سيحدث.

كان ديف لا يفعل شيئاً سوى الشعور بالقلق والامتنال لأوامر شيلي.

\*\*\*

كانت شيلي نوتيك أشبه بصندوق مفاجآت عند إظهار سخطها. قد تكون غارقةً في النوم في منتصف الليل ثم تقفز فجأة من الفراش، وتصرخ بغضب على شين أو إحدى الفتاتين. كانت كالشخصية الشريرة في أفلام الرعب، تتحوّل من النقيض إلى النقيض؛ من الهدوء إلى الحنق في ثوانٍ معدودة.

بعد سنوات، ستصفها بناتها بأنها كانت أكسل امرأة على وجه الأرض؛ إذ كانت تقضي معظم اليوم مضطجعة على الأريكة مستغرقة في كتاب أو برنامج تلفزيوني. ومع ذلك، عندما كان عليها التحرك، كانت تتحوّل إلى شخص آخر تمامًا، كقطعةٍ رأّت فأرًا يركض أمامها.

ولم يكن فأرًا هذه المرة.

بل كان وعاءً بلاستيكيًا.

كانت شيلي مستلقية على الأريكة في غرفة المعيشة عندما التفتت إلى المطبخ ولمحت وعاءً بلاستيكيًا مملوءًا بالفضلات على الأرض. ركّضت شيلي إلى المطبخ وأمسكت بسلك جهاز كهربائي من على المنضدة. كانت كاّثي، التي سُمح لها بالدخول إلى المنزل في ذلك اليوم للعمل في المطبخ، ترتعش خوفًا وتحاول الهرب. هجّمت عليها شيلي على الفور وضربتها بالسلك. وأخذت كاّثي تبكي وتتوسّل إليها، لكنها لم تتوقّف.

كانت شيلي كالكلب العقور كوجو، أو السّفّاح فريدي كروجر، أو المهرج المخيف بينوايز من فيلم "الشيء".

"اللعة عليك، يا كاّثي!".

كانت كاّثي محاصرةً مثل الفتاة في الحمام أو المرأة في السيارة. كانت الضحية التي تتوسّل فرصة أخيرة قبل أن يقتلها المهاجم.

قالت كاّثي: "لن أفعلها مرة أخرى".

واصَلت شيلي ضربها ثم جَذَبَت شَعْرها وجَرَّتْها في المَطْبَخ. كانت كاثي قد فَقدت كثيرًا من وزنها، لكنها كانت لا تزال امرأة كبيرة الحجم. تحرَّكت بها شيلي كأنها تُحرِّك دمية قماشية؛ وقد منحها الغضب قوة خارقة.

لقد رأى شين والفتيات ذلك المشهد من قبل. كان الأدرينالين يضحُّ في عروقها.

"إياكِ أن أرى شيئًا كهذا في مطبخي مجددًا! أتفهمين؟ أنتِ قدرة يا كاثي، هذه حقيقتك!"

لم تأخذ شيلي في حسابها أنها من حرمت كاثي من استخدام الحمام، وأنها كانت تمنحها الإذن للتبول أو التبرز. ولم تأخذ بعين الاعتبار أنها كانت نائمة فلم تجرؤ كاثي على إيقاظها لطلب إذن باستخدام المرحاض.

كان الوقت قد حان لابتكار عقوبة جديدة، عقوبة تُرغم كاثي على إدراك ضرورة الالتزام بقواعد المنزل.

أخبرت شيلي ديف بما فعلته كاثي عند عودته للمنزل.

"وعاء بلاستيكي ممتلئ بالبراز في مطبخنا، يا ديف! أي جنون هذا؟ لقد تجاوزت كل الحدود هذه المرة، عليك أن تفعل شيئًا".

رأى ديف أن تصرف كاثي كان مفرزًا للغاية، لكنه لم يجد حلاً سوى عزلها في غرفة المضخة.

كان يحب كاثي، وكانوا جميعًا يحبونها. صحيح أنها أساءت التصرف، لكنه لم يرغب في ضربها أو ركلها. كان ذلك بلا جدوى، بل جنون، رغم أنه لم يقل ذلك صراحة.

كانت تختمر في ذهن شيلي فكرة عن كيفية تغيير سلوكيات كاثي السيئة.

"عذبها بالإغراق".

أمرت زوجها ببناء جهازٍ يشبه أرجوحة، باستخدام لوحٍ خشبيٍّ عريضٍ مثبتٍ فوق محورٍ معدنيٍ مصنوعٍ من خزانٍ قديمٍ من مبنى الأعمدة. ومن دون أن ينبس بكلمة، شرع ديثف في العمل بينما كانت شيلي تُصدر الأوامر. كان هذا هو العقاب المناسب لكاثي. وضعوا دلوًا مملوءًا بالماء في أحد طرفي اللوح.

قالت شيلي لنيكي وشين بنبرةٍ أمرّة: "قفا وراقباها". همس شين لنيكي قائلاً إنه لم يحسب أن ثمة عقابًا أسوأ مما تتعرض له كاثي، لكن هذا الأمر "تخطى كل الحدود".

أحضرت شيلي كاثي، عاريةً تمامًا، من غرفة المضخة. وساعدتها على المشي، لأنها كانت تجد صعوبة في التحرك آنذاك. لقد فقدت كثيرًا من الوزن، وكان منظرها يكاد يثير غثيان نيكي. كان جسدها مُغطى بالكدمات، وجلدها مترهلاً يتدلى في طيات ذات لون أحمر فاتح.

أخذت كاثي تردّد مرارًا: "أنا آسفة، أرجوكم لا تفعلوا هذا".

صاحت شيلي: "اخرسي، أيتها اللعينة! أنت نكرة وسوف تطيعينني!".

أخذت كاثي تتوسّل وتترجى. وتطلّعت إلى نيكي وشين بعينين تحملان سؤالًا واحدًا: "ألن ينقذني أحد؟".

مدّدها ديثف على اللوح الخشبي ووجهها لأسفل. حاولت مقاومته لكنها كانت ضعيفة للغاية. ثبّتها ولفّ جسدها بشريط لاصق مثل مومياءٍ مثبتة على عصا.

أشارت شيلي لزوجها كي يبدأ، فأنزل رأس كاثي ووجهها في دلو الماء. واستمرّ في إبقائها على هذا الوضع لثوانٍ. لم يكن القصد إغراقها، بل إجبارها على طاعة أوامر شيلي.

لتتحسّن وتكون شخصًا أفضل.

بمجرد البدء، طلبت شيلى من نيكي مراقبة الطريق من الشرفة الأمامية، فذهبت على الفور. وكلفت شين بمراقبة مدخل الطريق للتأكد من عدم سماع الجيران صراخ كاثي. وأمّرت سامي بالوقوف في الفناء لمراقبة المنطقة المحيطة.

كانوا يسمعون أنهم تسخر من كاثي، وتنعتها بالغباء والبدانة والقبح.

"أنتِ لا تساوين شروى نقير، يا كاثي! يجب أن تتغيّري للأفضل!"

حاولت نيكي صمّ أذنيها عن صرخات كاثي بينما كان رأسها يُرفع ويُغمّر في الماء. كان صوت كاثي منخفضًا، وكان أقرب إلى الغرغرة منه إلى الصراخ الحقيقي، بينما تكافح لاستنشاق الهواء وتتوسّل من أجل الرحمة. وقفت نيكي في مكانها بينما أخذت أمها تصدر الأوامر ووالدها يقوم بإغراق كاثي. كان المشهد مروّعًا، ومرعبًا، ومتناقضًا تمامًا مع المنظر الريفى الجميل من حولهم. أشجار تفاح، وخيول في المرعى، وامرأة عارية مُقيّدة إلى لوح خشبي يتمُّ إغراقها مرارًا وتكرارًا.

لم تستمر عملية الإغراق طويلًا، ربما عشر دقائق أو نحو ذلك. لكنها كانت مدّة كافية لترسخ في ذاكرة نيكي للأبد صورة كاثي، عارية، مربوطة بشريط لاصق، وتصرخ طلبًا للمساعدة.

لاحقًا، وصفت شيلى هذا العقاب بأنه "دش" أو "حمّام". زعمت أن صديقتها المقربة لم تكن تهتم بنظافة جسدها؛ لذلك لجأت هي وديث إلى هذه الطريقة لتنظيفها.

بالتأكيد، لم يشاهد أيُّ من الحاضرين الأمر بهذه الطريقة. لم يكن له أي علاقة البتّة بتحميم كاثي.

تذكّرت نيكي في عصر أحد الأيام، بينما كان أطفالها يلعبون خارج منزلها بمنطقة سياتل، تلك اللحظة عندما كانت مراهقةً في رايمند. "استمتعت أُمي بفعل ذلك لكاثي. لا أفهم كيف أو لماذا، لكنها كانت تستمتع بذلك حقًا. لم يحدث ذلك إلا مرة واحدة. ثم أخفوا الجهاز ولم نره مُجددًا".

الضرب. والإغراق القسري. وأيام لا نهاية لها في غرفة المضخة. كانت شيلي مهووسةً بإيذاء كاثي وتعذيبها، وكأن كاثي لم تكن إنسانة على الإطلاق. وراحت شيلي تعاملها كحيوان تجارب. كانت تطعمها طعامًا فاسدًا من الثلجة بعد خلطه في الخلاط.

"اشربي هذا العصير، يا كاثي".

ارتجفت يدا كاثي بينما تمسك الكأس وتتأمل محتواه البني الداكن.

ثبّتت شيلي نظرها على كاثي. "أليس لذيذًا؟".

شربت كاثي الخليط المكوّن من لحم البرجر الفاسد وخضروات عَفِنَة.

أجابت: "لذيذ. شكرًا، يا شيلي".

ذات مرة، لمحت نيكي والدتها تملأ كوبًا صغيرًا بملح مورتون من خزانة المطبخ. لم تفهم ماذا ستفعل أمها، ولكن الفضول نهشها. كانت شيلي قد طلبت من شين المشاركة في مخطّطها، فأطاعها. تبعتهما نيكي إلى غرفة المضخة. لكنها توقّفت قبل الوصول إليها، وقرّرت مراقبتهما من بعيد بينما فتحت أمها الباب.

ناوَلت شيلي الكوب لكاثي التي كانت تقف على قدميها بصعوبة.

"كُلّي الملح اللعين".

ضيّقت كاثي عينيها تجاه ضوء النهار الساطع. "لا".

قالت شيلي إن المملح مفيدٌ لها. "سيساعد على تخفيف تورُّم قدميك".

قالت نيكي متذكِّرةً: "لست طبيبةً بالطبع، لكن أي شخص يعرف أن المملح لن يفيد كاثي بأي شكل من الأشكال. تصرَّفتُ أمي كأنه علاج فعَّال. كانت تجد تبريراً دوماً لكل ما فعلته بنا وبكاثي". حاولتُ كاثي المقاومة، وهو أمر غير معتاد؛ إذ كانت دائماً مطيعة. "لا أريد".

لم تكن شيلي لتسمح بذلك.

صاحت: "تناوليه! تناوليه كله، يا كاثي!".

واصلتُ كاثي المقاومة قليلاً، لكنها كعادتها لم تكن نداءً لإرادة شيلي التي لا تُقهر.

لم تستطع نيكي رؤية كاثي طوال الوقت من موقعها، لكنها كانت تسمعها ترفض تناول المملح بينما كانت أمها وشين يصرخان فيها.

"تناولي المملح اللعين! لن أنتظر هنا طوال اليوم!".

سمعت نيكي صوت كاثي وهي تبصق بينما كانت تأكل المملح.

واصلتُ أمها وشين الصراخ فيها حتى تناولت آخرَ ذرَّة.

"تناوليه كله!".

بعد الانتهاء من ذلك، أعطت شيلي كاثي بعض الحبوب وأمرتها بتناولها أيضاً. ثم أغلقا الباب وغادرا.

## الفصل الثاني والثلاثون

لم يَبْدُ أن أحدًا قد لاحظ ما كان يحدث في البيت الريفي الصغير الأحمر الواقع على طريق مونهون لاندينج. قال بعض الناس لاحقًا إنهم ظنوا أن شيئًا غريبًا ربما كان يدور هناك، وباستثناء جارٍ أبلغ السلطات عن الخيول التي تتعرض للإهمال، لم يتمَّ الإبلاغ عن أي شيء آخر. حتى عندما رأى التلاميذ من الحافلة امرأة عارية تركض في الفناء، بدت قصة شيلي البارعة عن حادثة حوض الاستحمام الساخن ذريعة مُقنعة.

لم يسمع أحدٌ صرخات كاثي بينما تُرگل أو تُعذب بالإغراق في الفناء.

ولم يلحظ أحدٌ البقع الطينية حيث تمرغ شين ونيكي في الوحل.

لم يُثر ذلك انتباه أحد.

ومع ذلك، خيَّم على المنزل شعور ينذر بالسوء والشؤم. كان شعورًا ثقیلاً، مثل تلك المآزر الرصاصية التي يرتديها أطباء الأسنان عند التقاط الأشعة السينية. تحدّث المراهقان نيكي وشين عن ذلك بينما

كانا يدخنان سيجارة معًا في الغابة خلف المنزل. كانا رقيقين أكثر من أي وقت مضى، فأفعال شيلي وطّدت الرابطة بينهما. وأكثر من ذلك بسبب ما شاهداه من أفعال شيلي تجاه كاثي. كان الأمر مروّعًا.

قال شين متحدثًا عن كاثي: "يجب أن ترحل".

ردّت نيكي: "لا يمكنها الرحيل".

وكانت على حق.

باتت كاثي تلهث حتى وهي جالسة. فكيف بالوقوف؟ بالكاد تستطيع ذلك من تلقاء نفسها. وكانت عيناها تائهتين، وجسدها خريطة من الكدمات الزرقاء والحمراء المتورمة؛ كل كدمة تحكي قصة عن إغضاها لشيلي. أخبرت شيلي سامي أنها سينقلان كاثي من غرفة المضخة إلى داخل المنزل لإعطائها حمًا أو دُشًا.

قالت شيلي بإصرار: "سيفيدها ذلك".

فرحت سامي بقدوم كاثي إلى داخل المنزل. كان موقد الحطب دائمًا مشتعلًا، وحسبت أن حرارته ستساعدها. كانت كاثي تعيش في عزلة في غرفة المضخة لأسابيع، وربما لأشهر. كان من الصعب على الفتاة تحديد الوقت بدقة بسبب ما تفعله والدتها؛ فالإساءات كانت متقطعةً وغير متوقعة؛ ما جعل الجميع يعيشون في حالة من التوتر. "حسنًا، يا أمي".

تأوهت كاثي مع كل خطوة بينما أخذتا تساعداها عبر الحديقة، ثم إلى المنزل، وعبر غرفة المعيشة، ومنها إلى الحمام المجاور لغرفة النوم الرئيسية. كانت الكدمات البشعة تميّز جسدها، وبدت بشرتها مترهلة بسبب فقدان الوزن الشديد. فقد خسرت أكثر من 45 كيلوجرامًا منذ

انتقالها للعيش مع آل نوتيك. وتلاشت تعليقات شيلي حول مدى "روعة" مظهر كاثي الآن بعد فقدانها للوزن.

تظاهرت شيلي بأن الدش كان مكافأة كبيرة، وقد كان بالفعل. فقد حُرمت كاثي من استخدام الحمام الداخلي لأشهر. وكان "استحمامها" عبارة عن مبيض مباشرة من العلبة وماء من الخرطوم.

قالت شيلي لصديقتها: "سيكون الحمام ممتعًا، يا كاثي. الماء الدافئ سيجعلك تشعرين بالتَّحسُّن".

غمغمت كاثي بكلمات غير مفهومة. والغريب أنها بدت لسامي وكأنها تشعر بالامتنان لهذا الاستحمام. وعندما تبينَّ عجزها عن الوقوف، غيَّرت شيلي خطتها وقرَّرت إعطاءها حمامًا. وفتحت صنوبر الماء.

وبينما حاولتا مساعدة كاثي للدخول إلى حوض الاستحمام، زلَّت قدماها فانفصل باب الدش الزجاجي عن مساره وتحطَّم على الأرض. تناثرت شظايا الزجاج اللامعة. وبكت كاثي بينما حاولت سامي حمايتها، لكنها تدرجت على الزجاج وجرحت بطنها وساقها. لطالما أبكت سامي ذكرى ذلك اليوم.

قالت بينما تستعيد هذه الذكرى: "من الصعب نسيانها. أحاول ألا أتخيَّلها، لكن المشهد لا يفارق ذهني. إنه بشع. كل جسدها برُمَّته مُغطَّى بالكدمات. كلها من صنيع أُمي. بدت كأنها كدمة كبيرة متحركة".

استشعرت سامي تغيُّر الأجواء في الغرفة. كانت نيكي قد انضمت إليهما بحلول ذلك الوقت. وشرعت شيلي تُغدِّق عليها بالكلمات الرقيقة واللمسات الحانية.

قالت وعيناها تلتقيان بعيني ابنتها: "كل شيء سيكون على ما يرام، يا كاثي".

في تلك اللحظة أدركت سامي أن أمها كانت خائفة. كانت شيلي تواصل حديثها وكأنها تريد إقناع كاثي بأن الأمور بخير، رغم إدراكها التام بأن الوضع كان كارثيًا. كانت كاثي بحاجة للذهاب إلى المستشفى، لكن شيلي أصرت أن بوسعها مساعدتها.

وعلاجها.

وإنقاذها.

قالت شيلي: "سنبقيك في المنزل الآن يا كاثي. ستحبين ذلك، أليس كذلك؟".

غمغمت كاثي بكلام متلعثم، كأنها وافقت على ما تقوله شيلي.

ساعد الثلاثة كاثي على الوصول إلى المرحاض، حيث حاولوا إيقاف النزيف باستخدام المناشف وورق الحمام.

غادرت نيكي المكان باكيةً وكل أوصالها ترتجف. حين رأت كاثي مجددًا، كانت أمها قد فعلت ما بوسعها لوقف النزيف. ورغم ذلك، كانت بعض الجروح بحاجة إلى رعاية طبية.

"كانت أُمِّي قد لَقَّت ضِمَادَةَ سَمِيكَةِ حَوْل جُرُوحِهَا. لَا أَظُنُّ أَنَّهَا كَانَتْ تَنْزِفُ بِغَزَارَةٍ، لَكِنِّهَا كَانَتْ بِحَاجَةٍ مَاسَّةً لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَسْتَشْفَى وَخِيَاطَةِ الْجُرُوحِ".

أخبرت نيكي شين بما حدث، فانفجر غضبًا.

قال: "يجب أن نأخذها إلى المستشفى. هذا الوضع غير صائب. نعلم جميعًا ذلك".

\*\*\*

كان ديف يعمل على توسعة غرفة الغسيل في الجزء الخلفي من المنزل. كانت غرفةً صغيرةً وغير مكتملة. وعلى عكس غرفة المضخة، كانت دافئة وجافة. أعدت شيلي مرتبتين ووضعت عليهما وسادة وبعض الأغذية. ووضعت كاثي على الفراش وأخبرتها أن كل شيء سيكون على ما يرام.

كان ذلك كذبًا صريحًا. لاحظت سامي نظرة في عيني كاثي؛ خوف. عدم تصديق. حيرة.

بعد فترة قصيرة من نقلها إلى غرفة الغسيل، ساعدت الفتاتان وشين كاثي على الذهاب إلى غرفة المعيشة لمشاهدة التلفاز. كانت تتعزّز في مشيتها، وتحتّم وجود واحد من الأبناء على كل جانب لدعمها. أجلسوها على الأريكة بينما كانت الأفلام الكارتونية التي تشاهدها توري تُعرض على شاشة التلفاز. كانت كاثي مستيقظة، لكنها غير واعية. أعطتها سامي إحدى ألعاب توري، هاتف بلاستيكي صغير ذو سلكين يمكن ربطهما معًا. أمسكت كاثي السلكين بأطراف أصابعها المكدومة، لكنها لم تستطع القيام بما يستطيع أي طفل في سنّ الثالثة أو الرابعة فعله. حاولت مرارًا، لكنها فشلت تمامًا في توصيلهما. رأى الأبناء كل شيء، وعرفوا في تلك اللحظة أن ثمة خطبًا بدماع كاثي.

لاحقًا، جلبت سامي لوحًا خشبيًا ووضعتَه فوق السرير عند مستوى الخصر، لكي تستند إليه كاثي وتساعد نفسها على النهوض. دقّته في الأوتاد المكشوفة على جانبي السرير. ولكن سرعان ما أمرتها شيلي بخلعه.

تساءلت سامي: "لماذا؟ إنه يساعدها على الجلوس".

حدجتها شيلي بنظرة غاضبة.

قالت معتبرةً تصرّف سامي اللطيف خطأً سخيفًا: "أنت لا تفهمين الأمر. كاثي كسولة ويجب أن تصبح أقوى. لكنك تُدليلينها، يا سامي.

نريد أن تتعافى كاثي، أليس كذلك؟ عليها أن تعتمد على نفسها كي تتحسن".

لم تجادل سامي أمها. كانت تعلم أن كاثي مريضة للغاية، وليست كسولة. "عجزت عن المشي. كانت تسقط ثم تنهض ثم تسقط مجددًا. اختل توازنها تمامًا. وفقدت أسنانها. وتساقط شعرها".

في أحد الأيام بعد المدرسة، انتظرت سامي حتى لا تلمحها أمها ثم تسللت إلى غرفة الغسيل. ركعت بجوار الفراش ووضعت يدها على يد كاثي. كانت باردة.

همست: "جئت لأطمئن عليك، يا كاثي".

رفعت سامي الغطاء عن كاثي وعدلت وسادتها. أصدرت كاثي صوتًا غريبًا غير واضح، ولكنه لا ينم عن أي استجابة حقيقية. حدقت عيناها بعيني سامي وبدا أنهما تتابعانها، ولم يحدث شيء آخر.

كررت سامي: "هل تسمعينني، يا كاثي؟".

أومأت كاثي ودارت عيناها في محجريهما.

أخذت سامي تبكي.

كان ثمة شيء خطير يحدث لكاثي، إنها بحاجة إلى المساعدة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## الفصل الثالث والثلاثون

كان ديف نوتيك يقود السيارة منذ مدة لا يعلمها إلا الله للعودة إلى بيته من جزيرة ويدي. عبّارة. ثم طريق سريع. ثم زحام سياتل. ثم الطريق السريع رقم 101. كأنّ الوقت طال فاستغرق دهرًا. كان متوتّرًا بسبب أطنان من القهوة وحفنة من الحبوب المنبّهة. وغرق ذهنه في حالة ضبابية حيث الأمور لا تبدو واضحة. كان أكثر توتّرًا من أي وقت مضى. وكرّرت شيلى شكواها بشأن المال وصعوبة رعاية الأطفال وكاثي.

وكاثي.

كان ديف على علم بحادث كاثي في الحمام الذي تسبّب في جرح بطنها وساقها. قالت شيلى إنها عالجتها وإنها ستكون بخير. لكن الشكوك داخلته.

ولم يكد ديف يصل إلى المنزل بعد رحلة القيادة الطويلة في يوليو عام 1994، حتى سمع صوتًا قادمًا من غرفة الغسيل لم يسمع مثله

قطُّ. لم يكن صوت حيوان ولا إنسان بالمعنى الدقيق للكلمة، بل أنينًا خافتًا يتخلَّله صوت غرغرة غريب.

سأل: "ما هذا الصوت؟".

بدت شيلى غير مكترثة، بينما تستعدُّ لاصطحاب نيكي من مطعم سي ستار في جرايلاند حيث كانت تعمل بغسل الأطباق.

"أوه، إنها كاثي. إنها بخير. تستريح."

"لا تبدو بخير."

تجاهلت شيلى تعليقه ونادت على الفتاتين. "سامي! توري! هيا بنا!".

سأل ديف: "ماذا يحدث؟". في زيارته الأخيرة للمنزل، كان قد علَّق لزوجته على تدهور حالة كاثي. بدأ نصف وجهها بالارتخاء قليلًا. وكان جسدها مُغطَّى بكدمات أيضًا. بدا أنها لا تتابع ما يقوله ولا تستطيع حتى النظر إليه. وضع إصبعه أمام وجهها، لكن عيناها لم تتبعان مسار حركته. كانت عاجزةً عن الوقوف من تلقاء نفسها بسبب اختلال توازنها، وتحتاج إلى الدعم المستمر.

قالت شيلى بإصرار: "إنها تتحسَّن".

غادرت شيلى والفتاتان لإحضار نيكي، بينما وقف ديف في حيرة. وكان شين يغسل الأطباق في المطبخ.

سمع ديف أصواتًا غريبة أخرى صادرة من غرفة الغسيل فتوجَّه إلى كاثي، التي كانت مستلقيةً على الفراش المرتجَل الذي أعدَّته شيلى في وقت سابق في ذلك الصيف. كان هواء يوليو الحارُّ يملأ الغرفة الصغيرة.

اقترب ديف من كاثي. كانت قد تقيَّأت، والأصوات الصادرة عنها تشير إلى أنها تختنق. كانت تفوح منها رائحة مقبئة. واشتدَّت نبضات

قلب ديف حتى حُيِّلَ له أنه سيصاب بنوبة قلبية. غاصت عينا كاثي في محجريهما. وراحت تلهث لالتقاط الهواء. كانت بلا حراك تقريبًا، متهدِّلة الجسد، تُصدِرُ أصواتًا خافتة بائسة.

صرخ في شين بينما يمك بكثفي كاثي ويهزُّها: "ما خطبها؟". كانت بلا حول ولا قوة.

وقف شين كالصنم، مرعوبًا. "لا أعرف".

قال ديف رافعًا نظره نحو الصبي: "رباه! الأمر خطير".

وكان كذلك، في غاية الخطورة.

رفع ديف صوته قليلاً: "هل أنت بخير، يا كاثي؟ أجيبيني، يا كاثي".

واصلت كاثي إصدار أصوات غرغرة، وبدأ الذُّعر يتملِّك ديف.

"إنها لا تتنفس، يا شين!".

انحنى ديف على ركبتيه وتمكَّن بطريقتة ما من وضع كاثي على جانبها. وشرع يزيل القيء من فمها. وكان هناك قيءٌ في أنفها أيضًا، فأزاله بأصابعه.

"إنها لا تتنفس!".

راح ديف يرتجف بينما يحاول إجراء الإنعاش القلبي الرئوي. قام به لفترة طويلة، ربما خمس دقائق. وجرب الضغط على صدرها أيضًا. ولكن بلا جدوى.

فيما بعد، تذكَّر الأفكار التي دارت بخلده في تلك اللحظة.

"أعلم أنه كان عليَّ الاتصال بالإسعاف، لكن كل ما حدث ردعني عن ذلك. لم أرغب في أن تواجه شيل مشكلة. أو أن يمرَّ الأطفال بهذه الصدمة... لم أرغب في تدمير حياتهم أو عائلتنا. لقد أصبْتُ بالذعر الشديد. ولم أدْرِ ماذا أفعل".

لم تستجب كاثي لكل محاولات الاستفاقة. وحاول ديف رفعها بكل قوته، لكنها كانت ثقيلة جداً. وحاول بأي طريقة القيام بمناورة هاملك، لكن بلا فائدة. لم يعرف كم من الوقت مرَّ وهو يحاول إنقاذها، لكن سبق السيف العذل. بدأ شين يرتبك ويتحدث عن مدى فظاعة الموقف. تبادل الاثنان النظرات وجلسا هناك في ذهول، عاجزين عن التصرف.

كانت كل الدلائل تشير إلى أن هذه النهاية كانت متوقَّعةً، لكنها في تلك اللحظة بدت غير حقيقية.

ماتت كاثي لورينو.

اتَّصل ديف بمطعم سي ستار لمحاولة الوصول إلى نيكي أو شيلي، لكنهما كانتا بالفعل في موقف السيارات. طلب الفتى الذي تلقَّى المكالمة من شيلي العودة إلى الداخل.

تذكَّرت الفتيات أن وجه شيلي كان شاحبًا عندما عادت إلى السيارة.

"هل كاثي بخير؟". تذكَّرت سامي أنها سألت أمها مرارًا في طريق العودة إلى المنزل. خيَّم على شيلي هدوء غير مألوف، ولم تُلَقِ نظرة حتى على ابنتها الوسطى. أبقَّت عينيها على الطريق.  
"إنها بخير".

عرفت نيكي أن مكروهاً قد وقع.

لكنها لم تستطع تحديد ماهيته.

عندما وصلن إلى المنزل، جذب ديف شيلي جانبًا بسرعة، وطلب من الأبناء منحهما بعض الخصوصية لمناقشة أمر هام للغاية. تردَّدت الفتيات وشين في غرفة الجلوس للحظة قبل أن يأمرهم بنبرة أكثر حزمًا بالصعود إلى الطابق العلوي ومشاهدة التلفاز.

قال لشيلي بعد مغادرة الأبناء: "لقد رحَّلت".

"ماذا تقصد؟".

جذبها ديف نحوه وحاول أن يجعلها تستوعب ما يقول.

"لم تعد موجودة! يا شيلي، كاثي ماتت. اذهبي وانظري بنفسك".

تراجعت شيلي وارتسم على وجهها مزيج من الانزعاج والارتباك. واتجهت إلى غرفة الغسيل الخانقة حيث كانت جثة كاثي ممددة على الفراش. وكأنها لا تستوعب سبب وفاة كاثي.

\*\*\*

تجمّع الأبناء في غرفة نيكي. سمعوا أصوات جدال وصراخ قادمة من الطابق السفلي. ولم يتمكن أيّ منهم من تمييز حديث الوالدين. أخيراً قالت نيكي لسامي: "ابقِي هنا مع توري. سأذهب مع شين لنرى ما يحدث".

كانت سامي تبكي؛ إذ راودها شعور بأن مكروهاً قد وقع.

تسلّلت نيكي وشين إلى الطابق السفلي عبر غرفة المعيشة، وأبصرا ديف وشيلي يتشاجران في الفناء. دلفا إلى الغرفة الصغيرة حيث كانت كاثي مقيمة. كانت الغرفة مظلمة ولم يضيئها المصباح.

مع ذلك، لم يخبر شين نيكي بما يعلم. صاحبًا باسم كاثي، لكنها لم تستجب. دفع شين قدمها، لكنها لم تتحرك. في النهاية، رفع ذراعها وأفلتها. كان وجهها جامدًا، منتفخًا، والكدمات تغطيه، خاليًا تمامًا من الحياة.

قال: "نعم، إنها ميتة، ميتة حقًا، اللعنة!".

انتاب نيكي الرعب، وارتجف جسدها بينما كانت تتجه مع شين إلى الطابق العلوي لإخبار سامي.

قالت نيكي متذكّرةً: "سرعت سامي تصرخ، كانت تحب كاثي كثيرًا".

سمعت شيلي الضّجة، فجاءت لتهدئة سامي ثم عادت إلى الأسفل.  
بعد لحظات، عادت مجددًا.

قالت نيكي: "عادت وطلبت منّا أن نركب السيارة، تصرّفت بلطف  
آنذاك، محاولةً تهدئة الوضع. وأخبرتنا أننا لا ينبغي أن نسمح لأي  
شخص بتمزيق شمل عائلتنا".

قال شين: "علينا الاتصال بالإسعاف".

قالت شيلي بعبوس: "لن نفعل ذلك. لا فائدة، لقد رحلت".

سادت المنزل فوضى عارمة. كان الأبناء في حالة هستيرية. وأخذت  
شيلي تذرف الدموع أيضًا، وتتناوب بين محاولة طمأنة الجميع وبين  
البكاء بحرقّة. راح ديف يبيكي أيضًا؛ كانت أعصابه متوترة للغاية،  
وقلبه يدقُّ كالطبل.

خطر بباله في تلك اللحظة أنه كان ينبغي له اتخاذ موقف حاسم.

لكنه لم يفعل، ولن يفعله الآن.

حزمت شيلي أغراض الفتيات وأخذتهن إلى فندق بالقرب من  
ويستبورت.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما تفقّدت شيلي الفتيات،  
وأعطتهن المال والوجبات الخفيفة، ووعدتهن بالعودة مع شين لاحقًا.  
وفي الوقت نفسه، حدّرتهنّ من التحدث مع أي شخص، أو عن أي شيء  
حدث في المنزل. قالت إن ما حدث كان مُحيّرًا، وأنها ستسعى لمعرفة  
ما جرى، وإن الأمور بحاجة إلى توضيح.

فكّرت نيكي حينذاك: لقد قتلتِ كاثي، يا أمي. لم تكن الأمور بحاجة  
إلى توضيح. لم يكن ما حدث مُحيّرًا على الإطلاق. كان الوضع مأساويًا  
بشكل يفوق الوصف.

وصلت شيلي وشين في منتصف الليل تقريبًا.

في صباح اليوم التالي، ذهب شين للسباحة مع توري وسامي في المياه الدافئة لمسبح الفندق. في ظرف آخر، كانوا سيعتبرون السباحة هناك ذروة المتعة في عطلة الصيف. وبينما راحوا يمرحون في الماء، لم يكن أحد يعلم سبب وجودهم هناك أو ما يحدث في رايمند.

عندما وصلت شيلي في وقت لاحق من صباح ذلك اليوم لاصطحابهم، طلبت من نيكي الاتصال بمطعم "سي ستار".  
قالت: "أخبريهم أنك لا تستطيعين الحضور اليوم بسبب ظرف عائلي طارئ".



## الفصل الرابع والثلاثون

استعرض ديف نوتيك التفاصيل المروعة للحالة الراهنة.

أخذ يردّد في ذهنه أن ما يحدث ليس حقيقياً بالمرّة. وأقنع نفسه أنه وشيلي شخصان عاديان وقعوا في مصيبة ستمدّم عائلتهما إذا أساء أحدهم تفسير الأمور.

موت كاثيري كان حادثاً. أسباب طبيعية. ليس خطأ أحد.

كان عليه التخلّص من جثتها.

كانت شيلي بجانبه، تملي عليه ما ينبغي عليه فعله وكيفية القيام به.

سيذكر ديف لاحقاً أنه أحرق جثة كاثيري لورينو خلال "ساعات الليل الساكنة كالقبر"، من دون أن يدرك المفارقة الساخرة في عبارته. كان المنزل الواقع في مونهون لاندنينج قريباً من الطريق، وكانت حفرة الحرق تقع على بُعد خطوات قليلة من الجزء الخلفي من مبنى الأعمدة. والحرق هناك كان أمراً عادياً، فهو المكان الذي يحرقون فيه القمامة.

دعم ديف حفرة الحرق بألواح سميكة من الصفيح والفلواذ "لاحتجاز الحرارة" عندما بدأت النار بالاشتعال. كان الهواء رطبًا بعض الشيء تلك الليلة، والظلام دامسًا. استخدموا ألواحًا من الحظيرة القديمة لإذكاء النيران. ورغم أنه لم يسبق لديف فعل ذلك، أدرك أنه بحاجة إلى نيران لاهبة لعملية الحرق. حمل ديف وشان جثة كاثي إلى النار، ووضعها، ثم رصًا فوقها مزيدًا من الخشب. وأضافا إطارات قديمة ووقود ديزل إلى القمة. سيتذكر ديف لاحقًا أنه برّر فعلته بأنه تصرف "إنساني"، وربما كان السبب الوحيد لاستمراره. كانت عملية مروعة ومخيفة. واستغرق أكثر من خمس ساعات لإخفاء كاثي حتى تسلّلت خيوط الفجر الشاحبة.

مع بزوغ الفجر، نظر ديف إلى الرماد والعظام. وبعد أن برد كل شيء، ملأ دلاء من متجر "هوم ديبو" واتّجه بالسيارة إلى شاطئ ووشواي، حيث ألقى برفات كاثي في المحيط. مستفيدًا من خبرته في ركوب الأمواج، كان على دراية بالمدّ والجزر، وعلم أن رمادها سيتبعثر في البحر ويختفي للأبد. عجز عن الدعاء لها، فلم يكن يعرف ماذا يقول. عاد إلى ووشواي ثلاث مرات أخرى. كما أخذ بعض الرماد والأتربة من حفرة الحرق إلى لونغ بيتش وتخلّص منها هناك.

أما شيلي فجمعت ملابس كاثي وأمرت ديف بحرقها أيضًا. واستعادت أشياء أخرى كانت قد أخذتها من كاثي؛ أوراقها الشخصية ومجوهراتها، وألقته في حفرة الحرق. وبذلك، لم يبق سوى القليل جدًّا من آثار كاثي يمكن العثور عليها.

\*\*\*

عبق الهواء برائحة كثيفة وواضحة بشكل لا لبس فيه. وحين عادت الفتيات وشين من الفندق في اليوم التالي، كانت رائحة الإطارات المحروقة وزيت الديزل لا تزال تفوح من الفناء.

ورائحة شيء آخر احترق معهما.

ألقت نيكي نظرةً خاطفةً باتجاه المكان الذي أضرم فيه والدها النار.

قالت لاحقًا: "لم أذهب إلى الجزء الخلفي من مبنى الأعمدة. أخبرني شين بما حدث. كانت لدينا إطارات كثيرة، لكنها اختفت الآن أيضًا".

دخل الأبناء إلى المنزل. كانت سامي لا تزال تبكي على كاثي، وكانت توري صغيرة جدًا فلم تفهم ما حدث، فأولاهها شين ونيكي انتباههما. وراحت شيلي تذرع المنزل ذهابًا وإيابًا، بينما جلس ديف منهكًا على كرسي بالقرب من طاولة المطبخ، وأخذ يشرب القهوة ويدخن السيارة تلو الأخرى. كانت الهالات السوداء تظهر بجلاء تحت عينيه.

كان موت كاثي وما فعله للتخلص من جثتها يُثقل كاهله. أدرك أنه لن يستطيع محو فعلته أبدًا. وتخيل كيف ستظل عائلة كاثي تتساءل عن مصيرها وعمًا إذا كانت سعيدة. ولم يكن يعرف كيف سيتصرف عندما يرى كاي، والدة كاثي، في المدينة. ماذا سيقول لها حين تسأل عن ابنتها؟ لن يحظى أهل كاثي بالراحة مطلقًا بسبب ما اقترفه هو وشيلي. راحت تلك الأفكار تجوب ذهنه بلا انقطاع منذ أن حمل جثة كاثي إلى حفرة الحرق.

أخبرته شيلي أنها تشاطره المشاعر ذاتها، وأنها مفجوعة لفقدان صديقتها المقربة. لكنها بدت أكثر واقعية في التعامل مع الموقف، مؤكدةً أنهما لا يستطيعان تغيير الماضي وأنه ينبغي لهما استجماع شتات أنفسهما.

أخبرت شيلي الأبناء الأكبر سنًا أنهم بحاجة إلى التماسك من الآن فصاعدًا.

حذرتهم قائلة: "سنُسجَن جميعًا إذا اكتشف أحدٌ ما حدث لكاثي".

في اليوم التالي لعودتهم من الفندق، طرحت شيلي فكرة تجريبية لترى ردود فعلهم.

قالت متظاهرة بالتخمين: "لقد انتحرت ولم نرغب في أن تعرف عائلتها".

لم يعقبوا، وتركوا فكرتها السخيفة تتلاشى ببساطة. لم يتصوّر شين ونيكي أن أحدًا سيصدقها. داخل نيكي الشكُ وفكّرت: انتحار؟ ما من إنسان يخطّط لإنهاء حياته على مدى خمس سنوات.

لقد تعرّضت كاثي للضرب والتجويع والتعذيب حتى الموت.

بعد عودة ديف للعمل في جزيرة ويدي، كلّفت شيلي شين ونيكي بمهمّةٍ بعد بضعة أيام من إخماد النار. أخذتهما إلى مبنى الأعمدة وأعطتهما دلوًا من متجر "هوم ديبو".

قالت: "أحرق والدكما بعض مواد العزل في حفرة الحرق، وأريد منكما جمع القطع والفتات ووضعها هنا".

عرف كلاهما أنها لا تبحث عن ذلك مطلقًا.

عادت شيلي إلى المنزل، وتوجّهت إلى كومة الرماد. كانت مهمّةٌ مقبولة، وشرعا ينقبان بصمت في التراب.

سأل شين مشيرًا بعصاه إلى شظية بيضاء صغيرة: "أتعتقدين أن هذا شيء يستحق الاهتمام؟".

نظرت إليها نيكي.

أجابت وهي تشعر بالغثيان: "نعم، إنه جزء من كاثي".

وجد شين عددًا كبير من القطع، وعرفنا أنها شظايا عظام وليست عزلاً. كما وجد بعض المجوهرات الذائبة. وعثرت نيكي أيضاً، والتي كانت مُشْتَتَّة الذهن، على بعض الشظايا. سلّمنا شيلي الدلو في نهاية اليوم، فوضعت الشظايا الصغيرة في كيس بلاستيكي.

أرغمّت شيلي شين على البحث في كومة الرماد أكثر من مرّة على مدار الأيام التالية.

في إحدى زيارته التالية إلى المنزل، تمكّن ديثف من الحصول على جرّافة. قادهها إلى كومة الرماد القديمة وشرع يكشف الطبقة العليا بعمق قدمٍ أو قدمين تقريباً للوصول إلى التربة النظيفة. ثم نقل التراب إلى طريق ناءٍ مخصّص لقطع الأشجار في اتجاه وورد كريك، وأفرغه في طريق جديد شقّه الحطّابون، حتى تختلط الأتربة معاً.

قال بعد سنوات من واقعة كومة الحرق في الفناء الخلفي: "زرعنا حديقة لاحقاً في ذلك المكان".



## الفصل الخامس والثلاثون

تطلب اختفاء كاثيرينو تقديم قصة مُبررة.

الانتحار كان مستبعداً لعدم وجود جثة.

بدأت شيلى، التي تحسّن مزاجها بشكل ملحوظ منذ الأيام الأولى بعد حرق جثة كاثيرينو في الفناء الخلفي، تختبر فكرتها على ديف، وكأنها تروي قصة مثيرة من إحدى رواياتها المفضّلة. كانت متحمّسة ومَرحة، وكأنها تزيح الستار عن مشهد مثير وتوقّع أن ينبهر الجمهور ويصفقوا بحرارة.

قالت شيلى لتختبر قصتها: "سواصل إخبار الجميع بأنها هربت مع روي. لقد جمعتهما بينهما وتألّفا على الفور. كانت تتوق لبداية جديدة في مكان آخر، ولم يكن لديها أي علاقة عاطفية؛ لذا سيكون روي شخصاً مهماً في حياتها".

راقت القصة لديف، لكنه شكك في أن يصدقها الآخرون. لم يسبق لكاثي الدخول في علاقة جدية معروفة. لذلك فإن فكرة هروبها مع رجل، لا سيّما في حالتها الصحية المتدهورة، تبدو غير معقولة بالمرّة. "لا أظن أن أحدًا سيصدق هذه القصة".

ردّت شيلي: "سنقنعهم بها".

بعد ذلك، عقدت شيلي اجتماعًا عائليًا مع جميع الأبناء. أحضرتهم جميعًا إلى غرفة المعيشة وأجلستهم على الأريكة. لم يتحدث ديف كثيرًا. جلس بجانب زوجته وراح يومئ برأسه موافقًا على ما كانت تقترحه.

"أتتذكرون صديقي روكي؟ هل تتذكرون مدى اهتمامه بكاثي؟ وورغبته في مواعدها؟".

لم يتذكر الأبناء شيئًا من هذا القبيل. لم يلتقوا به قط، رغم أنهم تذكروا سماع اسمه من والدتهم في منزل لاودرباك. "كنتم جميعًا تحبونه".

اعتادت أمهم زرع ذكريات مشتركة مختلقة في أذهانهم، كأنها بذرة يمكن أن تنمو وتصير حقيقة ملموسة.

واصلت شيلي خطتها قائلة: "من الضروري أن نتفق جميعًا على هذا الأمر، أنفهمون؟ أريدكم جميعًا أن تفهموا وتعلموا أن كاثي ذهبت مع روكي".

قال شين: "لكن هذا لم يحدث".

حدجته شيلي بنظرة قاسية. كانت بارعةً في غرس نظراتها في عيون الآخرين كأنما تستحثهم على تصديق كلامها لأنه يخرج من فمها هي.

قالت: "أنتِ مُخْطِئَةٌ تَمَامًا، يا شين".

بالطبع لم يكن شين كذلك. لقد ساعد ديث على إضرام النار وسحب جثة كاثي إلى حفرة الحرق. ومع ذلك، تراجع قائلاً: "أجل، أنتِ مُحِقَّةٌ، يا أمي".

أدركت نيكي أن أمها تكذب أيضًا. أمًا سامي فقد راوَدَها بصيص من الأمل حين دَعَمَ شين قصة روكي، وفكَّرت أنها قد تكون مخطئة في ظنِّها.

ربما كانت كاثي على قيد الحياة.

ربما ما حسبت أنه حدث لم يكن سوى كابوس مُرعب.

\*\*\*

تحتاج القصة إلى تفاصيل لتغدو مُقنعة. وكانت شيلي تمتلك ورقة رابحة؛ صورة ضبابية لامرأة تقف أمام شاحنة كبيرة. يكفي القول إن المرأة كانت كاثي لتصبح الصورة مُقنعة. بعد ذلك، كلَّفت شيلي نيكي بتزوير بطاقات ورسائل ممهورة بتوقيع كاثي لتعزيز مصداقية قصة حبها وهروبها مع روكي. أمرتها بالجلوس إلى طاولة المطبخ وقَدَّمت لها ورق التدريب والبطاقات وعلبة أكياس زيبوك الشفافة.

"كدتِ تُتَقِنينها، يا نيكي. جرِّبي مجددًا".

استمرَّت نيكي في التجريب. كانت الرسائل مختصرة، تصف مدى استمتاعها بالرحلة والحياة الجديدة. كانت في كندا، والمكسيك، وكاليفورنيا. كانت سعيدة ولن تعود إلى رايمند أبدًا.

راوَدت نيكي الفكرة ذاتها. كانت تنتظر بفارغ الصبر إنهاء المدرسة الثانوية والهروب من جحيم رايمند أيضًا.

فحصت شيلي التوقيعات بدقَّةٍ، وأشادت بعمل ابنتها البارِع.

قالت نيكي متذكرةً: "لم تلمس أُمِّي الرسائل مطلقًا. بل مسحَت كل بطاقة ووضعَها في أكياس بلاستيكية. أعتقد أنها استعانت بخبرتها في الطب الشرعي، أو هكذا ظنَّت".

عندما لاقت الرسائل استحسانها، سلَّمتها لزوجها لإرسالها إلى عائلة كاثي. قال ديف لاحقًا: "أجبرتني على الذهاب إلى كندا لأرسل البطاقة إلى منزل والدة كاثي في ساوث بيند، ففعلتُ".

لم يكن هذا أغربَ جزء في خطة شيلي. فبعد أن كلَّفت نيكي بتزوير البطاقات وأمرت ديف بإرسالها، غيَّرت رأيها وقرَّرت عدم وصولها كلها إلى والدة كاثي. وفي إحدى المرات أمرت ديف بالعودة بسرعة إلى ساوث بيند، واستخدام مفتاح صندوق البريد الذي أخذته من متعلَّقات كاثي، واستعادة إحدى البطاقات قبل حصول كاي عليها. فعل ديف ذلك بالضبط. وراح ينتظر كشرطيَّ يراقب المكان، وعندما سلَّمت البطاقة لصندوق البريد، استعادها وأعادها إلى شيلي، فوضعتها في كيس زيبلوك وأخفتها.

قال ديف: "لم أعرف حقًا ماذا كان يدور بذهنها. ذريعة؟ محاولة لصرف الانتباه؟ لم يكن الأمر منطقيًّا. لكن الذعر الشديد كان يتملِّكني بسبب ما حدث لكاثي، فأطعت أوامرها".

\*\*\*

حتى في خِصْم تنفيذ خطة روكي، غيَّرت شيلي استراتيجيتها فجأة. أصبحت صامتةً وقليَّة. صحيح أنها لم تفصح صراحة عن شكوكها إزاء نجاح خطتها، لكنها ظنَّت أنها بحاجة إلى خطة احتياطية أيضًا. أمضت أسابيع في التفكير. ولاحظ ديف وشين ونيكي أن شيلي، التي كانت مهووسة بالسيطرة، بدأت تفقد السيطرة قليلًا. هل رأت شيئًا

على التلفاز حول إلقاء القبض على المجرم بفضل مهارة خبير تزوير  
من مكتب التحقيقات الفيدرالي؟ أم شاهدت ربما حلقةً عن الكلاب  
البوليسية؟

احتاجت خطتها إلى تعديل. وخلال أحد الاجتماعات العائلية نظرت  
إلى شين وقالت: "إذا وشيت بنا، سنُحْمَلُكَ المسؤولية كاملة، يا شين".  
تبادَلَ الأبناء النظر بأفواه فاغرة.

وقف شين وقال: "هذا هراء، لم أفعل شيئاً".  
واصلت شيلي تهديدها للمراهق: "هذا ما سنفعله، يا شين.  
سنقول إنك قتلتها، قتلَت كاثي".

قال شين بإصرار: "هذا كذب، لن أبوح بشيء، لن أخون عائلتي  
أبداً".

حدّقت شيلي بعينين ثابتتين بعينه.

قالت: "ممتاز، أريد أن أصدقك".

قال: "يمكنك ذلك، بالتأكيدِ".

"أتعشّم".

لاحقًا، تناقش نيكي وشين تهديدَ أمهما المفاجئ. لم يكن مفاجئًا  
حقًا، فقد خبرا جيدًا طبعها الأناني الباحث عن النجاة. كان مبدؤها:  
"أنا ومن بعدي الطوفان". كل ما تعرّضت له كاثي؛ الثلج الدموي،  
والتعذيب بالإغراق بالماء، والوقت الطويل الذي قضته في ظلام غرفة  
المضخة، اعتبرته شيلي أنه نتيجة أفعال صديقتها، وأنها اضطرّت إلى  
معاقبته. والمخيف والمأساوي في الأمر ظنّها بأن ما قامت به كان  
بدافع حبها لكاثي.

رغم تعهده بالصمت، كان شين ذكيًا ليدرك أن شيلي ستقلب عليه  
لا محالة. كان يعلم أن الحقيقة ستتكشف عاجلاً أم آجلاً.

قال: "كان ينبغي لنا إخبار أحدهم، كان علينا نقلها إلى المستشفى  
في تلك الليلة".

شاطرته نيكي الرأي رغم أن خوفها الشديد منعها من اتخاذ أي  
خطوة.

سألته: "ماذا نحن فاعلون؟".

لم يُجرِ شين جوابًا، لكنه شرع يفكر.

لم تكن شيلي تخفي شكوكها تجاه ابن أخيها. وراحت تتحدّث عن  
ذلك الموضوع باستمرارٍ أمام ديثف، وعلى مسامع نيكي وسامي.

كانت شيلي لا تنفك تُردّد حينما لا يكون ابن أخيها موجودًا:  
"سيشي بنا شين. سيدمرنا جميعًا".

كان شين يعلم أن الوقت لا يمضي لصالحه. وبات أمامه خياران: إمّا  
إفشاء السر وإمّا الهروب.

كلا الخياران كانا موضعَ نظر.

## الفصل السادس والثلاثون

واصلت شيلى نسج أكاذيبها وتأليف نظريات حول ما وقع لكاثي، مُعْتَبِرَةً إلقاء اللوم على شين حلاً محتملاً. وبعد أسابيع من وفاتها، اقترحت على ديف جسّ نبض عائلتها، ومعرفة ما إذا كانت ستبحث عنها. فمنذ أن سكنت مع عائلة نوتيك طوال خمس سنوات تقريباً لم تُبدِ العائلة اهتماماً يُذكر بها.

قالت شيلى: "سأتصل بكاي وأخبرها أن كاثي تريد رؤيتها لأعرف إن كانت ستأتي".

انعقد لسان ديف من فرط الذهول.

دعوة الأم إلى المكان الذي ماتت فيه ابنتها وأحرقت؟

أخيراً، سألتها: "لماذا؟".

أجابت: "أريد أن أرى ردّ فعلها".

أدرك ديف أن شيلي تلعب بالنار، لكنه لم يجادل وراقبها بينما تتصل بكاي في منزلها الصغير في ساوث بيند. لم تستمر المكالمة أكثر من دقيقة.

التفتت شيلي إلى ديف وعَلَّت وجهها ابتسامة رضا. كان حَدْسُها صائبًا.  
كدأبها.

قال ديف متذكرًا: "ذَكَرْتُ شيلي أن كاي كانت فَظَّةً جَدًّا، ولم ترغب بالحديث مع كاثي على الإطلاق". عاد ديف بالتفكير في الأمر لاحقًا. ورأى فيه نوعًا من التحدي المتعمد الذي لطالما برَعَتْ فيه شيلي. برهنت شيلي على صحة وجهة نظرها.

لم يكن لديهم ما يدعو للقلق. تخَلَّى آل لورينو عن كاثي. ولن يشكّلوا تهديدًا أبدًا. وبعدها تَخَلَّصَتْ من عائلة لورينو، حوَّلت شيلي اهتمامها فجأة إلى الجيران المقيمين في الشارع المقابل لمنزلهم في طريق مونهون لاندننج.

قالت نيكى وشين: "أخشى أن يكونوا قد لاحظوا أمرًا، ربما سمعوا شيئًا أو شمُّوا رائحة".

شكَّكت نيكى في ذلك، فلو سمع أو رأى أحد شيئًا تلك الليلة، لكان قد استدعى الشرطة.

قالت شيلي: "يجب أن نتأكَّد، قد يُهدَّدون استقرار عائلتنا".

أدرَكت نيكى مغزى كلام أمها. كانت تعلم أنه إذا اكتشفت الشرطة ما حدث لكاثي لأدَّى ذلك إلى اعتقال والديها وإيداعهما السجن، وتشرُّدها هي وشين، ونقل سامي وتوري إلى دور الرعاية؛ ما يعني انهيار الأسرة تمامًا.

كان لدى الجيران المعنيين ثلاثة صبية صغار، وكانوا يعانون من ضائقة مالية. وكانوا يعتمدون على المساعدات الحكومية ويبدلون قسارى جهدهم لتجاوز الأوضاع الصعبة. وكان فناء منزلهم مليئاً بالألعاب، والمنزل بحاجة إلى إصلاحات كبيرة. ونظراً لعدم قدرتهم على تحمّل تكاليف خدمة جمع القمامة؛ راحوا يكدسونها خلف المنزل وتحتّه. غير أن مَنْ يعرفهم سيقرُّ أنهم فعلوا كل ما بوسعهم. كانت النظافة والشعب والسعادة بادية على الصبيان.

رغم ذلك، ظلّت شيلي تروّج لفكرة أن الجيران يشكّلون تهديداً.

قالت: "يجب أن نتحرّى عنهم، عليكم الذهاب والاستماع لما يدور هناك".

سألت نيكي: "ماذا تقصدين؟ أتعنين الذهاب إليهم والاستفسار منهم أم التّجسس عليهم؟".

كان السيناريو جنونياً. لم يستطع المراهقان تخيل مثل هذا الحوار.

"مرحباً! هل سمعتم شيئاً؟ صرخات؟ هل شمتم رائحة إنسان محترق؟".

أشارت شيلي إلى ضرورة التّجسس عليهم.

"إياكما أن يتمّ ضبطكما مهما فعلتما".

انطلق شين ونيكي في مهمّة الاستطلاع الغريبة.

"أمك مصابة بجنون الارتياب، يا نيكي".

تملّكت الحيرة نيكي. كانت أمها تبدو مُقنعةً جدّاً وذكية للغاية. وأحياناً، كان يتراءى لنيكي وسامي أن أمهما تتمتع بحدسٍ خارق لأنها كانت تعرف الأمور مسبقاً.

سألت أخيراً: "ولكن ماذا لو تبينّ صحة مخاوفها؟".

لم يفهم شين كيف تشكّل العائلة المقابلة أي تهديد.

على أي حال، تسلّل الاثنان وتفحصا المكان وحوالًا استراق السمع من النافذة. وحين عادا بعد ساعات، سألتهما شيلي عمًا وجداه.

قال شين: "لا شيء".

قالت نيكي: "أجل، يا أمي، إنهم لا يُشكّلون تهديدًا".

ألحّت شيلي على تزويدها بتفاصيل دقيقة. "ماذا رأيتهما؟".

أخبرت نيكي أمها عن شكل المكان هناك، والقمامة في الخلف، والمجمّد في الشرفة، وأنها لم تسمع أي صوت من النافذة بينما كانت منبطحة.

"الزحف تحت المنزل"، قالت شيلي، تاركَةً الكلمات تتردّد في الهواء. "عليكما التسلّل إلى الفراغ تحت المنزل والتلصص عليهم. إنه أمر ضروري، يا نيكي. عائلتنا تعتمد عليكم. يجب أن نظل متحدّين".

قال شين غير مصدّق: "الزحف تحت المنزل! يا للجنون! لن أفعل هذا".

"تقول إنه أمر ضروري، يا شين".

أعتقد شين أنه ضرب من الجنون.

"لن أفعل ذلك".

قضت نيكي ذلك الصيف تحت منزل الجيران، متّكئةً على النفايات، تراقب، من الشقوق بين ألواح الأرضية، الحياة اليومية للجيران. لم يصل إلى سمعها سوى كلمات متقطعة. وبقيت بلا حراك في موضعها خوفًا من الانكشاف، متسائلةً عن جدوى ما تفعله.

قالت نيكي لاحقًا: "أخبرتُ أمي أن بوسعي سماعهم. أكّدتُ لها مرارًا أنهم لا يعرفون شيئًا".

لم تقتنع شيلي البتّة.

قالت: "يجب أن تتبعيهم حين يغادرون".

فَعَلَّتْ نِيكِي ذَلِكَ بِالضَبْطِ. وَتَعَقَّبَتِ الْعَائِلَةَ إِلَى الْبِقَالَةِ، وَمَكْتَبَ الْبَرِيدِ، وَمَكْتَبَ الرِّعَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي سَاوْثْ بِيْنْد. وَرَاقَبَتْهُمْ بَيْنَمَا يَمَارِسُونَ رَوْتِيْنَهُم الْيَوْمِي، ثُمَّ أَفَادَتْ أُمَهَا بِمَا رَأَتْ.

قالت بصوتٍ شبه متوسِّل: "إنهم لا يعرفون شيئًا، يا أمي".

"لا يمكنكِ الجزم بذلك، يا نيكِي".

لم تكن متأكدة بالفعل. كانت أمها بارعة في دفع الناس إلى التشكيك في الحقائق. كانت نيكِي تعلم أن كاْثِي مِيْتة، لكنها كانت تأمل أحيانًا أن تكون قد هربت مع روكِي.

فَكَّرَتْ: إذا كانت سامي تُصدِّق ذلك، فِلمَ لا أصدِّقه أنا أيضًا؟

أوعزت أمها لشين بسرقة طعام الجيران عدة مرات. كما أنه رشَّ رذاذ الفلفل على مقابض أبوابهم.

قالت نيكِي لاحقًا: "أظن أن أمي كانت تخطِّط لتطفيشهم من المدينة. كانت تتلاعب بهم، وتجرب كل حيلها كي تبعدهم".

بعد واقعة رذاذ الفلفل والطلبات المستمرة لمضايقة الجيران، أبدى شين مجددًا رغبته المُلحَّة في الرحيل.

قال: "أمك مجنونة. سأرحل. هل ستبقين أم تذهبين معي؟".

كانت نيكِي تتوق للرحيل. كان الحلم يراودها كل يوم وكل ساعة.

لكنها لم تستطع التَّحرُّر. صحيح أن أمها كانت وحشًا، لكنها الأم الوحيدة التي حظيت بها.

قالت لشين أخيرًا: "ليس بوسعي المغادرة.. صدقًا لا أستطيع".

\*\*\*

على مدار أكثر من عام بعد وفاة كاثي، غرقت شيلى في بحر من الشكوك والأوهام، فاضئةً سلسلة من الأوامر الغريبة على العائلة. اختبرت الأبناء بشأن قصة روكي. أرادت سامي أن تصدق القصة من كل قلبها، حتى إنها، مع مرور الوقت، استبدلتها بالحقيقة التي تعرفها. وكلفت شيلى نيكي بمراقبة الجيران، وديف بمراقبة منزل كاي توماس في ساوث بيند. وطوال تلك الفترة، ظل ديف في جزيرة ويدبي يعمل لساعات طويلة قدر الإمكان، مدفوعاً بحاجة شيلى إلى المال، وأيضاً للابتعاد عن رايمند. ومع رحيل كاثي، ازدادت العقوبات الموجهة إلى نيكي وشين. ورغم أن عقوبة التمرغ في الوحل تضاءلت إلى حد ما، فإن عمليات البحث في منتصف الليل عن الأحذية والواجبات المنزلية وفُرش الشعر لم تتوقف.

عاشت سامي في عالمها الخاص. كانت الفتاة المحبوبة، التي ترتدي ملابس جميلة. كرهت معاملة أمها القاسية لنيكي وشين، وكانت تعرف أنهما لا يستحقان ذلك.

لكن الأمر لا يخصها.

كانت نيكي تذهب إلى المدرسة وتبذل قصارى جهدها للاندماج. كانت هادئة، ولم تدع أحداً إلى منزلها. لم تكن مرتبطة بعلاقة عاطفية. فشلت في التوفيق بين حياتها المدرسية والاجتماعية والجنون الذي يحدث في المنزل على عكس سامي.

أما شين فقد استنفد صبره. صحيح أنه أراد إكمال المرحلة الثانوية، لكنه كان مستعداً للفرار عند أول فرصة سانحة. إجباره على المبيت ليلة أخرى في غرفة المضخة أو الركض عارياً في الفناء، ستكون القشة التي ستكسر ظهر البعير.

وطوال الوقت، ما انفكت شيلى تُردد:

سيفشي شين أسرارنا في النهاية.

"إنه من لحمنا ودمنا. فرد من عائلتنا. لن يفعل".

كان ديف قد تحدّث مع شين، الذي رغم غضبه، أكّد أنه لن يفضح والديه أو يتسبّب في وضع بنات عمّته في دار الرعاية. رفضت شيلي تصديق ذلك.

"لا أثق به، يا ديف".

أصرّ ديف على براءته قائلاً: "يمكننا الوثوق به". لكنّ الشكّ راوّدَه. تخيّل شين في المستقبل يثرثر تحت تأثير الخمر ويكشف الأسرار. "هل تمزح؟! تظن أن عائلتك مضطربة؟ عائلتي قتلت امرأة وأحرقتها في الفناء الخلفي!".

كلما عاد ديف للمنزل، استأنفت شيلي حملتها الشعواء. لم تتوقف، بل واصلت الضغط على ديف بأسلوب متكرّر ومزعج كطنين الأذن. وكانت اتهاماتها المستمرة لشين تدوّي في أذني ديف حتى في أثناء غيابها.

دأبت شيلي على اختلاق الأدلّة عندما تفشل في تحقيق غايتها، كما فعلت سابقاً مع قصّة تساقط شعرها بسبب السرطان المزعوم، أو الكدمات عندما ادّعت اغتصابها على يد دخيلٍ حين كانت متزوجة براندي، أو البطاقات المزورة المرسلّة لعائلة كاثي.

كان الدليل مهمّاً لها لأنه لا يمكن دحضه.

ذات يوم، حين عاد ديف إلى المنزل، استقبلته شيلي عند الباب. كان منهكاً من القيادة، لكن التعبير المرتسم على وجه زوجته أثار انتباهه فوراً. كانت محمّرة الوجه، وكأنها كانت تبكي. بلغت درجة من الغضب جعلت جسدها يرتجف.

قالت بينما ترفع سروالين داخليين ملطَّخين بالدماء: "وجدتهما في مخزن الحطب، يا ديف! لا بُدَّ أن شين أخفاهما هناك".  
فهم ديف على الفور ما تُلمِّح إليه شيلي.  
قال: "لا، مستحيل!".

كانت شيلي في حالة غضب غير مسبوقه.  
قالت بصرامة: "إنهما لتوري. شين يعتدي على طفلتنا! ماذا تنتظر لتتحرك!".

لم تصدق نيكي وسامي حرفًا من اتهامات أمهما. كانتا تعرفان شين جيدًا، وتعرفان أمهما أيضًا. كانتا على يقين بأنها وضعت الملابس الداخلية كي توقع شين في المشكلة. كان الأمر لعبةً بالنسبة لها. نفى شين الاتهام جملة وتفصيلاً، مؤكِّدًا أنه لم يؤذِ توري يومًا. وأصابته هذه التهمة بالذات في مقتل. لم يكن من هذا الطراز.  
ومع ذلك، وبتحريضٍ من شيلي، ضرب ديف شين تلك الليلة.  
في صباح اليوم التالي، وبينما كان شين متورمًا وموجوعًا، جدَّد عزمه على الهرب. وأخبر نيكي أنه سيهرب بمفرده إذا لم ترافقه، فقد طفح الكيل.

ألا تشاطره الرأي؟

## الفصل السابع والثلاثون

فجأة، اختفى شين.

اجتمعت شيلى وديف بالبنات في غرفة المعيشة لإبلاغهن بهروب ابن خالهن. حدث ذلك في فبراير 1995، قبل عيد ميلاد نيكي العشرين ببضعة أسابيع.

قال ديف: "سيعود".

أضافت شيلى: "دائماً يعود. سنبحث عنه".

سأل ديف: "هل سمعتن شيئاً البارحة؟".

أجابت الفتيات بالنفي.

سألت شيلى: "أي ضوضاء؟".

لم تسمع سامي ولا توري أي شيء. بيد أن نيكي تذكّرت أنها عندما خلدت للنوم، لم يكن شين في خزانة الملابس حيث كان ينام عادة.

"هل سمعته يدخل إلى غرفتكِ البارحة، يا نيكي؟".

"كلا، يا أمي".

لاحقًا، دلّقت شيلي إلى المطبخ حامِلةً قفص طائر صغير من الخشب، تعرف الفتيات أن شين صنعه لمشروع مدرسيّ. كان قد زيّن أحد أوجهه برسم كلب صغير. امتلأت عينا الأم بالدموع وهي تضع القفص على الطاولة، وقالت إن شين تركه لها هدية.

"لقد ترك لي رسالة أيضًا. قال فيها: أحبُّكِ، يا أمي".

لم يرَ أحدُ الرسالة أبدًا.

ارتابت نيكي في الأمر.

قالت لسامي بعدما عرّضت أمها قفص الطائر: "شين كان يكره أمنا. مستحيل أن يترك لها رسالة كهذه".

لم تصدّق سامي أيضًا وجود علاقة مَحَبَّة بين شين وأمها، لكنها لم ترغب في التفكير في أن القصة كلها كانت ملفّقة.

فقالت تذكّر نيكي: "شين دائم الهروب".

لم تعلق نيكي. كان ثمة شيء يزعجها بشأن قفص الطائر؛ كانت واثقةً أنه لن يترك لشيلي هدية، أو رسالة مَحَبَّة. ومع ذلك، لم ترغب نيكي في التفكير في وقوع مكروهٍ للفتى الذي لطالما اعتبرته أختًا.

لاحقًا في ذلك اليوم، خرجت شيلي ونيكي وسامي بالسيارة للبحث عن شين، لكن البحث انتهى سريعًا.

بشكل لافت للنظر.

قالت نيكي لاحقًا: "عادةً كانت أمي تجربنا على البحث لساعات طويلة. ولكن في تلك المرة لم تتجاوز رحلة البحث الساعة. لا أظن أننا بحثنا عنه سوى مرتين".

بعد أيام، وفي أثناء إطعامها للخيل، حسبت نيكي لوهلة أنها سمعت صوت شين. التفتت سريعًا، لكنها لم تجد أحدًا. فيما بعد ذهبت لأمها وأخبرتها.

"أظنُّ أن شين لا يزال موجودًا هنا، يا أمي. أعتقد أنني سمعت صوته".

سألها شيلي بصوت قَلِقٍ: "ماذا تقصدين؟".

كانت نيكي تحب شين وتتمنى عودته كما اعتاد أن يفعل. أجابت: "ربما لم يهرب".

حدّثت شيلي بابنتها لهنيهة، ولم تنس بكلمة.

بعد أسبوع تقريبًا، قرّرت شيلي قضاء عطلة نهاية الأسبوع برفقة الفتيات في أحد الفنادق بأبردين. كانت رحلة مفاجئة. سبحن في المسبح وتناولن الطعام في مطعم "ديني" القريب. وتحدّثت نيكي وسامي عن شين وتمنّتا له الخير والسلامة. أينما كان، لا بُدَّ أنه في مكان أفضل من المنزل.

\*\*\*

أخيرًا، حصلن على بعض الإجابات. أخبرتهنَّ الأم أن ابن خالهن يصطاد في جزيرة كودياك.

اتصل أثناء وجودكن بالمدرسة.

فاتتكن المكالمة.

إنه بخير! يشناق إلينا جميعًا.

ذكرت شيلي أنها تلقّت أيضًا عدة مكالمات كانت تنقطع فجأة.

قالت بثقة: "تلقيتُ مكالمة أخرى البارحة. أنا متأكّدة أن المتصل كان شين".

لم تفهم نيكي سبب اتّصال شين ثمّ قطع المكالمة، ولا سبب تلقي أمها فحسب هذه المكالمات أثناء غياب الآخرين. وكلما التقطت هي أو سامي سماعة الهاتف كانتا تسمعان صوت انقطاع المكالمة. لم تجد فائدة من مجادلة أمها حول هذه الكذبة تحديداً.

ذكّرت شيلي الفتاتين أيضاً بضرورة الالتزام بالقصة المتفق عليها حول كاثي إذا سأل أحدهم عنها.

"بِمَ ستجيبان إذا جاءت الشرطة وسألت عن كاثي؟".

ردّت نيكي: "سنقول إنها غادرت مع حبيبها".

"ما اسمه؟".

"روكي".

"وما مهنته؟".

"سائق شاحنة".

"أين ذهباً؟".

"بعيداً؟".

عبست شيلي وبدا عليها الانزعاج.

"فكّري، يا نيكي. كوني دقيقة".

"كاليفورنيا أو ألاسكا".

"كاليفورنيا. لم لا تفهمين؟ شين في ألاسكا".

تمنّت نيكي من أعماق قلبها أن يكون هناك بالفعل.

## الفصل الثامن والثلاثون

حاولت نيكي لفّ مقبض الباب الرئيسي. لكنه كان مقفلاً. مع رحيل كاثيرين وشين، أصبحت منبوذة مرة أخرى. حرفياً. صارت الهدف المفضّل لأمها. وقفت عند الباب وراحت تطرق برفق، فالطرق بعنف سيشعل غضب أمها أكثر. كانت الطرقات متكررةً تكفي لإعلام أمها بوجودها، وكأنها بحاجة لذلك.

"أرجوكِ يا أمي، اسمحي لي بالدخول".

لم تُجِب أمها.

"أرجوكِ يا أمي، إنني أتجمّد من البرد هنا. سأكون مطيعةً، أعدكِ".

تجاهلتها شيلي وظلت جالسة على الأريكة تشاهد التلفاز.

تكرّر هذا المشهد بشكل شبه يومي. في إحدى المرات أعطتها شيلي بطانية. عادة، كانت تتركها بلا شيء. وذات مرة، أخفت نيكي

كيس نوم وعلب ثقاب في الحظيرة المتهالكة القديمة. وحين طُرِدَتْ من المنزل وذهبت لاسترجاعها، فوجِئَتْ باختفائها. كانت تعلم أن أمها بارعة في العثور على الأشياء.

في بعض الليالي، كانت نيكي تنام في أحد المباني الخارجية، لكنها غالبًا كانت تنام في الغابة خلف المنزل تحاول توقي البرد، وتتمنى مرور الليل. كانت تتساءل عن كيفية الخلاص من هذا الوضع المأساوي بينما تراقب أضواء سيارة أصدقاء سامي أثناء إعادتها إلى المنزل. وكانت تلمح وهج الضوء في نافذة غرفة توري. لقد أَحَبَّت أختيها حبًا جمًّا، لكنها راحت تتساءل أيضًا لماذا تعاملها أمها بهذه القسوة والكرامية؟ لماذا لا تكفُّ عن إطلاق الشتائم عليها، لماذا تنعتها بكل الأوصاف المهينة؛ حثالة، حقيرة، فاشلة، عاهرة؟

"لن يحبك أحدٌ أبدًا، يا نيكي!"

من وقت لآخر، كانت شيلي تسمح لها بالدخول. ولم يكن ذلك نتيجة لتوسُّلات نيكي المتكرِّرة أو وعودها. بل كان قرارًا مفاجئًا. كانت شيلي تُعِدُّ لها وجبة ساخنة وتخبرها كم تحبها.

تذكَّرت نيكي بعد سنوات عديدة: "كان ذلك يستمر لفترة من الوقت. ربما يومًا أو يومين. لم أكن أثق بها، لكنني تمَنَّيتُ أن تستمر المعاملة الحسنة لفترة أطول."

ثم تعود فجأة إلى طردها خارج المنزل مرة أخرى. غالبًا عارية. وأحيانًا تكون بشبابها. ولكنها دائمًا تُمَطِّرها بسيل من الإهانات والغضب.

تصاعد العنف البدني أيضًا.

ذات مرة، وبينما كانت نيكي تعمل بالخارج ولا ترتدي سوى الملابس الداخلية، هاجَمَتها أمها بسكين. كانت شيلي غاضبة لسبب ما. ربما

بسبب فشل نيكي في إيجاد وظيفة جديدة بعد فقدانها لوظيفة غسل الأطباق في مطعم سي ستار، أو ربما بسبب تقصيرها في الأعمال المنزلية. أيًا كان السبب، اندفعت نيكي إلى الخارج، ثم عبرت مبنى الأعمدة إلى الحقل، وأمها تلاحقها وتصرخ أمرًا إيّاها بالتوقف.

"اللعة عليك، يا نيكي! لا تعصيني."

انقضت عليها وأسقطت إيّاها أرضًا وطعنتها بالسكين في ساقها. نزت الدماء من الجرح. ونظرت شيلى إلى ما فعلته، ثم تركتها. هربت نيكي إلى الغابة، والدماء تسيل على ساقها من الجرح العميق والذي يحتاج بالتأكيد إلى خياطة، لكنها عرفت أنها لا تستطيع طلب المساعدة الطبية للسبب نفسه الذي منع كاثي من الحصول عليها. فحينها سيعرف أحد ما يحدث.

نامت نيكي في الغابة تلك الليلة. وعندما عادت إلى المنزل في الصباح، باردةً ومتمسّخة لكن النزيف قد توقّف، لم تقل أمها شيئًا عن المشاجرة العنيفة.

وكان شيئًا لم يحدث.

في تلك الفترة، غدت حظيرة الدجاج ملجأ للفتاتين. استخدمتاها للاختباء، وكذلك لإخفاء بعض الأغراض مثل البطانيات والمعاطف، خوفًا من الطرد المفاجئ في البرد القارس.

في ظهيرة أحد الأيام، كانت سامي تقوم بالأعمال المنزلية المعتادة مثل إطعام الكلاب المربوطة بالأشجار، والأرانب التي كانوا يربونها في حظيرة الدجاج. وعندما دخلت إليها، وجدت نيكي جالسة على حزمة قش، تضحك وتبكي في آن واحد.

قالت لسامي: "حاولت الانتحار".

وأشارت إلى بعض الخيوط من أكوام القش التي صنعت منها حبل مشنقة وعلقتها على عارضة. لكن العارضة تهشمت عندما قفزت من كيس القش إلى أرضية الحظيرة.

أضافت: "لا أستطيع فعل شيء على أكمل وجه". ورغم الموقف المأساوي، ضحكت الأختان.

لم تلم سامي أختها على محاولة الانتحار؛ فقد فكرت بالأمر ذات مرة. كانت قد خرجت مع أصدقائها، وعادت إلى المنزل في وقت متأخر، فرفضت أمها السماح لها بالدخول.

"ستنامين في الخارج هذه الليلة".

كان الخريف قد حل والجو صار باردًا، ولم تعد تحتمل الوضع. وكانت قد سئمت من الأعيب أمها ولم تر مخرجًا، فركضت إلى الغابة ووجدت شجيرة يتدلى منها توت أحمر كانت تعلم أنه سام، فابتلعت واحدة، ثم أخرى، ثم مجموعة بحجم قبضة اليد. كانت تبكي في الظلام الدامس، ولا ترى شيئًا. لم تكثر للعواقب وواصلت وضع التوت في فمها وابتلاعه.

لكن محاولتها باءت بالفشل.

قالت لاحقًا: "عدتُ إلى المنزل بعد تناول كل تلك الكمية من التوت، وتصرفت أمني وكأن شيئًا لم يحدث. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل ولم تكلف نفسها عناء البحث عني. كانت تعلم أنني سأعود. أردتُ إيصال رسالة بتناول ذلك التوت، لكنها تجاهلّنتي تمامًا".

تقيأت وأصيبت بالإسهال لأكثر من أسبوع. لو كانت تهدف لإيصال رسالة من خلال هذا الفعل اليائس، فقد فشلت تمامًا.

\*\*\*

في منتصف سبتمبر من عام 1996، وبعد أكثر من عامين من اختفاء كاثي لورينو، تقدّمت شيلي بطلب للحصول على وظيفة مساعدة معلّم في مقاطعة مدارس ساوث بيند. ورغم تردّي الوضع المالي لعائلة نوتيك، تفاخّرت أنها كانت تعمل محاسبة ضرائب مستقلة، ولكنها الآن مستعدّة للعودة إلى شغفها الأول، وهو رعاية الأطفال.

"لقد أمضيت شطرا كبيرا من حياتي في تربية أطفال، ومساعدتهم في واجباتهم المدرسية، وأنشطتهم المدرسية، والتطوع في مدرستهم، بل ومساعدة أصدقائهم من حين لآخر".

كانت تعتقد أنها تمتلك "الصبر" الكافي للعمل مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.



## الفصل التاسع والثلاثون

بينما كانت نيكي تُكَلِّف بأعمال الحديقة طوال اليوم كعقوبة، كانت سامي وتوري تذهبان إلى المدرسة كبقية الأطفال. كانت توري طفلة صغيرة للغاية فلم تشهد ما فعلته أمها بكاثي، كما نجت من العقوبات القاسية التي تَلَقَّتْها نيكي وشين. أما سامي فكانت فتاة اجتماعية محبوبة استخدمت روح الدعابة لتخفّف وطأة الحياة مع أمها. لم تبكِ قطُّ. فكانت الدعابة ستارًا تحجب به كل شيء. عرف أصدقائها أن أمها امرأة قاسية متسلّطة تفرض قواعد عبثية وعقوباتٍ مبالغًا فيها دونما سبب واضح. ولهذا صمّموا على زيارتها. وعندما يأتون لاصطحابها ولا يجدون ردًّا، كانوا ينتظرون بلا كَلَلٍ. لم يكن أصدقاء نيكي كذلك؛ فإذا جاؤوا لزيارتها ولم يجدوها، كانوا يفترضون أنها غيَّرت رأيها أو ذهبت إلى مكان آخر. كان أصدقاء سامي يعرفون أن أمها غريبة الأطوار وتحبسها رغماً عنها.

لذلك كانوا يطرقون الباب.

وينتظرون.

مهما طال الوقت.

في بعض الأحيان، كانوا يتوجّهون إلى مطعم ماكدونالد في رايمند ثم يعودون لمواصلة الانتظار. ونجح المراهقون في الصمود وإزعاج شيلي لفترة أطول.

"اخرجني. اذهبي من هنا". هكذا كانت شيلي تصيح أخيراً على سامي الموجودة في غرفتها بالطابق العلوي، عندما كان طرق الباب المستمر وانتظارهم عند الباب الرئيسي يفسدان عليها مشاهدة التلفاز.

عرفت سامي كيفية التعامل مع الأمر. كانت تعلم أن أمها تسعى جاهدة للحفاظ على صورتها الجميلة والمثالية. فكانت تخرج وتروي لأصدقائها القصة المختلفة المعتادة.

فتقول كاذبة: "لم تكن أمي تعلم بوجودكم. لقد سمعتكم تواء".

ثم الكذبة الأكبر من ذلك:

"إنها تشعر بالأسف الشديد".

لم تشعر شيلي بالأسف قطُّ تجاه أي شيء. على الأقل لم تُظهر ذلك عندما يتعلّق الأمر بمشاعر الآخرين. لاحظت الفتيات أنها كانت تبكي بحرقّة على موت الحيوانات الأليفة، لكنها لم تبك قطُّ على إنسان.

\*\*\*

قيّمت شيلي العلاقة بين نيكي وسامي. لم تكن توري تشكّل تهديداً بالطبع؛ فهي صغيرة جداً لدرجة أنها إما ساذجة وإما أنها تخاف بسهولة.

أما الأختان الأخريان، فقد كبرت وأصبحتا وقحتين. وكانتا تقضيان وقتًا طويلًا معًا. وكما فعلت في منزل لاودرباك، حدّرت شيلي الأختين من التحدث عنها بالسوء أثناء غيابها.

ووجّهت اللوم بشكل أساسي لنيكي.

"أختك تؤثّر عليك سلبيًا، يا سامي".

تؤثّر سلبيًا؟ كانت الفكرة سخيفة. كانت نيكي تعمل في الحديقة من الصباح حتى المساء. لم تكن تشرب الخمر أو تتعاطى المخدرات. صحيح أنها دخّنت السجائر عدة مرات مع شين، لكنها لم تعجبها.

حاولت سامي جاهدة تذكّر وقتٍ قضته برفقة نيكي في غرفتيهما بعد انتقالهما إلى مونهون لاندينج. فقد نهتهما أمهما عن قضاء الوقت بمفرديهما. وكانتا لا تتواصلان إلا أثناء قيامهما بالأعمال المنزلية. ومع مرور الوقت، تقلّصت تلك اللحظات.

وبعد وفاة كاثيرين واختفاء شين، انقطعت تمامًا.

قالت سامي متذكرةً: "كانت نيكي دائمًا بالخارج منهمكة في أداء الأعمال المنزلية حتى ساعات متأخرة، في الظلام. وكنت مشغولة بأصدقائي والمدرسة. وأتذكّر فقط غيابها. كانت موجودة لكنها ليست معنا. وأعتقد يقينًا أن أمي كانت تهينها للرحيل من المكان".

لم يعرف أيٌّ من أصدقاء سامي أن نيكي تعيش بالمنزل.

ذات مرة، عندما كانت الفتاتان تغسلان الأطباق، دخلت والدتهما وفرقت بينهما حرفيًا.

قالت: "ممنوع الكلام!".

قالت سامي: "لم نكن نتحدّث على الإطلاق".

قالت بإصرار: "لا أريد أن أسمع همسة. لا تتحدّثا".

تركت سامي أختها لتنهى غسل الأطباق بمفردها.

قالت سامي متذكرةً: "كُنَّا نتحدث عنها بسوء معظم الوقت. بالتأكيد لم نكن نتحدث عن الفروض المدرسة".

\*\*\*

شرعت شيلي تولي اهتمامًا أكبر لمظهرها الخارجي، وكان ذلك تشتيئًا مستحبًا. كانت قد اكتسبت بعض الوزن على مدار العامين الماضيين. ومع استمرار ديث في إرسال راتبه إلى الأسرة، قررت شيلي أن تدلّل نفسها قليلًا. فقدت بعض الوزن، وصبغت شعرها، وارتادت الحانات عدة مرات. وذات يوم أخبرت الفتيات أنها تعرّفت على صديق جديد.

قالت: "إنه طيار، ونحن مجرد أصدقاء، لا أكثر. لقد دعوته لزيارتنا".

كانت سامي مشغولة بخطط أخرى. وقنعت توري بالبقاء في غرفتها أثناء استضافة أمها صديقها الجديد.

التفتت شيلي إلى نيكي.

"ابقي بالخارج واختفي عن الأنظار".

وعدتها نيكي بذلك.

رأت نيكي سيارة الرجل لاحقًا، من طراز جيو ستورم. وفكرت: لا يبدو طيارًا محترفًا إذا كان يقود سيارة من هذا النوع. مكث بضع ساعات ثم غادر.

قالت نيكي متذكرةً: "لا أعرف ما حدث. أعتقد أنها كانت تفكر في خوض علاقة عاطفية. أو ربما انخرطت فيها ولكن لم تستمر".

## الفصل الأربعون

ظنّت لارا واطسن أن حفيدها شين يتصرّف كأبي مُراهِق عادي كلما حاولت الاتصال به. كما تراءى لها أنها كانت تختار أوقاتاً غير مناسبة على الدوام، لأنه لم يردّ على مكالماتها قطّ.

كانت شيلي تتذمّر قائلة: "لقد غادر تَوًّا"، مدّعيةً أنه خرج لقضاء الوقت مع رفاق مدرسته الثانوية. بيّدت أن شيلي راحت في بعض الأحيان تلعب دور الضحية وتقول إنها فقدت صبرها لأن شين هرب. قالت ببراءة مصطنعة: "لا تقلقي، إنه يعود دائماً، وإذا لم يفعل سنبحث عنه ونعيده إلى المنزل".

خلال تلك المحادثات، كانت لارا تحمد الله على وجود شيلي لرعاية شين. لولا شيلي وديف، لكان شين يتسكّع في شوارع تاكوما. ورغم شكوكها الأولية بشأن تأثير الفتى المشاغب على الفتيات، فإنها بدت سعيدةً لأنه يعيش حياة طبيعية حافلة بالأنشطة المختلفة مثل المدرسة والأعمال المنزلية والرحلات العائلية إلى الساحل. لم يخبر شين

لارا أبدأً بما كان يجري في منزل آل نوتيك أو مع كاثي أو ما تجبره شيلي على فعله. ولا حتى تلميحًا بسيطًا. لم يخبرها بأنه ينام على أرضية أسمنتية في قبو بارد أو في خزانة ملابس نيكي أو في مبنى خارجي في مونهون لاندنينج في بعض الأحيان.

عندما اختفى المراهق صاحب الابتسامة العريضة والدعابات المرحمة، أخفت شيلي الأمر عن زوجة أبيها لفترة طويلة. بل إن كل شيك أرسلته لارا بمناسبة عيد ميلاده أو عيد رأس السنة كان يُصرف فورًا، موقَّعًا باسم شين.

سألته لارا: "هل بوسعي التحدث معه؟". لكن شيلي تجنَّبت براءة طلبها متذرِّعةً بحُجَّة.

تنهَّدت شيلي وكأنها تتفهَّم خيبة أملها وقالت: "إنه ليس في المنزل".

ردَّت لارا بنبرة متذرِّمة: "إنه غير موجود في المنزل دائماً".

قالت شيلي بضحكة قصيرة: "المراهقون، ماذا تتوقَّعين منهم؟".

في كل مرة يحدث ذلك، كانت جدَّة شين تنهي المكالمة، مطمئنَّة نوعًا ما بإصرار ابنة زوجها على أن شين بخير، ويفعل ما يفعله الشباب عادة. لاحقًا، أخذت تلوم نفسها على استسلامها. كان عليها أن تكون أكثر إلحاحًا مع شيلي. لكنها اختارت تصديقها.

المراهقون!

قالت لارا بعد سنوات عديدة: "كنتُ على يقين أن شين سيكون سعيدًا بالاتصال بي".

لكنه لم يفعل أبدًا.

بعد سلسلة من المحادثات المماثلة، كشفت شيلي لزوجة أبيها أخيرًا أن شين لن يعود إلى رايمند قريبًا.

قالت متنهدةً: "إنه يعمل على متن قارب صيد في ألاسكا. أنتِ تعرفين أنه كان يحلم بذلك دائماً".

بدت قصة شيلي معقولة، ولكنها لم تقنع لارا لأن شين كان سيخبر جدته بخطئه.

أردفت شيلي: "لقد تحدّثتُ معه منذ قليل، إنه في أفضل أحواله. لقد حقّق حلمه وتعجبه الحياة هناك. سأطلب منه الاتصال بكِ حين أتحدث معه مرة أخرى".

قالت لارا بإصرار: "لم يخبرني بهذا قطُّ".

قالت شيلي باستياء: "ماذا تقصدين؟".

أجابت لارا بحزم: "لم يخبرني أن صيد الأسماك كان حلمه".

"أنتِ لستِ مُقرّبةً منه مثلنا".

ردّت لارا: "لقد عرفته منذ نعومة أظفاره، أخبرني أنه يريد إكمال تعليمه. أنتِ تعرفين ذلك، يا شيلي".

"لقد غيّر رأيه".

"لا أفهم".

قالت شيلي: "بصراحة، كان شين مهووسًا بكسب المال؛ لهذا رحل. أنا واثقة من عودته".

لكن كما حدث سابقًا، لم يتصل شين بجدته قطُّ.

لم يتّصل بأحدٍ سوى شيلي.



## الفصل الحادي والأربعون

بعد أن أنهت نيكي دراستها الثانوية في مدرسة ويلبا فالي عام 1993، وضعت نصب عينيها هدفين: الحصول على شهادة جامعية، والابتعاد عن والديها وكل ما عرفته أو شاهدهته. التحقت بكلية جرايز هاربر المجتمعية لدراسة العلوم الجنائية. وتمكّنت من الحصول على منحة دراسية لمساعدتها مادّيًا. ورغم الصعوبات التي واجهتها، تمسّكت نيكي ببعض التفاؤل. صحيح أنها كانت وحيدة ولم يراودها الأمل بمستقبل تجد فيه السعادة والحب والحرية، لكنها تمثّنت ذلك لأنها تعلم أنها تستحق حياة أفضل.

ولكن سرعان ما شرعت أمها في تدمير أحلامها رويدًا رويدًا.

في البداية، اختفت ملابس نيكي التي كانت ترتديها أثناء الذهاب إلى الكلية. ولم يُعد لديها سوى بنطال رياضي مُتسخ وممزّق، والذي كانت ترتديه عند العمل في الفناء. وكان من المستحيل عليها الذهاب

إلى الكلية بهذا الشكل؛ إذ سيزرع ذلك ثقتها بنفسها، والتي بدأت  
تبنيتها بعيداً عن منزل مونهون لاندننج خلال النهار.  
ثم أخبرتها شيلي أنها لن تستطيع البقاء في غرفتها بالطابق العلوي.  
أشارت إلى بقعة في غرفة المعيشة وقالت: "ستأمين هنا على  
الأرض".

كان المكان نفسه الذي أجبرت فيه كاثي على النوم.  
واستشعرت نيكي أن ثمة شيئاً يحدث.

بعد ذلك، قطعت شيلي عنها المال ووسيلة المواصلات للذهاب إلى الكلية.  
"سنتوقف عن دعمك، يا نيكي. إنك لا تستحقين كل ما فعلناه من  
أجلك. أنت أنانية وجاحدة. أنا وأبوك جادان هذه المرة".

كان بوسع نيكي أن تبكي، أو تجادل، أو تُظهر ردّ فعل متوقّع، لكنها  
لم تقع في فخّ أمها في تلك اللحظة. لم يكن لديها سيارة ولا نقود  
لركوب الحافلة، ولا ملابس للذهاب إلى الجامعة. وهذا يعني نهاية  
دراستها وخططها للهروب من رايمند.

لم تكن بيدها حيلة.

كانت محاصرة.

أجبرتها شيلي على العمل في الفناء، والحفر في الحديقة ونقل  
الحطب من مكان لآخر. وراحت تقوم بمهام عشوائية بلا هدف  
واضح. واعتزمت أمها على بناء حوض زهور جديد، لكن نيكي لم تر  
أيّ جدية في نوايا والدتها. كانت تستيقظ مبكراً وتُطرد من المنزل  
ويطلب منها ألا تعود إلا ليلاً.

كانت أمها تخرج بين الحين والآخر لتوبّخها على تقصيرها.

"أهذا كل ما فعلته اليوم؟ أيتها الكسولة اللعينة!"

وفي الليل، حين يُسمح لها بالدخول إلى المنزل، كانت نيكي تنام على أرضية غرفة المعيشة وتريح رأسها على وسادة الأريكة. وعندما يعود ديف إلى المنزل، كان ينضمُّ إلى شيلي في إمطارها بسيل من الإهانات، ويوبُّخها على كسلها وينتقص من شأنها ويطلب منها البحث عن عمل.

كانت دموعها تسيل، لكن ذلك يشجّعهما على الضغط عليها أكثر.

كانت شيلي تستلذُّ ببكاء ابنتها.

كانت تصرخ مراراً: "يجب أن تجدي عملاً! أيتها الحثالة عديمة الفائدة!".

فكَّرت نيكي: حقاً؟ كيف بوسعي الحصول على عمل؟ لا أملك أموالاً ولا وسيلة نقل. وأستحمُّ خارج المنزل بخرطوم! رغم أنها كانت تعيش تحت سقف بيت أسرتها، فإنها كانت بلا مأوى بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

أخيراً، استجمعت كل قوتها وتجرأت على الكلام. وشعرت بالارتياح. الارتياح الشديد.

"لا أستطيع الحصول على وظيفة! ألا تريان مظهري! لا أملك ملابس مناسبة ولا سيارة للذهاب إلى أي مكان!".

قالت نيكي متذكِّرةً محاولتها للدفاع عن نفسها: "صرختُ في وجهيهما. فتظاهرتُ أُمي بالبراءة وقالت ليتك أخبرتني أنك تحتاجين سيارة! لم أكن أعرف أن هذه هي مشكلتك".

\*\*\*

صارت نيكي أقوى. وتحوّلت إرادتها من الضعف إلى الصلابة. وفي إحدى المرات، طارَدَتْهَا أمها حين رفضت الامتثال لأوامرها. فركضت نيكي من المنزل إلى حظيرة الدواجن وحاولت إغلاق الباب قبل وصولها، لكن الأم كانت أسرع منها.

قالت نيكي لاحقًا: "كانت أمي تتمتع بقوةٍ وسرعة لا تُصدّقان، مثل لاعب خطّ دفاع. لكنني لم أعد أبالي".

وثبت شيلي على نيكي وأخذت تصرخ وتشدُّ شعرها، فقاومت نيكي. وسقطت أمها على الأرض. بدت مذهولةً ومصدومة. لم يجرؤ أحد على مقاومتها من قبل.

فكّرت نيكي: لم أعد صغيرة، لا يجب أن تعاملني هكذا.

قالت: "تبًا لك! إليك عني! إياك أن تلمسيني!".

ثم نهضت وركضت ولاحقتها أمها.

دخلت نيكي المنزل ورأت سامي.

هتفت: "لقد قلت لأمي تبًا لك! إليك عني!", وواصلت الجري إلى الباب الآخر ومنه إلى الغابة حيث قضت ليلتها هناك.

شعرت بمزيج متضارب من الارتياح والخوف في آنٍ واحد.

بعد أيام قليلة من المشاجرة في حظيرة الدواجن، بادرتها شيلي بالحديث. كانت ترتدي قناعًا مصطنعًا من القلق. وبدا صوتها هادئًا بشكل غريب، تكتنفه مسحة حزن.

قالت وكأنها تكشف عن سرٍّ ثقيل: "لا تريد سامي رؤيتك في هذا المنزل بعد الآن، بعد شجارك مع أمك. سأرسلك إلى العمّة تريش".

وقع الخبر عليها كالصاعقة. لم تفهم نيكي ما يحدث. كانت تريش أخت ديف، وهي بالكاد تعرفها، إذ لم تلتقِ بها سوى بضع مرات

في حياتها. كانت تعيش على بُعد أربع ساعات في هوب، بـكولومبيا البريطانية، في إحدى المحميّات. أعطتها شيلي بعض الملابس وخمسين دولارًا نقدًا وأوصلتها إلى محطة حافلات جريهاوند في أولمبيا.

بدأت شيلي لطيفةً ومتفهّمةً طوال الطريق، وأخبرت نيكي أنها ستستاق إليها كثيرًا، ولكن هذا القرار هو الأفضل.

قالت: "ستمكنين معها عشرة أيام فقط ثم تعودين إلى المنزل، اتفقنا؟".

كانت نيكي قد تجاوزت سن المراهقة، ولم تكن قد سافرت بمفردها من قبل، فشعرت بالقلق إزاء الرحلة وتساءلت إن كانت الخمسون دولارًا ستفي بالغرض.

مع ذلك، تبين أن إقامتها مع العمّة تريش في هوب كانت أفضل تجربة مرّت بها نيكي منذ زمن طويل.

قالت لعمّتها بينما تنتقي كلماتها بعناية بحيث توصل الرسالة من دون إلقاء اللوم بشكل مباشر: "ثمة أمور سيئة تحدث في المنزل. أرجوك لا تجبريني على العودة".

امتدّت الأيام إلى أسابيع، ثم إلى أشهر. كانت تريش تنظّف الكنائس والمنازل وتستعين بمساعدة نيكي. وفي العطلات الأسبوعية، تعلّمت نيكي صناعة شباك الصيد. لم يكن العمل يُثقل كاهلها، بل وجدته ممتعًا. لم يصرخ أحدٌ في وجهها أو يخبرها أنها عديمة الفائدة. لم ترغب نيكي في مغادرة ذلك المكان أبدًا.

\*\*\*

بلا شك، فهمت سامي أسباب غياب نيكي، لكنّ توري شعرت بالوحشة. كانت مجرد طفلة صغيرة، تصغر نيكي بأربعة عشر عامًا،

وكانت تحب أختها الكبرى بشدّة واعتبرتها أمًّا ثانية. كانت نيكي جميلة ولطيفة، وتكرّس دومًا وقتًا للاهتمام بتوري. ليلة رحيل أختها الكبرى إلى كندا، دعت توري الله أن يعيدها إليها. لم تكن تدري أين ذهبت نيكي، لكنها ظنّت أنها رحلت بسبب قسوة أمها. كتبت توري رسالة صغيرة تعبّر فيها عن ذلك، ووضعتها على عتبة النافذة وخلدت إلى النوم.

في صباح اليوم التالي، استيقظت على ضربات أمها وصفعاتها على وجهها.

صرّخت شيلى وهي تلوّح بالرسالة: "ما هذه؟".

بكت توري، التي كانت في السادسة من عمرها.

قالت شيلى وهي تضربها مجدّدًا: "أتظنين أنني قاسية مع أختك؟ أهذا رأيك عني، يا توري؟ حقًّا؟".

كان هذا بالضبط ما اعتقدته توري، لكنها أنكرت ذلك أمام أمها، واعتذرت لها. كانت خائفة للغاية، فلم يسبق لشيلى التصرف معها بهذه الطريقة.

قالت توري متذكّرةً: "أعتقد أنها كانت المرة الأولى التي تصفني فيها أمي على وجهي. شعرت بالرعب الشديد".

بعد فترة قصيرة، وصلت بعض الهدايا. لا بُدّ أن شيلى أدركت تأثير رحيل نيكي على أصغر بناتها.

قالت: "أرسلت أختك هذه الهدايا".

سألت توري: "لماذا لا أراها؟".

"لقد تركتها ولم تبقَ".

"ولكن لماذا؟".

لم تجد شيلى إجابة مُقنعة. ومع مرور الوقت، شرعت تبذل قصارى جهدها لإنهاء العلاقة بين الأختين.

ظلت تقول لتوري مراراً عن نيكي: "إنها سيئة، ولا تحبك".

ثم فجأة، اختفت نيكي من حياتهم تمامًا. لم تُعد شيلى أو ديف يتحدثان عنها مطلقاً. وكأنها شبح اختفى ولن يعود أبداً.

لم تذكر سامي اسم نيكي أيضاً. لم تجرؤ على ذلك. لم تكن تريد لعائلتها معرفة أنها ما زالت على تواصلٍ بأختها.

\*\*\*

حاولت تريش إبقاء ابنة أخيها في كولومبيا البريطانية، لكنها مثلهم جميعاً لم تستطع مواجهة شيلى. في النهاية، عادت نيكي إلى واشنطن. لكنها لم تُعد إلى بيت العائلة.

أخبرتها شيلى أنها بحاجة إلى مراجعة تصرفاتها وأنها ليست قدوةً حسنة لأختيها الصغيرتين. وأضافت أنه ليس بوسعها العودة إلى رايمند. على الأقل ليس في الوقت الحالي. ومن ثم انتقلت نيكي للعيش في خيمة بالقرب من موقع عمل زوج أمها في جزيرة ويدي. لم يكن وضعاً مثاليًا، لكنه كان بمثابة تجربة قاسية. وأدركت نيكي أن ديف نوتيك يعيش في حالة فقر مُدقع رغم عمله بدوام كامل. لم يكن يمتلك حرفياً أي نقود في محفظته. كانا يحصلان على البقالة من بنك الطعام الخيري. وكانا يستحمّان كل صباح في الحديقة العامة القريبة من موقع العمل. ورغم المرارة التي كانت تشعر بها تجاه زوج أمها بسبب معاملته القاسية لها، فإنها بدأت تراه شخصاً بائساً وفاشلاً.

سقط من عينها.

سألته: "لِمَ تعيش هكذا؟ ولماذا ما زلت مرتبطةً بأمي؟".

ردّ ديف من دون أن يرمش له جفن: "أنتنّ السبب".

بعد أسبوعين، انتقلا مؤقتًا إلى شقة في إيثيريت لتقريب المسافة من مكان عمله بالقرب من حقل باين. وفكّرت نيكي آنذاك: ما أروع المياه الجارية الساخنة! كانا يذهبان إلى رايمند ليلية أو ليلتين كل عطلة أسبوعية تقريبًا.

كانت كل زيارة للمنزل متشابهة. تعاملت معها أمها وكان فترة غيابها في كندا ثم جزيرة ويدي درس قاسي تعلّمت منه.

قالت: "أعتقدين أنكِ مستعدة للعودة إلى المنزل والمساهمة في تحمّل الأعباء، يا نيكي؟".

سألت نيكي وهي واثقة أنها لن تعود أبدًا: "أعتقدين ذلك؟".

غيّرت شيلي نبرتها، وقالت بصوت مزعج: "أرى أنكِ تحتاجين إلى مزيد من الوقت للتفكير".

كان هذا بالضبط الرد الذي تنتظره نيكي.

فكّرت: أفضل العيش بلا مأوى.

عادت هي وديف للعيش في الخيمة بعد الشقة، لكنها كانت باردةً ومُعَرَّضةً للتيارات الهوائية. وسعت نيكي وقتذاك للخروج من هذا الوضع. فحصلت على وظيفة في متجر باسكن روبنز في أوك هاربر، ثم أخرى لتنظيف غرف الفنادق. ومنحها صاحب الفندق مقطورة صغيرة للسكن. ورغم حالة المقتورة السيئة والمتهالكة، شعرت بالامتنان. وعمومًا، ظنّت أن الأمور تسير بشكل جيد.

وداخلها شعور بالحرية.

## الفصل الثاني والأربعون

لم تكن سامي جو نوتيك بارعةً في إخفاء آثار الكدمات فحسب، بل تدرك أهمية ذلك أيضًا.

لو رأى أحد الآثار التي خلَّفتها أمُّها أو والدها، لربما أدَّى ذلك إلى محادثة غير مرغوبة. أو أسوأ من ذلك، قد يفضي إلى شيء كارثي مثل تدمير عائلتها. حتى وسط الفوضى والجنون، كانت تمتلك عالمًا تتظاهر فيه بأن الأمور طبيعية أو تستحق النضال من أجلها.

كانت سامي شقراء جميلة ومحبوبة. كانت من بين المرشحات اللاتي يتمُّ اختيارهن عادةً للتكريم في حفلات لمُ الشمل المدرسية. وبالإضافة إلى تمُّتعها بشخصية مرحة وذكية، كانت من طراز الفتيات اللواتي يجذبن انتباه الشباب بالحديث الظريف. ولكن بحلول عامها الأخير في المدرسة الثانوية، اتَّخذت سامي نهجًا لا مباليا في الحياة. كانت قد سئمت من إخفاء آثار تعذيب أمها لها ولشقيقتها الكبرى.

لقد تعلّمت من تجربة نيكي أن الصمت لا يحلُّ المشكلة، بل يزيدُها تعقيدًا.

قال لها المعلم: "تأخّرتِ عن تسليم فروضكِ الدراسية".

فردّت: "ألقت أُمي بأوراقِي في سلّة المهملات".

وتكرّر الأمر مرارًا.

"وصلت متأخرةً إلى الصّف".

"أجبرتني أُمي على النوم خارج المنزل الليلة الماضية، ولم تسمح لي بالدخول إلا هذا الصباح لأرتدي ملابسِي".

"ستدفعين غرامة لعدم إرجاعك كتب المكتبة".

قالت سامي: "حسنًا. لقد أحرقت أُمي كتبِي في المدفأة".

وهكذا دواليك.

لم يمضِ وقت طويل حتى استُدعيّت سامي إلى مكتب مستشار المدرسة.

قال المستشار: "استرعى انتباهنا ما تقولين. لديكِ أخت صغيرة في المنزل ويساورنا القلق عليها أيضًا. سنبلغ السُلطات بما أخبرتنا به".

جلست سامي أمامه تعتمل في صدرها مشاعر متضاربة. رغم أن تصديق كلامها كان أمرًا إيجابيًا، فإنها علمت أن الأمور ستأخذ منحىً خطيرًا.

أدركت خطورة الموقف فجأة، وسرعان ما تلاشى شعور الانتصار الذي انتابها عند كشفها عن إساءات أمها.

قال المستشار: "سنُجري الترتيبات لإخراج أختكِ من المنزل، سننتصّل بوالدتكِ الآن".

أصابها الهلع عندما مدَّ المستشار يده إلى الهاتف.

بعد سنوات، عجزت سامي عن تفسير سبب تراجعها آنذاك.

قالت: "داخَلَنِي فجأة شعور بالخوف الشديد من الحقيقة، ولم أعرف السبب. تراجعتُ عن كل ما قلته، وزعمتُ أنني اختلقت كل شيء، وادَّعيتُ الكذب. أعتقد أنني لم أرغب في إثارة غضب أمي".

\*\*\*

كانت سامي وصديقتها في المدرسة الثانوية، كالي هانسن، قد خرجا في وقتٍ متأخّر لحضور إحدى الحفلات. وكانت تعرف ما سيفعله صديقتها؛ سيترك المصابيح الأمامية لسيارته مضاءة وينتظر حتى تصل إلى المنزل بأمان. وإذا منعتهما أمها من الدخول، كما حدث في بعض الأحيان، فإنه سيطلق بوق السيارة عدة مرات لإعلام شيلي بأن ابنتها وصلت إلى المنزل.

كانت شيلي تسمح لسامي بالدخول، وبعدها تبتعد سيارة كالي تطردها إلى الخارج للنوم على الشرفة.

في إحدى الليالي، وقفت شيلي وهي تمسك بكأس كبير من الماء وأمرت ابنتها بالخروج.

"ستنامين بالخارج".

"لن أفعل، الجو بارد ولن تجبريني".

ألقت شيلي بكأس الماء على سامي ودفعتهما للخارج. ركضت سامي فوراً إلى منزل كالي. لقد بلغ السيل الزُبى، ولم تُعدّ تحتمل المزيد. كانت المسافة أكثر من ميل، لكن سامي كانت عداءةً ماهرة؛ إذ حصلت على شارة التمييز في سباق الأربعمئة متر وسباق التابع لمسافة ميل.

كلما ملحت سامي أضواء سيارة، سارعت بالاختباء خوفاً من أن تتعقبها أمها وتعيدها إلى المنزل. لكنها واصلت الركض ووصلت أخيراً إلى طريق المقبرة حيث كان يعيش كالي.

وكما هو مُتوقَّع، مرَّقت سيارة أمها، التي كانت تلاحقها، مثل سمكة قرش تبحث في الظلام. وشعرت سامي بالرعب لكنها دخلت إلى مرآب آل هانسن.

قَبَعَت به لبعض الوقت، محاولة تفادي أمها ومتمنيَةً ألا تكون قد زادت الطين بلةً.

\*\*\*

ذكر ديف نوتيك لاحقاً أنه لم يكن موجوداً في منزل مونهون لاندينج كثيراً، لذا لم يكن لديه أدنى فكرة عن مدى سوء الأوضاع. وأصرَّ على أنه من المستحيل أن تؤذي شيلي سامي أو توري بأي شكل من الأشكال. كان يحب بناته، لكنه وقف إلى جانب زوجته. وظنَّ أن سامي تميل إلى المبالغة واختلاق القصص، وشكَّك في صحة كلامها. ولم يكن مقتنعاً بحدوث أي إساءة.

قال بعد سنوات: "من المستحيل أن تضرب شيل سام أو توري. صحيح أنها ضربت نيكي وكذا فعلتُ أنا، لكن لم يحدث شيء آخر. لم تتعرَّض هاتين الفتاتين لأي إساءة من هذا القبيل".

حتى بعد انهيار حياته الشخصية، لم يتمكن ديف من رؤية عيوب شيلي. كما أنه غَضَّ الطرف عن الدلائل المادية. في يوم تخرُّج سامي من المدرسة الثانوية، كانت مُصابةً بكدمات شديدة تسبَّبت فيها أمها في إحدى نوبات غضبها، وكان السبب تافهاً لدرجة أن لا أحد يتذكَّره. فهل كان عدم غسل الأطباق كما تريد؟ أم عدم وضع الماء للحيوانات؟ أم إعاره سُتره لصديقة؟ ومع ذلك عزا ديف تلك

الكدمات إلى تصرفات سامي، مُدَّعِيًا أنها متهورّة وتحب المغامرة  
وأصابت نفسها أثناء السقوط.

وهمزيد من الضغط عليه، اختلق رواية.

"أقرضت شيل سام بعض المال مقابل عمل معيّن، وتوجّب على  
سام طلاء مبنى الأعمدة. وحين عادت من المدرسة، خرجت وأدّت  
المهمة رغم إرهاقها الشديد. كانت تشكو من الألم، وأخبرتني شيل  
أن ذلك ناجم عن حادثة سقوط مؤلمة. لست متأكّدًا. لم ألحظ ذلك  
على سام".



## الفصل الثالث والأربعون

في صيف عام 1997 كانت سامي نوتيك تعيش في حالة من الاضطراب، ولم تستطع تحديد خطوتها التالية. فبسبب تعمد أمها إتلاف أوراق القبول، فاتها موعد التسجيل في جامعة إيقرجرين. كان حلم الالتحاق بالجامعة يراودها دومًا، ولطالما تطلّعت إلى أن تكون أول فردٍ في عائلتها ينال شهادة جامعية. ورغم حبّها لصديقها، فإن فكرة الزواج لم تكن تستهويها. ولم ترغب أيضًا في العمل في البلدة مثل بقية الشباب العالقين في نمط حياة آبائهم. كانت سامي تسعى إلى المزيد، شيء جديد، حياة أكبر. بل إنها تخيّلت نفسها تعمل في هوليوود.

خطّطت للهروب مرتين.

المرّة الأولى كانت في أبريل، لكنها لم تتمكّن من تنفيذها. كما أنها كانت قد صنّعت فستانًا جديدًا جميلًا وفضّلت المشاركة في حفل

رقص وعدم تفويت الفرصة لارتدائه؛ لذلك عادت إلى المنزل بعد يومين.

بيد أنها وضعت خطة هروب مدروسة في الأشهر الأخيرة من عامها الأخير في المدرسة الثانوية. شقَّ عليها فراق أختها الصغرى توري، لكنها طمأنت نفسها بأن الأمور ستتحسَّن.

كانت أختها الكبرى قد رحلت، ولم تبدُ أختها الصغرى هدفًا لأمها. كما خفَّت حدَّة الأحداث الغريبة منذ فترة طويلة. أفشت سامي خطة الهروب لصديقتيها لورين وليا لثقتها التامة بهما. وقبل ذهابها مع أمها وأختها الصغرى إلى جولة تسوق في أبردين، جمعت كل متعلقاتها في خمسة أكياس قمامة سوداء، بما في ذلك جميع ملابسها وأحذيتها وحليها الأثيرة.

اعترفت لاحقًا: "كنت متعلِّقةً بشدة بامتعتي، ورفضت ترك أي ستره ورائي".

كانت الخطة تقضي بدخول لورين المنزل أثناء غيابهن، وإحضار أغراض سامي، ثم الالتقاء بها عند منزل لورين.

حاولت سامي التلميح لتوري بخطتها.

قالت لأختها: "إذا لم أعد لاحقًا اليوم، سأترك لك رسالة صغيرة لك وحدك- تحت وسادتي".

لم تفصح سامي سوى عن تلك الإشارة. كانت تثق بتوري، لكنها علمت أن أمها لن تتورَّع عن استنطاق الطفلة البالغة من العمر ثمانية أعوام. ستهددها، وتتوعدها، وتُدلِّها. لم تكن شيلى لتستسلم بسهولة، ولم ترغب سامي في أن تعرف أمها وجهتها.

بعد عودتهن من أبردين، صعدت سامي إلى غرفتها فلم تجد متعلقاتها، وعلمت أن خطتها كانت تجري على قدم وساق.

قالت سامي كاذبةً: "لقد نفذ بنزين سيارة لورين، يا أمي. وعليّ الذهاب لإحضارها".

ردّت شيلي: "حسنًا، لا بأس".

استقلّت سامي سيارتها البيضاء الصغيرة، وألقت نظرة أخيرة على المنزل قبل أن تتوجّه إلى منزل لورين حيث اختبأت ليوم واحد. ثم انتقلت إلى منزل حبيبها ليلية أخرى. كانت تعلم أن شيلي لن تترك شبرًا إلا وستبحث عنها فيه، وكان مجرد التفكير في قدوم أمها يجعلها تشعر بالغثيان.

ورغم ذلك، كانت عائلتها تُحكّم سيطرتها عليها كأنها حيوان عالِق في فخّ بالغابة. كتبت رسالة إلى أمها تقول فيها:

"تردّدتُ طويلًا في ترككِ بسبب حبي الشديد لك. هذا الحب الذي منعني من أن أرحك. بدأت أفكر في الأم والحياة ومدى معاناتي والآلام التي سببتها للآخرين. فقررتُ الرحيل أملًا في الهدوء. لقد خيّم الهدوء بعد رحيل نيكي، وبرحيلي سيعمُّ الهدوء أيضًا".

اختتمت الرسالة باعتقادها بأن العيش في سيارتها قد يكون حلًّا.

"ستكون الأمور على ما يرام. إذا كان هذا قدرنا، فليكن. أتمنى لو تفهمين، لكنني أدركت الآن أنك لن تفهمي أبدًا".

لم تعرف سامي وجهتها حتى تحدّثت إلى نيكي، التي أخبرتها أنها على اتصال بالجدّة لارا وترغب في زيارتها.

نصحتها نيكي: "اتّصلي بجدتنا".

ففعلت سامي. رحّبت بها لارا بحرارة في منزلها في بلينجهام.

علمت سامي أن والدها يبحث عن السيارة، وأن أمها قدّمت بلاغًا بسرقتها؛ لذا احتاجت إلى وسيلة أخرى للوصول إلى بلينجهام. وقدّمت لها بارب هانسن، والدة كالي، يدّ العون. لم تكن تحب شيلي على

أي حال، فقد أيقظتها ذات ليلة في منتصف الليل لتسألها عن مقدار المال الذي تجنيه هي وزوجها.

قالت بارب لاحقًا: "أخبرتها أنني لا أستحسن اتصالها في هذا الوقت المتأخر، وأن الأمر لا يعينها".

في اليوم التالي، أقلتها بارب إلى بلينجهام. وخلال الرحلة، كشفت سامي بعض تفاصيل معاملة أمها القاسية لها ولأختها. لاحقًا، وقبل مغادرة بارب، أطلعتهما لارا على تفاصيل أخرى مُقلِّعة عن تصرفات شيلي خلال طفولتها وشبابها.

قالت سامي متذكرةً: "أخبرتني أن أمي حاولت إضرام النار في المنزل. كما أخبرتني بأفعالها تجاه أختها، وكيف أنها كانت تُسمِّمنا بدواء إيببيكاك لمنعنا من الذهاب مع لارا. لم تصدِّق بارب أذنيها. وداخَلني الارتياح لوجود شخص غيري يدعمني ويؤكِّد روايتي عن أفعال أمي ويمتلك معلومات أكثر مني".

مكثت سامي مع لارا طوال صيف عام 1997.

كانت تلك الفترة من أسعد فترات حياتها، مثلما كانت تجربة نيكي في كندا.

## الفصل الرابع والأربعون

عانت نيكي من فراق أختيها. ورغم عدم ندمها على الرحيل وشعورها بالخلاص، فإنها اشتاقت لهما. وحين علمت بمرض توري أرسلت لها بطاقة.

"أتمنى لك الشفاء العاجل يا صغيرتي. سمعتُ أن الثلج قادم، أتمنى أن يُبهِجَكَ هذا قليلاً. هلا اعتنيتِ بأمي وسامي؟ على الأقل عندما تتحسنِ صحتك؟".

لم تصل الرسالة أبداً إلى توري.

حاولت شيلي الاتصال بنيكي خلال تلك الفترة، لكن الابنة الكبرى رفضت الردَّ على مكالماتها. لم تكن نيكي ترغب في أي صلةٍ بأُمها المجنونة، ولم تهتم برؤية والديها مجدداً. ثم ظهرت شيلي فجأة، متظاهرةً بالقلق والحب، ودعت نيكي للعودة إلى المنزل، والعيش فيه، والالتحاق بالجامعة. عرفت نيكي أنها أكاذيب جديدة، فكل ما

قالتة أمها كان كذبًا. وذات يوم، جاء مأمور من مقاطعة آيلاند إلى مقطورتها وسألها عن حالها.

قال الشرطي: "أمك في غاية القلق عليك".

أجابت: "أنا بخير".

"يجدر بك الاتصال بها".

أكدت أنها ستفعل، لكنها لم تكن تنوي ذلك. بدا جليًا أن والديها يشعران بالقلق من استقلالها الجديد. عرفت نيكي السبب.

الخوف. كانا يخشيان كشفها لأسرارهما.

بعد إلقاء حجر على نافذة محل الآيس كريم الذي تعمل فيه، ورد اتصال يفيد بتورطها في الأمر.

قالت لاحقًا: "أعلم أن والدي هو من فعل ذلك بتحريض من أمي. كان هدفهما أن أفقد وظيفتي وأعود للمنزل ليتمكنا من مراقبتي".

بعد فترة وجيزة من الحادثة، اتصّلت نيكي بلارا واقترحت عليها أنها ستغادر أوك هاربر وتنتقل إلى بلينجهام وتعمل معها في دار الرعاية.

رحّبت لارا بالفكرة، وكان لديها خبر سارٌّ أيضًا.

قالت لارا بصوتٍ مُفعمٍ بالحماس: "يا لها من مصادفة جميلة الاتصال الآن، يا نيكي! سامي هنا أيضًا!".

شعرت نيكي بحماس لا يوصف. غادرت إلى بلينجهام على متن أول حافلة.

ما أن رأت سامي أختها، حتى انهمرت دموعها على الفور. كان قد مرَّ عام تقريبًا على فراق الأختين. وبدت نيكي في نظر سامي أجمل وأسعد ممَّا كانت تتخيّل. كانت ترتدي بنطال جينز مناسبًا ماركة

"جاء"، وقميصًا أرجوانيًا بلا أكمام، وتضع مكياب أيضًا. وكان شعرها، الذي لطالما قصته أمها بأسوأ وأقسى الأساليب، طويلًا و متموجًا.

تذكرت سامي ذلك اللقاء قائلة: "كانت جميلة. والأهم من ذلك أنها كانت واثقة من نفسها. قبل تلك اللحظة، لم أستطع تخيل أختي خارج نطاق حياتنا المعتادة. كنت أراها دومًا في المنزل ترتدي بنطالًا مهترئًا وتقضي وقتها في الفناء. لم يكن لديها أصدقاء ولا حبيب حتى هربت من المنزل في سن الثانية والعشرين. لم يكن لديها شيء".

\*\*\*

حصلت نيكي على وظيفة مساعدة ممرضة في أحد أقسام مركز الرعاية الذي تعمل فيه لارا. كان العمل شاقًا، لكن الأجر كان مجزيًا أكثر من العمل في الفندق أو محل الآيس كريم. والأهم أنها تخلّصت من والديها وحياتها السابقة في مقاطعة باسيفيك.

قالت متذكّرةً: "كنت أستبدل أكياس القولون، لكنني لم أجد غضاضةً في ذلك. كنت بعيدة".

لم يمضِ وقت طويل على عملها هناك، حتى بدأ المسؤولون في المركز يتلقّون شكاوى مجهولة حول قسوة نيكي مع المرضى المُسنّين وعدم كفاءتها في تقديم الرعاية لهم. تدخلت السلطات الحكومية للتحقيق. وفي كل مرة، كانت نيكي ولارا تضربان الكفوف، ولا تفهمان سبب هذه الشكاوى، إذ نالت استحسان وإعجاب جميع الموظفين والمرضى وعائلاتهم.

لم تكن المكالمات المجهولة أسوأ ما في الأمر.

بدأ ديف نوتيك يظهر في موقف سيارات المركز. كان يترصدها أحيانًا من شاحنته، وأحيانًا أخرى يراقبها من بين الأشجار. لم يكن

يناديها، لكنه كان يريد لها أن تراه. اعتبرت ذلك تهديداً غير مباشر، وخشيت أنه قد يحاول اختطافها، بل ارتابت في أن يكون قد دبّر لها مكيده مع أمها.

مثل ما حدث لكاثي.

لاحقها ديف عدّة مرّات أثناء عودتها للمنزل بعد فترة عملها. وانتابتها حالة من الرعب الشديد، فكانت تختار طرقاً طويلة وملتوية في بلينجهام لتضلّل زوج أمها.

قالت نيكي متذكّرةً: "كنت أخشى أن يختطفني. كنت متيقّنة من نيّتهما باختطافي. بوسعي تخيّل أمي وهي تُحرّض زوجها ضدي. وبعد معرفتي بكل الحقائق، أدركت أنني محظوظة بالبقاء على قيد الحياة. وأختي تشعر بالمثل".

## الفصل الخامس والأربعون

حدث ذلك في منتصف صيف عام 1997 تقريبًا. وقع ديف نوتيك تحت ضغط متزايدٍ من شيلي للعثور على مكان ابنتهما الوسطى المارقة ومعرفة مَنْ كان برفقتها. واستعانت شيلي بكل وسيلة مُمكنةٍ للعثور على سامي، وقد تناهى إلى علمها أنها في بلينجهام برفقة لارا ونيكي. جُنَّ جنونها حين علمت بوجودهن معًا. هذه الخيانة جعلت اختفاء سامي أكثر إيلاّمًا لشيلي، فزاد عزمها على إعادتها إلى المنزل.

قالت شيلي: "ربما تخبران أحدًا، يا ديف".

أجاب ديف: "لن تفعلنا".

قالت شيلي: "لا يمكننا الجزم".

كان ديف قد ضاق ذرعًا بمبالغات شيلي المزعجة، وفضّل ترك الفتاتين تكتسبان استقلالية. لكن شيلي ما انفكت تتصل به في عمله بجزيرة ويدبي لتبليغه بأي معلومات جديدة.

ومع ذلك، رضخ لزوجته كدأبه، وشرع يتابعهما.

علمت شيلي أن مخيم فايروود، وهو مُخيم كنسي يقع على ضفاف بحيرة واتكوم، سيقوم يوماً مفتوحاً، وبلغها أن سامي وكالي كانا يذهبان إليه.

واتّضح أنها كانت فرصة جيدة.

بينما أخذت سامي تتجول بين المرشدين والضيوف في المخيم، ملحت وجهًا مألوفًا.

والدها!

أدهشها مظهره ودققت النظر مرة أخرى، بسبب تنكره المكشوف. كان يرتدي نظارة شمسية غير تلك التي اعتاد وضعها، ويعتمر قبعة بيسبول، ويلبس سترة بقلنسوة لإكمال التنكر السخيف.

فكّرت سامي والغثيان يعتمل داخلها: يا إلهي! كانت تحب والدها، لكنها علمت أنه جاء لسبب واحد؛ إعادتها إلى المنزل بلا ريب. اقترب منها ديف.

قال بصوت خافت مشحون بالخوف: "أمك ينهشها القلق، يا سامي. نريدك أن تعودى إلى المنزل".

لم تُجب على الفور. ماذا عساها أن تقول؟ أمها كانت وحشًا، وسامي لم تثق بها البتة.

عوضًا عن ذلك، قادتة إلى مكان منعزل بالقرب من أرجوحة معلّقة، وجلسا هناك. ساد الصمت بينهما في البداية.

بعد بُرهةٍ، أخبرته سامي بأسباب رحيلها، ورغزت كثيرًا على كاثي.

قالت: "أعلم أنها ماتت، رأيتها بأَم عيني، يا أبي".

جلس ديف بلا حراك ولم يعقب. بدا مقهورًا ومستسلمًا.

ثم تحدّثت عن شكوكها حول مرض السرطان المزعوم الذي تعاني منه أمها؛ المرض الذي استمرّ طيلة طفولتها وتطلّب رعايةً طبيةً متواصلة.

قالت: "مستحيل أن يستمر السرطان كل هذه المدة. كان ينبغي أن يموت الآن".

نفى ديف قولها: "إنها مصابة بالسرطان، أعلم ذلك".

قالت سامي: "إنها تكذب، يا أبي. هل ذهبتَ معها إلى الطبيب؟".

أجاب: "كنتُ أصحابها بالسيارة إلى هناك". مكتبة سُر من قرأ

قالت: "هل دخلتَ معها إلى المستشفى؟ هل استلمتَ فواتيرَ طبيّة؟".

كانت الأسئلة نفسها التي طرحتها لارا منذ سنوات.

عندما ردّ عليها أخيراً، كانت إجابته مغلّفة بتلك النبرة اللطيفة والمتفهّمة. لم ينفِ أو يؤكّد بشكل مباشر.

"أنا آسف، يا سامي. أعلم. أعلم".

بكيًا وتحدّثًا طويلًا. أدركت سامي بوضوح أن والدها كان رجلًا محطّمًا. وتراءى لها أن سيطرة أمها عليه كانت مشابهة لسيطرتها على كاثي. من يعرف ديف نوتيك جيدًا لم يكن ليتحدّث عنه بسوء. وكان أهل البلدة أجمعين يرونه نموذجًا للرجل الطيب الأصيل. كان ابن حطّاب.

كان واحدًا منهم.

أمّا المرأة التي تزوّجها فلم تكن مجرد دخيلة، بل كانت شيئًا آخر.

حتى إنهم كانوا يلقّبونها بـ"شيلي المجنونة".

أو "شيلي السيكوباتية"، كما يفضّل مُحبُّو التلاعب بالكلمات أثناء  
النميمة واحتساء القهوة.

"سأعود إلى البيت، يا أبي. لكن لديّ طلب. ثمة أمرٌ أفسدته أُمي  
وأريد منها تصحيحه. أريدها أن تنهي الأوراق المطلوبة للجامعة".

قال ديف: "لا أعرف إن كان ذلك ممكناً".

لكن سامي، شأنها شأن أختها الكبرى، أصبَحَت أكثر جرأةً وثقةً  
بالنفس. فإذا كان الالتحاق بجامعة إيقرجرين لتحصيل شهادة  
التدريس يعني إبرام صفقة مع الشيطان، فقد قرَّرَت أنها ستخوض  
تلك المجازفة.

بعد مغادرة والدها فايروود، اتَّصَلَت سامي بأمها لتخبرها برغبتها  
بالعودة إلى المنزل بشرط الحصول على دعم مالي للدراسة. رفضت  
شيلي، وشرَّعت تسرد قائمة من الأعذار عن ضيق ذات اليد، وتصادُ  
الخلافت الزوجية بينها وبين ديف إلى درجة أن الطلاق بات وشيكًا.  
وكان ذلك لم يكن كافيًا، أضافت شيلي أنها تعاني من تدهور صحتها  
بسبب عودة السرطان.

كانت سامي تأمل في طلاق والديها، فقد سمعت من نيكي عن  
حياة والدها المتردية في موقع العمل، والخيمة البائسة التي يعيش  
فيها، وتردُّده على بنك الطعام، بينما يعمل لساعات طويلة جعلت  
جسده يهرم قبل أوانه!

لم تكن سامي تستهين بمرض السرطان، لكنها حسبت أن أمها تبالغ  
بادّعائها المرض لفترة طويلة.

لم تُعر سامي كل ما قالته أمها انتباهًا، وركَّزَت على هدفها؛  
الالتحاق بالجامعة.

قالت: "لقد وعدتني بالذهاب، لقد خربتِ خطتي، يا أمي. أنا وأنتِ نعلم ذلك جيداً".

"لا أفهم ما تقصدين".

حقاً، يا أمي؟ أسواصل هذه التمثيلية السخيفة؟

قالت سامي: "بل تعلمين". وتركت الصمت يملأ الفراغ بينهما.

كان الصمت الطويل أحد أساليب أمها المفضلة. كانت تصبر كحيوان مفترس ينتظر بأناةٍ انهيار فريسته واستسلامها.

قالت سامي أخيراً: "لن أخبر أحداً بما حدث".

ساد الصمت الخطّ لبرهة.

"ماذا تقصدين؟".

كانت سامي تسير في اتجاه النجاح. أجابت: "أنتِ تعرفين". وبعين خيالها رأت وجه أمها المحمّر وعينيها المشتعلتين بالغضب.

كانت شيلي نوتيك تكره أن يستفزها أحدهم، وإذا حدث ذلك، فلم يكن سوى مرة واحدة. ولم يرغب أحدٌ بتكرار تجربة مواجهة سخطها.

لم تُصرّح سامي بمقصدها بوضوح، ولم يكن هذا ضرورياً. كانت حيلة الابتزاز بارعة، وأتت بثمارها. قبل عودتها إلى مونهون لاندينج في نهاية الصيف، كانت أمها قد ملأت الأوراق المطلوبة وقدمتها.

\*\*\*

في ذلك الصيف نفسه، احتفلت سامي بعيد ميلادها التاسع عشر بحفلٍ مفاجئٍ في بلانيت هوليوود في سياتل. كان أفضل عيد ميلاد شهدته في حياتها، شعرت بالسعادة والحرية والأمل. كانت على اتصالٍ

بأمرها، وكانت الأمور تسير كما يجب. حافظت على علاقتها الوثيقة والخفية بنيكي بعيداً عن ناظرِي شيلي؛ إذ كان من الضروري الحفاظ على السرية، فشيلي كانت تُكِنُّ لها العدا، وخشيت الفتاتان من تطرّف أمهما في سعيها للانتقام.

عندما وصلت سامي وصديقتها كالي إلى منزل مونهون لاندينج، استقبلتهما شيلي بنظرة مرعوبة وهستيرية. كانت قد حلقت حاجبيها ووضعت مسحوقاً أبيض كما فعلت عندما زارتها لارا وابنتها كارول. هزت رأسها بأسى وقالت: "لقد عاد السرطان مُجدِّداً".

تبادل كالي وسامي النظرات، وكادت الضحكات تفلت منهما. كان الأمر سخيلاً ومحرّجاً في آنٍ واحد.

سأل كالي سامي لاحقاً: "لماذا تتصرّف أمك بهذه السخافة؟".

أجابت سامي: "لا أدري، ربما ترغب في جذب الانتباه".

جال ببالهما أن ثمة أساليب أفضل لجذب الانتباه من ادعاء الإصابة بالسرطان.

وما أن غادر كالي، حتى انقضت شيلي على سامي وراحت توبّخها بقسوة.

"أبوك يقول إنك لا تصدّقين إصابتي بالسرطان! ألا ترين حالي، يا سامي؟ انظري! إنني أفقد شعري!".

واجهتها سامي بقوة، وبنقّة جديدة اكتسبتها مؤخراً.

قالت: "أعلم أنّك تكذّبين". كانت شيلي تغلي من الغضب. استطردت سامي: "أعلم أنّ كاثي ماتت، وأنتِ قتلتها. كنتُ موجودة، يا أمي. رأيتها بأُمّ عيني، كانت ميتة".

لوّحت شيلي بأصبعها نافيةً وقالت: "لقد اختنقت بقيئها".

"بسبب تعذيبكِ لها، يا أمي".

"لم يكن الأمر كذلك".

"بل كان كذلك. لقد قتلتها، يا أمي. لقد تسببت في موتها".

صمتت شيلي بغتةً ثم قالت: "أنا آسفة، أنا آسفة".

رأت سامي قولها اعترافًا بذنبها.

سألت: "آسفة؟"، وكأنها تكرر كلمة غريبة للتأكد من فهمها.

أومأت شيلي برأسها وقالت: "الأمور خرجت عن السيطرة، ولم أستطع إيقافها، يا سامي. لقد حاولتُ".

كانت سامي تدرك أن هناك جانبًا من الحقيقة في كلامها. فقد خرجت الأمور عن السيطرة بالفعل. لكن شيلي لم تحاول إيقافها، بل كانت السبب الرئيسي في حدوثها.

بعد خمس دقائق، قلبت شيلي الطاولة.

تراجعت عن كلامها، وسحبت أقوالها.

قالت موضحةً: "لقد أخطأتِ الفهم، يا سامي، لم أقل شيئًا من هذا القبيل مطلقًا".

قالت سامي لاحقًا: "تصرّفتُ كأنها لم تعترف بشيء، وكأنني مجنونة لأنني ظننتُ أنها اعترفت".

لم تكثرث سامي، فقد التحقت بجامعة إيفرجرين. ورحلت مثل أختها.



## الفصل السادس والأربعون

استمرّت الأوضاع المالية لعائلة نوتيك في التدهور. وفاقمت مصاريف الجامعة المشكّلة، وتراكمت الديون عليهم في جميع أنحاء المدينة أيضًا. كانت شركة ستان لخدمات السباكة تنتظر مستحقّاتها، كما هدّدت شركة الهاتف بقطع الخدمة. واصّلت شيلي اختلاق الأعدار لتجنّب الدفع ريثما تصل بعض الأموال. فتحجّجت لشركة المياه بأن أمرًا عائليًا طارئًا يمنعها من سداد الفاتورة في وقت قريب، وكتبت للشركة تدّعي إصابة زوجها بأزمة قلبية حادة.

"لكنه بخير الآن... أقضي جُلّ وقتي في رعايته وأحاول إنجاز كثير من المهام الأخرى في الوقت ذاته. إنه حقًا أمر مُربك...".

وفي رسالة خطيّة أخرى إلى أحد الدائنين، ألقت اللوم في تأخّرها على معاناة أفراد أسرتها من مشكلات صحية مختلفة.

"كان وضعي صعبًا للغاية هذا العام. ابنتي الكبرى تعاني من التّصلّب المتعدد، ووالدي مريض جدًّا".

كانت شيلي تلجأ إلى ورقة المرض كلما اعتقدت أنها قد تساعد. وعندما قدّمت أذاراً عن مخالفة مرورية في ساوث بيند، كتبت إلى محكمة المرور مُدعيةً تعرّضها لضغوط شديدة، وطالبت بإعفائها من العقوبة التي أدّت إلى حجز سيارتها.

"مررتُ بعامٍ عصيبٍ وقاسٍ. ابنتي مصابة بالسرطان. ولا بُدَّ من اصطحابها للعلاج في أوليمبيا مرتين أسبوعياً. استقلت من وظيفتي لأتفرّغ لها. ابنتي هي أعلى ما أملك، وتعتمد عليّ في كل الأمور. لست مُذنبَةٌ".

وافقت إدارة الطرق العامة في واشنطن على منحها إعفاءً بسبب ظروفها الصعبة.

وبينما راح ديف يتعزّر في عمله، ويضطر إلى استنشاق الأمونيا ليظلّ مستيقظاً لتشغيل الآلات والمعدات، وينام في سيارته لأنه لم يكن لديه خيار آخر، انغمست شيلي في التّسوّق المستمر في مول أبردين الصغير. بالطبع، لم يكن ديف على دراية بذلك، فقد ألغت توقيعه من حسابهما البنكي المشترك. ولم يعرف ديف قطّ ما حلّ براتبه. لم يكن راتبه كافياً لتلبية احتياجات شيلي.

كما تمكّنت من الحصول على قروض شخصية بقيمة تزيد على 36 ألف دولار من دون علم ديف؛ ما يدلُّ على براعتها في الإقناع في فرع بنك أوف أمريكا في رامند. كان إنجازاً استثنائياً، إذ لم يكن لدى الزوجين أي ضمانات، فالمنزل في مونهون لاندينج قد أُعيد تمويله بالكامل، وكان تصنيفهما الائتماني كارثياً.

كانت شيلي مُثابرةً ومبدعةً في إيجاد الحلول. وبمجرد حصولها على خط الائتمان الضخم، شرعت تبدّده على الفور بجنونٍ وتهورٍ. وكأنها أدمنت إنفاق المال، أو أنه صار بديلاً عن إدمانٍ آخر. راحت تكتب ما يصل إلى ثلاثين شيكاً يومياً في متاجر مول أبردين. وذات

يوم، كتبت تسعة شيكات في متجر "تارجت"، وانتقلت من كاشير إلى آخر طوال اليوم. ولم تكن مشترياتها كبيرة، بل معظمها لا يتجاوز خمسة أو عشرة دولارات. وربما كان ذلك تكتيكًا اتبعته لأنها حسبت أن الشيكات الصغيرة لن تثير الشكوك على الأرجح. لم تكن تنفق المال كله على نفسها، بل اشترت أغراضًا لسامي وتوري، وأحيانًا بعض الحاجيات المنزلية الصغيرة. كانت بعض نوبات الإنفاق لدى شيلي غير قابلة للتفسير، ليس بسبب عدد الشيكات التي كانت تكتبها في مكان واحد يوميًا فحسب، ولكن أيضًا بسبب تكرارها على مدار الأسبوع. كل يوم كانت تعود إلى أبردين وتنفق بلا حساب.

كانت تستريح ليوم واحد ثم تعاود الكرّة.

لم تكن تأبه أن الأمور قد تنهار في أي وقت؛ بل راحت تبتاع بلا توقّف حتى نفاذ مدخراتها.

وعندما نفدت، بدأت شيكاتها تُعاد دون سداد في جميع أنحاء المدينة.

في بعض الشهور، كانت شيلي تدفع أكثر من 250 دولارًا رسومًا لسحب مبالغ زائدة من حسابها الجاري. وعندما يقلّ الرصيد، كانت ببساطة تفتح حسابًا جديدًا في فرع آخر. وحين تفقد كلّ خياراتها ولا يُقرضها أحد المال، كانت تسحب المال من حسابات بناتها في فرع رايمند.

قالت نيكي لاحقًا: "رايمند بلدة صغيرة للغاية لدرجة أن الأم تستطيع الذهاب إلى البنك وسحب أموال من حساب لا تملكه أصلًا". للحصول على قرض أو تأمين، أو أي شيء يتطلب رقم الضمان الاجتماعي، كانت شيلي نوتيك تُسدي نصيحة واحدة لكل من يواجه مشكلات مالية.

اتَّصَلت سامي بأَمها من المدرسة ذات يوم، وأخبرتها أن رقم الضمان الاجتماعي الخاص بها لا يعمل.

قالت والدتها: "واصلي تغيير الرقم الأخير، حتى تحسلي على رقم يصلح".

أخبرتها سامي أنها لا تشعر بالراحة لفعل ذلك.

نصحتها شيلي: "إدًا، استخدمي الرقم الخاص بأختك توري، فحسابها نظيف في الوقت الحالي". وكأنها نصيحة مقبولة.  
رَفَضَت سامي الفكرة.

استمرَّت شيلي في التلاعب بأموال الآخرين وأرقام الضمان الاجتماعي لوقت طويل. بعد عدَّة سنوات، عندما حاولت سامي الحصول على شقة، رُفِضَ طلبها بسبب سوء سجلها الائتماني. وتبيَّن وجود دين بقيمة 36 ألف دولارًا مرتبط برقم ضمانها الاجتماعي. ومع ذلك، لم يكن اسمها على الحساب.

بل اسم والدتها، فقد استخدمت شيلي نوتيك رقم سامي مدَّعيَّةً أنه رقمها الشخصي.

حاولت شيلي تفسير الأمر لابنتها مُدَّعيَّةً حدوث خطأ في البنك. لكن سامي كانت تعلم الحقيقة. ومع ذلك، ظلَّ ديف يدافع عن زوجته.

قال: "كانت سامي وشيلي تستخدمان الحساب البنكي نفسه. وحدث خطأ في أسماننا بسبب مشكلة من البنك. ووقع خلاف بيني وبين سامي وشيل بشأن هذه المسألة، ولكن تمَّ حلُّها".

بعد سنوات، سيتعجَّب ديف حين يعرف ما فعلته زوجته بمواردهم المالية المحدودة من وراء ظهره. ظلَّ معتقدًا لعدة سنوات أن شيلي تخلَّت عن عادة التبذير. كان لا بُدَّ أن تنتهي، خاصَّةً وأن

الأسرة كانت تعاني من ضائقة مالية. لقد واجهته تلك المشكلة في بداية زواجهما، وحسب أنه حلها بمزيج من اللين والصرامة.

"كنت مضطراً لوضع حدٍّ لإنفاقها، لكن سلوكها المبدّر تغيّر على مرّ السنين. وكانت تشتري حاجيات كثيرة للمنزل، كما كانت تبتاع أشياءً لسامي".

رغم نشأة ديف في فقر مدقح على ضفاف نهر إلك كريك، فإنه قد حرص على توفير كل شيء للفتيات. والواقع أن المشاجرات بينه وبين شيلي حول المال لم ينجم عنها أبداً حرمان نيكي أو سامي أو توري من أي شيء يرغب فيه. لم يكن يعترض قطُّ على إنفاق الأموال على دروس الرقص والتمثيل والرياضة والملابس الجديدة وحفلات أعياد الميلاد والحيوانات الأليفة.

ومع ذلك، لم يفهم ديف أين يختفي كل هذا المال.

"أين اختفت كل هذه الأموال بحق الجحيم؟ تخيلتُ أن شيل ربما ابتاعت سيارة أو شيئاً قيماً لنفسها، خاصّةً وأننا ظللنا نقود سيارات متهاكّة لسنوات".



## الفصل السابع والأربعون

غدت توري الهدفَ الجديد بعدما صارت بمفردها في المنزل الآن.

بعد رحيل سامي إلى الجامعة، شرَّعت شيلي تولي توري كامل انتباهها. وعادت -بحذرٍ- إلى بعض ألعابها المفضَّلة القديمة التي مارستها قبل رحيل سامي. طوال سنواتها في المدرسة الابتدائية وحتى الإعدادية، شعرت توري أنها تكاد تُجنُّ بسبب فقدانها المتكرر لفروضها المدرسية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

"هل رأيتِ أوراقي، يا أمي؟".

أجابت شيلي بالنفي.

"أنا واثقة أنني وضعتها في مكانٍ ما، لكنها اختفت".

كانت شيلي تحدِّق بها وتقول: "ستضطرِّين إلى كتابتها من جديد".

فكَّرت توري: أمي غريبة الأطوار، لكنها تظلُّ أمي في النهاية.

واجهت توري صعوبات كبيرة بسبب اشتياقها الشديد لوالدها. ورغم تعبها عند العودة للمنزل، كان يقضي وقتًا طيبًا معها تتخلله الضحكات والأنشطة الممتعة. لم تنس حين كبرت الذكريات الجميلة مع والدها، حتى لو كانت أمورًا بسيطة مثل مشاهدة التلفاز أو صيد السمك في النهر. ومع ذلك، كانت تفضل أحيانًا غيابه، ليس لأنها لم تكن تريد رؤيته؛ بل لأن أمها دأبت على افتعال المشاجرات متى كان موجودًا بالمنزل.

كان المنزل يضجُّ بالصراخ والصياح وقذف الأشياء والتهديدات المتبادلة. ودأبت شيلي على سبِّ ديف بأقذع الألفاظ. ما من طفل يرغب في سماع ذلك.

قالت توري لاحقًا: "أذكر أنني كنت متحمسةً للغاية لعودة أبي للمنزل في طفولتي. ولكن عندما كبرت قليلًا وصرتُ على أعتاب مرحلة المراهقة، فتر حماسي؛ لأن المشاجرات تدب حين يعود... كانت ثمة لحظات جميلة، مثل الاستمتاع بألعاب الفيديو معه. أعتقد أنه كان أبًا رائعًا عندما كنت صغيرة، رغم أن الوضع كان سامًا. أعرف أنه أحبني حبًا جمًّا".

لم تتذكر توري مناسبة واحدة افتعل فيها والدها المشاجرة. لطالما كانت شيلي المبادرة.

تذكّرت توري صراخ شيلي في الهاتف: "أين راتبك اللعين، يا ديف؟ أخبرتني أنك ستعطيني إياه اليوم أيها الأحمق!".

تخيّلت توري والدها على الطرف الآخر يُصرُّ على أنه أرسل شيك الراتب. لم تستطع تصوُّر أنه قد يؤخّره أو يحتفظ به لنفسه. كان يعطي شيلي كل ما تريد.

"لم يكن في صندوق البريد اللعين. فتشّته جيدًا. لقد سئمتُ منك".

ثم تختتم حديثها قائلة: "يجب أن أطلِّقك. ما كان ينبغي لي الزواج بمعتوهٍ مثلك".

دأب ديف على النوم على الأرض بجوار الأريكة حين يأتي إلى المنزل. كان الأمر مأساويًا ومُرِبِّغًا. قالت توري: "كان أبي يبدو حزينًا ومكتئبًا طوال الوقت، وكأنه لا يرغب في الوجود بالمنزل. أتذكّر أنني أشفقت على حاله لزواجه بأمي لأنه بدا في غاية القنوط". مع مرور الوقت، أدركت توري أنها في خِصَمِّ حربٍ بين والديها. كانت حربًا ضارية، وأدركت أنها -بلا ريب- ضحيّتها الرئيسية.

\*\*\*

وقعت عديد من الحوادث الأخرى بالطبع. شنت أمها أول هجوم مفاجئ عليها في عتمة الليل. لم يكن بالمنزل سواهما. اندفعت نحوها شيلى، التي كانت لا تنام إلا أثناء وجود توري بالمدرسة، وأزاحت الغطاء عنها.

فتحت توري عينيها بصدمةٍ وشهقت. لم تفهم ما الخطب. هل اندلع حريق في المنزل؟ هل أصيبت أمها بنوبة قلبية؟ كان الأمر مفاجئًا ومخيفًا وغير متوقَّع.

سألته شيلى: "هل فكّرتِ بالانتحار يومًا؟".

أجابت توري: "كلّاً، يا أمي".

بقيت شيلى بالغرفة لفترةٍ طويلةٍ للغاية. لم تكن توري تعرف السبب. أكانت تنتظر ردَّ فعلٍ أكثر تفصيلًا؟ ردَّ فعلٍ مختلفًا؟ المهم أنها ظلّت صامتة، خائفة من الحديث مع أمها.

أخيرًا، غادرت شيلى.

جافى النوم عيني توري. وعصفت الأفكار برأسها. غير أن فكرة واحدة سيطرت عليها.

رباه! هل ستقتلني وتدعي أنني انتحرت؟

\*\*\*

احتفظت عائلة نوتيك بجهاز راديو كبير للهواة تحت طاولة الإفطار في المطبخ. كان ملكاً لديف والوحيد الذي يستخدمه. ولما كان غائباً معظم الوقت، ظلَّ الجهاز بلا فائدة. ذات يوم، انفجرت شيلي في نوبة غضب بسبب شيء فعلته توري، التي كانت في الثامنة آنذاك، ودفعتها بقوة نحو الجهاز.

شعرت توري بالصدمة. كانت تعلم أنه لا يجدر بأمرها فعل ذلك. لم تتخيل قطُّ أن تتصرف بهذه الطريقة، وخصوصاً تجاهها. تحسّست جانب رأسها فوجدته ينزف.

دماء!

شرعت تبكي. وبدلاً من الاعتذار أو مدِّ يد العون، وقفت أمرها بلا حراك وفي عينيها نظرة احتقار تام. صرخت شيلي: "انهضي، أيتها العاهرة!".

ترك الحادث أثراً عميقاً في نفس الفتاة. ومنذ ذلك الحين، كلما أمرتها أمرها بعمل شيء مُحرج أو خاطئ، تذكّرت المرة التي أصابت فيها أمرها رأسها. فهمت أن بوسع أمرها إيذاءها جسدياً إذا أرادت.

\*\*\*

كان صوت شيلي يثير الرعب في قلب ابنتها الصغرى. في بداية البرنامج التلفزيوني "تحديّ الخوف" (Fear Factor)، كانت تدوي

صرخة امرأة مروّعة. وكلما عُرِضَت المقدمة، كانت توري ترتعد فزعًا معتقدةً أن أمها تصرخ في الطابق السفلي بأعلى صوتها، رغم علمها بأنها مجرد مقدمة البرنامج.

فكّرت: يا إلهي! ستعاقبني الليلة!

وجَدَت شيلى استخدامًا جديدًا لإحدى صنارات السمك الخاصة بديف حين أغضبته توري بإخبار صديقتها أنها ضربتها بملعقة خشبية. واجهت والدة الفتاة شيلى بال موضوع في المدرسة، فردت شيلى بضرب ابنتها الصغرى بقوة حتى انكسرت الصنارة.

"أيتها الفتاة النكرة الجاحدة! ليتني لم ألدك!"

غطت خطوط حمراء بشعة أسفل ظهر توري ومؤخرتها. كانت ستذهب للسباحة لاحقًا في ذلك الأسبوع، وقلقت من ظهور هذه الآثار واضطرابها إلى اختلاق عُذر.

قالت لاحقًا: "لكن الآثار اختفت قبل موعد السباحة. تأكّدت أُمي من إخفائها".

وكالعادة، كانت بعض عقوبات شيلى تهدف إلى الإذلال أكثر من الألم الجسدي.

أجبرت شيلى توري على ارتداء الملابس المدرسية نفسها لمدة أسبوع بسبب تراجع درجاتها في الواجبات المدرسية. كانت ترتدي أوفرول متسخًا من الجينز عليه صورة الدب ويني وقميصًا مخطّطًا عليه طائر تويتي، بلا معطف.

قالت توري لاحقًا: "كنتُ أشعر بالبرد الشديد، وكرهتها على ما فعلت. لاحظ الناس الأمر وسألوني عن السبب. أجبتهم بأنني لم أغسل الملابس أو شيء من هذا القبيل. وبعد بضعة أيام توقفتُ عن الرد".

راحت توري تتساءل عمًا إذا كان أحدٌ قد لاحظ سلوكيات أمها حينذاك، واستنتج أن هناك خطبًا ما. مثل أختها سامي، كانت توري لا ترتدي إلا الملابس النظيفة دومًا. لكنها باتت الآن تتجول بالملابس ذاتها كل يوم. هل استراب أحدٌ فيما يجري؟

قالت بعد سنوات: "أعلم أنها تبدو مسألة تافهة. لكنها أرقتني، لأن من الضروري المحافظة على مظهر جيد في المدرسة".

عندما وصلت توري سنَّ البلوغ، بدأت شيلى عادةً جديدة ومُحرّجة للغاية. كانت تستدعي توري إلى غرفة المعيشة مرة واحدة في الشهر.

"تعالى، يا توري. لنرى التقدم الذي أحرزته".

إذا لم تُحب توري على الفور، كانت تسمع صراخ أمها المرعب، المشابه لصراخ المرأة في برنامج "تحديّ الخوف".

قالت شيلى بنبرة أمرٍ: "اخلعي قميصك".

شعرت توري بالحرّج ورفّضت.

استهانت شيلى بمخاوفها، وزعمت أنه إجراء عادي وطبيعي جدًا.

قالت: "يجب أن أرى مدى تطوُّرك، هكذا تفعل الأمهات".

فكرت توري: هذا غير صحيح على الإطلاق.

لم تتحدّث أي صديقة لها عن قيام أمها بأمر مشابه.

"لا أريد، يا أمي".

حدجتها شيلى بنظرة صارمة، تلك النظرة التي تسبق عادة لكلمة أو ضربة بالحزام.

قالت: "افعلي ما أمرك به. أنا أمك وأنت ابنتي. اخلعي قميصك،

يا توري".

"لا أريد، يا أمي".

"لِمَ لا تريدن، يا توري؟ أتظنن أنني منحرفة؟".

كانت توري تعلم أن هذا مأزق لا مخرج منه. مثل جميع المواقف الأخرى. خلعت قميصها ووقفت بلا حراك بينما راحت أمها تتفحصها.

قالت شيلى أخيراً: "حسنًا. يبدو أن الأمور بخير".  
واستمر الأمر لفترة طويلة.

أحيانًا، كانت شيلى تطلب منها خلع سروالها الداخلي أيضًا، لتتمكن من فحص مهبلها.

كان ذلك أسوأ من إظهار صدرها النامي، لكن توري أطاعتها على أي حال. ذات يوم، طلبت منها طلبًا غريبًا ومهينًا.

"أحتاج إلى خصلة من شعر عانتكِ لأضعها في ألبوم ذكريات طفولتك، يا توري".

لم ترغب توري في القيام بذلك. لقد تمادت أمها.

أخيراً، قالت: "هذا جنون! لا أحد يفعل ذلك، يا أمي".

هزّت شيلى كتفيها وبدا عليها خيبة الأمل، وكأنّ رفض توري طلبها قد جرح مشاعرها.

قالت: "شقيقتك فعلتاه من أجلي. لِمَ المبالغة؟".

أجابت: "لستُ أبالغ، يا أمي. مَطْلَبُكِ غريب، ويُشعِرني بعدم الارتياح".

بعد خيبة الأمل وجرح مشاعرها، أصبَحَت الآن في غاية الاستياء.

قالت شيلى: "عدم ارتياح؟! ليس هناك ما يُخجل في جسم الإنسان. وإذا ظننت ذلك، فأنتِ تعانين من مشكلة خطيرة".

ثم ناولتها مقصًا.

سألت توري: "هل فعلت سامي ونيكي هذا أيضًا؟".

أجابت شيلي: "نعم. حتى نيكي المشاغبة فعلته".

أخذت توري المِقْص وذَهبت إلى الحمام، ثم خرَّجت بعد هنيهة بالشعر الذي طلبته أمها. مدَّت يدها وقالت: "تفضلي".

نظرت شيلي مباشرة في عينيها وأخذت تضحك. "لا أريده".

بكت توري وشعرت بالحرَج والإهانة الشديدة.

"ماذا تقصدين؟".

أجابت: "أردتُ فحسب أن أعرف إن كان بوسعي دفعك للقيام بذلك".

شعرت توري بالوحدة التامة. وخلال تلك الفترة راحت تنتظر على أحر من الجمر العطلات الأسبوعية، عند عودة سامي من الجامعة. كانت قد كَفَّت عن تمثيها عودة نيكي؛ فقد زرَعَت أمها في قلبها الخوف والكرهية تجاه أختها الكبرى.

اعتادت أن تخبرها: "إنها مخلوقة كريهة. حمدًا لله على وجودك أنتِ وسامي في حياتي".

لم تكن توري بحاجة للاستفسار منها عن التفاصيل، فقد أسهبت أمها وأفاضت.

"كانت تضربني، يا توري. هل بوسعك تخيل ابنة تضرب أمها؟".

كما شوَّهت شيلي صورة لارا، ووَصفتها بأنها امرأة قاسية وتُلحق الأذى بالآخرين.

زعمت شيلي: "كانت تعاملني بفضاظة في طفولتي".

استوعبت توري الرسالة: شيلي هي أفضل أم في العالم، ونيكي ولارا عدوَّتاها اللدودتان.

## الفصل الثامن والأربعون

كانت العلاقة بين الأخوات الثلاث مزيجًا من الانقطاع والتشابك في آنٍ واحد. كانت سامي، الأخت الوسطى، على اتصال بنيكي وتوري. وفي حين راحت نيكي، التي انشغلت ببناء حياتها المستقلة، تشتاق لأختها الصغرى وتساءل عنها طوال الوقت، لم تكن العلاقة متبادلة. كُفّت توري عن السؤال عن نيكي؛ ما يعني أن سامي لم تكن مضطرةً للكذب على أختها الصغرى والمخاطرة بإثارة غضب أمها، التي بالتأكيد ستعتبر التواصل مع نيكي خيانة كبرى.

حتى بعد انتقال سامي إلى الجامعة، ظلّت سيطرة شيلي عليها قويّةً. سعيها الدؤوب للتحكم في جميع تفاصيل حياة ابنتها الوسطى جلب لها نظرات الاستهجان من زميلاتها في السكن بجامعة إيفرجرين. كانت تتصل بها تقريبًا كل ليلة في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة. وإذا لم تُجب سامي، كانت تشتعل غضبًا وتتصل بمسؤولة السكن أو بكالي حبيب سامي.

أفضل المكالمات كانت تَرِدُ في الثالثة صباحًا.

كانت شيلي تسأل: "أهي برفقتك؟".

وكان كالي يجيب بالنفي، ثم يلتفت إلى سامي بعد إغلاق الخط.

كانا يتبادلان النظرات.

صحيح أن سامي أبرمت اتفاقًا مع أمها، لكن ذلك لم يمنعها من مواجهتها. فكتب لها رسالة من أربع صفحات تلفت نظرها إلى أنها تتذكر كافة تفاصيل ما جرى في منزل آل نوتيك، على عكس ادعاءات والدتها بفقدان الذاكرة حول ما وقع هناك.

"لا يمكنني أن أنسى، ولا أقصد كأي... صحيح أنني كنت أصغر سنًا، لكنني أتذكر ما حدث. وأعتقد أنك نسيت تفاصيل تلك الأحداث وفضلتِ تذكر ما تريدين تذكّره، مثلما فعلتِ في أمور كثيرة. مثل أفعالكِ مع نيكي وشين، والتَّمْرُغُ في الوحل والحمامات الساخنة. لعلكِ نسيتِ كل ذلك. سأقول إنني تلقّيت أفضل معاملة".

بينما ابتعدت نيكي ووضعت أكبر قدر ممكن من المسافة بينها وبين أمها، وبينما كانت توري، حسب علم شقيقتيها، تجهل مدى انحطاطها، واصلت سامي تحدّيها. كان ما حدث في العائلة عبئًا ثقيلًا على الشقيقتين. لكن سامي وجدت طريقة لتخفيف وطأة الأمر بالمزاح والدعابة.

لم تتوقّف عن مواجهة أمها.

"أعرف ما يدور في بيوت الناس. ربما لست مُلمّةً بكل التفاصيل. لكن بوسعي التمييز بين الصواب والخطأ. لقد عشتُ حياتي برُمّتها مُحاطةً بالأكاذيب، وأعلم أن كلامي قد لا يروق لك، لكنه صحيح. أعرف كل الحقائق".

وبينما أخذت سامي تميط اللثام عن ماضيها وأفعال أمها، راحت شيلي تفكّر في وسائل جديدة للسيطرة عليها.  
اتّصلت بها ذات مرة قائلة: "حبيبتي، تمّ تشخيصي بمرض الذئبة، مرض خطير جدًّا".

قالت سامي: "يا إلهي، يا أمي! يُحزّنني سماع تلك الأخبار المؤسفة".

لم تكن سامي تعرف الكثير عن المرض، لكنها كانت على دراية بخطورته. أخبرتها أمها بتفاصيل العلاج المطلوب.

وكان ذلك لم يكن كافيًا، أبلغتها بمشكلة صحية أخرى خطيرة.

أضافت: "لديّ كيس كبير على المبيض، يا عزيزتي، وسأحتاج إلى إجراء عملية جراحية كبرى".

كانت سامي تعتقد أن ادّعاء الإصابة بالسرطان كان مجرد لعبة أخرى من ألعيب أمها أو خدعة. لكنها، لسببٍ لا تعرفه، لم تسترّب في تلك المشكلات الصحية الجديدة.

لكنها كانت محض أكاذيب.

قالت سامي لاحقًا: "من الغريب أن أمي لم تأتِ على ذكر مرض الذئبة بعد ذلك".

\*\*\*

كانت سامي تعلم أن أمها كاذبة، لكنها أرادت دليلاً قاطعًا. واعتزمت تفتيش غرفة نومها أثناء غيابها؛ بحثًا عن أي دليل قد يكشف الحقيقة. كان الأمر أشبه بأنها تقلب الصخور لترى ما قد يزحف من تحتها. وتوخّت الحذر حتى لا تُحدّث أي اضطراب أو خلل، فأمها كانت بارعة في كشف أي تغيير -مهما كان بسيطًا- في

غرفتها. وفي بعض الأحيان، بدا أنها تعرف إذا أَلقت إحدى الفتيات نظرة على شيء هناك.

عثرت سامي على كيس قمامة صغير تحت السرير.  
وعندما نظرت داخله، لم تستطع في البداية تمييز ما تراه.  
تراب؟ قواقع؟

دَقَّقَت النظر وحرَّكت محتويات الكيس باتجاه الضوء.  
كان يحتوي على عظام ورماد.  
عظام بشرية.

استنتجت على الفور أنها عظام كاثي لورينو.  
مَن غيرها قد يكون صاحبها؟

\*\*\*

لم يكن ديف نوتيك قد عاد إلى رايند منذ فترة طويلة لأسباب عديدة بالطبع. فوظيفته كانت بعيدةً بلا شك، وبخلاف بناته، لم يكن هناك ما يدفعه للعودة إلى المنزل. بالتأكيد ليست زوجته. فشيلي راحت تهدِّده بالطلاق مرارًا، ولكن لسبب غير واضح -ربما راتبه المنتظم- لم تنفَّذ تهديدها قطُّ. كان ديف يرسل لها الأموال بانتظام، وبدا أن هذا ما كنت تريده في الواقع.

تلقَى ديف مكاملة من زوجة أبيه الجديدة دفعتته في نهاية المطاف للتفكير بالعودة، حين سألته عن سبب غيابه عن ابنته توري لأكثر من عام.

دافع ديف عن نفسه على الفور، مُتعلِّلاً بأعذارٍ لشيء ليس له مُبرِّرٌ منطقي. ولم يستطع تحديد السبب وراء عدم رغبته في العودة

إلى البيت. لم يكن السبب أن ذلك لا يخطر بباله. كان رئيسه يسأله كل يوم جمعة عن نيّته العودة إلى المنزل، لكنه راح يتهرّب مُتَحَجِّجًا بأنه مطلوب في موقع العمل في اليوم التالي.

قال المدير: "كلام فارغ!".

قال ديف لاحقًا: "لقد قرأ في عيني رغبتني في العودة إلى المنزل".

بعد المكالمة، جلس يفكر لفترة طويلة وفي النهاية، دعا الله أن يساعده.

تذكّر أنه فكّر: يا رب، ألهمني الحل. ساعدني. ماذا أفعل؟

كان مفلسًا ولم يكن لديه سيارة في ذلك الوقت. واستجاب الله لدعواته. قال ديف إن الله أوحى إليه بضرورة الوفاء بعهوده والعودة إلى بيته. أقرضه رئيسه، وهو ربُّ أسرةٍ أيضًا، سيارة كاديلاك قديمة. كانت تستهلك كمية كبيرة من الوقود، لكنها كانت بمثابة إجابة لدعائه.

قال: "كنتُ أنهي العمل الساعة الخامسة مساءً يوم الجمعة. وأواجه زحامًا مرورياً خانقًا. وأقطع المسافة بين مدينتي سيدرو-وولي وأوك هاربر بشاحنة الشركة. ومن هناك أقود كل المسافة عائداً خشية تفويت العبّارات. كنت أسير على الطريق السريع I-5. وأصل إلى المنزل ليلة الجمعة في الواحدة صباحًا. وأجد شيل تنتظرنني على العشاء وتوري مستيقظة أيضًا. كانت الأمور على ما يرام؛ توري سعيدة، وشيل سعيدة، وأنا كذلك".

كانت السعادة بادية على الجميع. أو هكذا حُيِّل له.

إلى أن يغادر المدينة مجددًا.



# الجزء الخامس

## كبش الفداء رون



## الفصل التاسع والأربعون

سمعت سامي عن رون وودورث لأول مرة عندما اتّصلت بها أمها في سكنها الجامعي وذكّرت لها "صديقًا جديدًا" يساعد امرأة مُسنّة تمتلك عشرات القطط وكانت على وشك الإخلاء من منزلها في حي ريفرفيو بالقرب من الحرم الجامعي لكلية جرايز هاربر المجتمعية. كانت شيلي قد حصلت أخيراً على وظيفة أخصائية اجتماعية في وكالة خدمات المسنّين في منطقة أوليمبك برايمند. والتقت برون من خلال منظمة هابيتات فور هيومانيتي أثناء العمل على قضية المرأة صاحبة القطط.

"أحضرت كل أغراضها إلى مبنى الأعمدة. وطلبت منها الانتقال للعيش معنا، لكنها فضّلت الحصول على مسكن خاص بها".  
فكّرت سامي: حمداً لله. شعرت بارتياح كبير. لم تكن تريد أن ينتقل أحدٌ للعيش مع أمها.

أردفت شيلي: "ساعدها رون على العثور على منازل جديدة لمعظم قططها. كان لديها ثمانون قطة تقريباً".

رأت سامي أن وجود ثمانين قطة في منزل صغير كانت فكرة مقرزة للغاية.

قالت: "يبدو رون رجلاً طيباً".

قالت: "نعم، إنه يحب القطط".

امتلك رون أيضاً عددًا لا بأس به من القطط. وسرعان ما شرعت توري تتردد على مقطوره بعد المدرسة، ولاحظت الفوضى التي تحدثها القطط في المكان. كانت الرائحة كريهة، لكن رون، كحال الذين يقتنون أعدادًا ضخمة من القطط، لم يلحظها البتة.

لم يكن رجلاً ضخم البنية، ولكن عندما قابلت سامي رون وودورث لأول مرة لاحقًا بعد فترة وجيزة، لاحظت بطنه الكبير نسبيًا الذي كان يتدلى فوق حزامه كحقيبة خصر جلدية. كان شعره منحسراً في المقدمة، ولكنه ترك بقيته طويلاً وجمعه في ذيل حصان وربطه بشريط مطاطي. وكان يرتدي الأقراط والحلي الأخرى، وبدا فخورًا بمظهره. كان محررًا سابقًا في الصحيفة المحلية ومقدم رعاية مرخص. لكنه كان عاطلاً عن العمل آنذاك ويمر بظروف حرجة.

كان سريع البديهة ويتمتع بحس ساخر، وأعجبت به سامي على الفور.

خلال زيارتها بعد المدرسة إلى مقطورة رون، تصفحت توري كتبه عن علم المصريات، شغفه الأكبر، وتناقشا في آلهة تلك الحقبة وأساطيرها. كان مفتونًا بذلك العالم أكثر من أي شيء آخر. وأخبرها بأهمية الحياة الدنيا ودور الحياة الآخرة.

لاحقًا، عندما أصرت أمها على أن رون ربما كان لديه ميول انتحارية، استعادت توري ذكريات تلك الزيارات.

قالت: "لن يُقدِّم على ذلك أبدًا".

شيًا فشيئًا أحبَّت توري رون. كان يسمح لها أحيانًا بالفوز في لعبة الورق أو الداما. وبدأت تدعوه العم رون. اعتبرته صديقها، بل وتمنَّت أن يكون حليفها، رغم أنها لم تُصرِّح بذلك.

\*\*\*

تبع رون وودورث جاري نيلسن، شريكه لمدة سبعة عشر عامًا، إلى ساوث بيند في أواخر صيف عام 1992. وكانت شقيقة جاري مقيمة بالمنطقة بالفعل. وفي عام 1995، انتقل والدا رون، كاثرين وويليام، من كاليفورنيا إلى الساحل بإلحاح من رون؛ نظرًا لسوء حالة والده الصحية آنذاك.

في الواقع، كان الانتقال إلى مقاطعة باسيفيك بمثابة بداية جديدة لرون وجاري، اللذين واجها بعض الضغوط والتوتر في علاقتهما. وفي الحقيقة، عندما طرح جاري موضوع الانتقال، أخبر رون أنه لا يوجد خيارات أخرى وعليه التفكير في المسألة. ولم يساور رون أي تردُّد؛ فقد كان جاري حُبَّ حياته ولم يكن ليتخلى عنه.

لكن بعد وفاة والده في يونيو 1996، تغيَّر سلوك رون بشكل جذري. فجأة، لم يُعد قادرًا على الحفاظ على وظيفته كمقدِّم رعاية أو حتى مواصلة محادثة من دون تشتُّت. وبعد أن كان شخصًا اجتماعيًا طوال حياته، أصبح فجأة مكتئبًا ومنطويًا على نفسه. ورغم تعاطف جاري مع خسارة شريكه، إلا أنه لم يُعد يحتمل العيش مع رون، وبحلول عام 1997، أدرك أن العلاقة قد انتهت.

لم يتقبل رون الانفصال بسهولة. كان في حالة حزن وعدوانية. وعندما عاد جاري إلى مقطورتها في أحد الأيام بعد العمل بعد فترة

قصيرة من انفصالهما، وجد أن الأقفال قد تمَّ تغييرها ورفض رون السماح له بالدخول.

قال جاري لاحقًا: "لقد أراد أن يساومني على ممتلكاتي. وأخبرته أنه إذا كان مُصرًّا عليها، فبوسعه الاحتفاظ بها".

في اليوم التالي، عاد جاري لاسترجاع بعض الأغراض التي احتفظ بها رون في مخزنٍ بغرض تسليمها. ولم يتحدثا مجددًا، لا وجهًا لوجه ولا حتى عبر الهاتف. وبعد شهر، أرسل رون رسالة إلى حبيبه السابق يخبره فيها بأنه ووالدته لا يريدان رؤيته مجددًا.

بعد انفصاله المفاجئ، بدأ انحدار رون وودورث المتزايد يثير قلق دائرة أصدقائه الصغيرة. كانت ساندربراودريك واحدة من صديقاته، والتي عرّفت رون منذ عملهما في قسم الإمدادات بقاعدة ماكلاين الجوية في ساكرامنتو، كاليفورنيا، في بداية التسعينيات. بعد انتقال رون إلى شمال غرب المحيط الهادئ، لحقت به ساندربرا في النهاية. وساهم تقاربهما جغرافيًا في الحفاظ على صداقتهما، ولكن كانت بينهما مودة حقيقية أيضًا.

ورغم أن رون أطلق بعض التهديدات الضمنية بعد الانفصال مشيرًا إلى أنه "لا يجد لحياته معنى"، فإنه لم يهدّد صراحة بالانتحار. كما أن ساندربرا اعتقدت، مثل توري، أن إيمان رون الراسخ بالتقاليد المصرية القديمة تمنعه من التفكير في الانتحار، مهما ساءت الأحوال.

ومع ذلك، بحلول عام 1999، لاحظت ساندربرا أن رون لا يزال يعاني من المشكلات، فعرضت عليه وعلى والدته الانتقال إلى منزلها المكُون من خمس غرف في تاكوما. أبدى رون اهتمامًا بالعرض وحتى زار المنزل لمعاينته. ومع ذلك، أخبر ساندربرا أنه يفضل البقاء في مكانه الحالي، لكنه لن يمكث في رايمند أو ساوث بيند. كان جاري يعيش في أبردين، ولم يرغب رون في لقائه مصادفة في المدينة. أخبر ساندربرا

أنه يتوقَّع الانتقال للعيش مع صديقيه شيلي وديف نوتيك، واللذين أخبراه أنهما سيشتريان منزلًا في أوك هاربر.

ولكن، بحلول يوليو عام 2000، لم يكن هناك منزل بعد في أوك هاربر، وتلقَّت ساندرًا مرة أخرى اتصالًا من صديقها العسكري. أخبرها رون أنه يعاني من ضائقة مالية، وبحاجة إلى المال لسداد الإيجار المتأخَّر لمساحته في متنزه المقطورات في ويلبا. أعطته 500 دولارًا حتى لا يصبح بلا مأوى.

لاحقًا، سمعت من صديق آخر أن رون اقترض 2000 دولارًا لتوظيف محامٍ في سعيه المستمر لمنع فقدان منزله المنتقل. اتَّصلت به فور علمها بالخبر.

تصرَّف رون وكأن الأمور تحت السيطرة.

قالت لاحقًا: "أخبرني أنه أعطى شيلي نوتيك 1000 دولارًا لتوكيل محامٍ".

داخل الشك ساندرًا، فسألت رون عن اسم المحامي.

"أخبرني أنه سيحصل على الاسم من شيلي لأنها هي التي وكَّلته. ولم أعرف أبدًا ما إذا كان قد تمَّ توكيل محامٍ أم لا".

بعد فترة وجيزة، سافرت ساندرًا إلى رايمند لزيارة رون وأمه في مقطورتها في متنزه تيمبرلاند للمركبات الترفيهية.

وبشكل غير متوقَّع، حضرت شيلي أيضًا وانتهت الزيارة تدريجيًا.

من خبروا شيلي أشاروا لاحقًا إلى ميلها إلى تأكيد سُلطتها على ممتلكاتها.



## الفصل الخمسون

شعر رون بأن الأوان قد فات لإعادة بناء حياته بعدما بلغ منتصف الخمسينات من عمره. فقد خسر منزله ووالده وشريك حياته. كما كان على خلافٍ مع والدته التي عاش معها بعد الحجز على المقطورة عام 1999. والأسوأ من ذلك أنه فقد قططه. أخبرت شيلي توري أنها ستستضيف رون للعيش معهما، ولمساعدته على النهوض مجددًا من كبوته. ولم تكن توري تعرف أن هذه العبارة تحديداً استخدمتها شيلي من قبل لإقناع ديف باستضافة كاثي لورينو في منزلهما.

قالت شيلي لديف عن كاثي: "لمساعدتها، وستساعدنا في الوقت نفسه".

رحَّبت شيلي برون وأعدَّت له غرفة سامي القديمة وجَهَّزتها بسرير ودولاب ومنضدة جانبية مزوَّدة بمصباح. جلب معه بعض كتبه وأغراضه الشخصية التي تمكَّن من جمعها من منزل والدته.

لم يكن لدى ديف معلومات كثيرة عن رون وودورث. وحتى لو كان قد سمع عنه، كان الحديث يدخل من إحدى أذنيه ويخرج من الأخرى. وكان هناك سبب وجيه لذلك. كان لا يزال يعمل في أوك هاربر في جزيرة ويدي وغاب عن المنزل معظم الوقت؛ لذا فاته كل ما يحدث هناك. ولم يكتشف انتقال رون للعيش معهما إلا عندما عاد إلى منزل مونهون لاندنينج ذات يوم.

بدأت شيلي لطيفة ومتحمسةً عندما قدّمته.

قالت: "أعرفك بصديقي رون"، وأردفت بسرعة: "إنه مثلي". طرد من منزله وسيعمل هنا في الجوار".

في الواقع، لم يكثر ديف البثّة. حتى لو كان رون مهتمًا بشيلي لم يكن ليعبأ. بل كان يُفضّل ذلك في الحقيقة. أراد ديف الرحيل؛ لم يُعدّ يحتمل ضغط العيش مع شيلي وكل الأكاذيب التي يضطرّان لنسجها. والأسرار التي كانا يخفيانها.

اعترف لاحقًا: "كنت أنتظر أن تكبر توري لأرحل. كان عليّ الصبر لثلاث أو أربع سنوات فحسب ثم أرحل".

واصلت شيلي القول إن رون قد اعتنى بتوري عدّة مرات وأنه مخلص وجدير بالثقة.

تصافح الرجلان. كان رون رجلًا قصير القامة يرتدي نظارة سميقة. كان لديه ثقب في أذنيه ويضع عدة قلائد ذهبية حول رقبته، منها قلادة عنخ.

قال ديف: "بدأ لطيفًا. كل ما أردته هو الابتعاد عن الضغوط. لكنني لم أتمكن من المغادرة في الوقت المناسب".

\*\*\*

تردّدت الكلمة في ذهن سامي حين سمعت أن رون قد انتقل للعيش مع أمها وأختها. فكّرت: هذا ليس ملائمًا. لكنها لم تبُح بشكوكها كدأبها. كانت تمتلك الذكاء الكافي لرؤية الحقيقة، لكن غريزة البقاء دفعتها لتجاهل كل شيء.

طمأنت نفسها أنه بغضّ النظر عن كل ما تعرفه عن أمها، من المستحيل تكرار الماضي. كانت قد رأت بعينها كيف تعاملت أمها مع كاثي ووالدها وغيرهم. لم تكن شيلى تهتمُّ بأحد سوى نفسها، وكانت متعطّشةً لتكون دومًا محطّ الاهتمام وبيدها مقاليد الأمور، وكأن الجميع موجودون لخدمتها فقط. صحيح أن شيلى كانت مسيطرة، لكن رون له شخصية مستقلة. كان مختلفًا عن كاثي وديف. كانت واثقة من قدرته على مواجهة الأمور بمفرده.

لم تستمر تلك الفكرة، تلك الرغبة، تلك الأمنية طويلًا. فسرعان ما تبدّت علامات تشي بخطأ تقديرها.

في زيارتها الأولى للمنزل آنذاك، كان رون وأمها "سمنًا على عسل"، كما وصفتهما سامي لاحقًا. ومع ذلك، لاحظت أن رون يطيع شيلى وينفذ كافة طلباتها.

كان ردّه المعتاد على طلباتها: "نعم، عزيزتي شيلى".

كانت شيلى إمّا تعانقه بشدة وتشكره على لطفه معها، وإما تنتقده لعدم القيام بشيء تريده، بنبرة لطيفة تشبه تلك التي تستخدمها الأم لتوبيخ طفلها الذي لم يفهم المطلوب أو أهمية إنجازه. أثناء العشاء، كانت تدعوه إلى المائدة.

"تعال لتناول العشاء، يا رون!".

كان يقول: "أوه، يبدو شهياً، عزيزتي شيلى".

لم يكن يهتمُ بنوع الطعام، فكلُّ ما تقدَّمه شيلي يراه وجبة فاخرة أعدَّتْها بحرفية.

وسرعان ما فتر الترحيب الحار الذي أظهرته شيلي في البداية.

إبَّان الأسبوع الثاني تقريبًا من وجوده هناك، شرعت الأمور تتغير. ولاحظت توري أن رون بدأ يُزعج أمها.

قالت له بحدَّة: "رأيتك تشيح بعينيك متذمَّرًا، لا يعجبني هذا السلوك مطلقًا".

قال: "المعذرة، عزيزتي شيلي".

قالت: "هل قصدت إهانتي بتلك النبرة؟".

انكمش رون خائفًا وأجاب: "آسف، عزيزتي".

سرعان ما بدأت شيلي تسيء إليه بالقول.

كان الأمر صادمًا وقاسيًا. ولم تصدِّق توري أن أمها تتحدث مع صديقتها بتلك الطريقة.

قالت شيلي: "لا أريد أن يتحدث معي شادُّ عديم الفائدة مثلك. أنت تثير اشمئزازي، يا رون. اغرُب عن وجهي وابتعد عن ابنتي الصغيرة. أنت شخص سيئ التأثير".

ثمَّ ازداد الأمر سوءًا.

وتفاقم الوضع.

والحقيقة أن الحياة أصبحت أسهل بالنسبة لتوري بعد انتقال رون للعيش معهما. فرعان ما انصرف انتباه أمها إلى العضو الجديد في الأسرة في منزل مونهون لاندنينج. وبعد أن كانت توري هادفًا لعقوبات أمها جرَّاء أي هفوة بسيطة، بات رون هو الضحية الآن.

"كانت ترمقه بنظرة مُرعبة ثم تضربه أو تأخذه إلى خارج المنزل، ولا أعرف ما يحدث لأنها كانت تأمرني بالصعود إلى غرفتي".

تكرّر هذا السيناريو كل يومًا وليلة.

لم يُعد يُسمح لرون بتناول الطعام مع توري وأمها. كانت شيلي تقدّم له الخبز المحمص والماء، وتُعطيه حفنة من الأقراص مرتين يوميًا.

سألته توري مرارًا: "ما هذه الأقراص التي تعطينها له باستمرار؟".

أجابت شيلي: "أقراص منومة لتهدئته".

تغيّر رون فورًا بعد أن شرعت شيلي تعامله بقسوة وتعطيه الأدوية.

قالت توري متذكّرة: "كان رون من أذكى الأشخاص الذين عرفتهم، لكنه تحوّل إلى شخص آخر تمامًا بعد العيش معنا كأنه غير موجود".

\*\*\*

طردت شيلي رون من غرفة نومه بالطابق العلوي بشكل مفاجئ وسريع، مثلما يسحب الساحر مفرش المائدة من تحت الأطباق. وسلبته معظم أغراضه وأمرته بالنوم على أرضية غرفة الكمبيوتر. والغريب أن رون لم يقاوم أوامرهما. صار غائبًا عن المنزل معظم الوقت؛ إذ كلّفته بأعمال منزلية كثيرة، وأخذ يقضي معظم وقته في الفناء.

ثم لجأت شيلي إلى خطوة أخرى؛ حرمانه من استخدام المراض. أخبرته أنه يحتاج إلى إذنها لاستخدامه. ولما كانت غرفته في الطابق العلوي والحمام والأريكة التي تحتلّها طوال الليل في الطابق السفلي، فلم يجد مناصًا من طلب الإذن.

كان يسألها: "شيلي عزيزتي، هل يمكنني استخدام المراض؟".

وكانت تردُّ فوراً بالنفي.

مرة أخرى، كان الأمر أشبه بساحر يسحب شيئاً في غمضة عين.

قالت: "لا تستخدم المرحاض الموجود داخل المنزل".

سألها: "أين أذهب إذن، يا عزيزتي؟".

أجابت: "اقضِ حاجتك بالخارج. لن أسمح لمثلي باستخدام حمامي".

وهكذا كان الحال.

عندما يضطرُّ رون إلى التبول ليلاً، كان يبول في زجاجة منظف  
الزجاج ويحاول إخفاءها طيلة اليوم.

في صباح أحد الأيام، كانت توري تستخدم الكمبيوتر، ولم يكن رون  
قد خرج بعدُ للقيام بالمهام المنزلية. وقعت عيناها على زجاجة بوله،  
ولاحظ أنها رأت ذلك. فكَّرت متسائلةً لِم لا يكون أكثر ذكاءً؟ فشيلي  
ستجدها -وهو أمر لا شك فيه- وستعاقبه. لماذا يعصي أوامر أمي؟  
إنه يعرف ما سيحدث له. أغضبها جدًّا ما فعله.

قالت توري لأمها: "لِمَ تواصلِ فعلَ ذلك؟".

بدا رون مرتبكًا، وأجاب: "أنا آسف، يا توري، آسف".

لاحقًا، ستتذكَّر توري ذلك الموقف وستندم بشدَّة. بدت قاسية،  
لكنها لم تقصد ذلك. كانت تخشى عليه من صراخ أمها وضربها.

ورغم أنها لم تخبر رون، فإن توري فعلت الشيء نفسه. خشيت  
أن يوقظ أمها صوت خطواتها على الدرج في منتصف الليل، وتعرض  
نفسها لنوبة غضبها؛ لذا كانت تبول في وعاء أيضًا، ثم تتخلَّص منه  
من نافذتها في الصباح.

تمنَّت لو كان رون أكثر حذرًا.

\*\*\*

كانت شيلي تسأل ابنتها الصغرى بين الحين والآخر إن كانت تتذكّر كاثي. صحيح أن توري قد رأت صوراً لها مع كاثي حين كانت طفلة رضيعة، وتعلم أنها كانت جزءاً من حياتها، لكنها لم تتبيّن دورها في العائلة. كما لم تفهم سبب إصرار أمها على الإتيان على ذكرها.

"هل سألكِ أحد عن كاثي؟"

"كلّاً، يا أمي."

"أحدهم في المدرسة؟ أحد الجيران؟"

هزّت توري رأسها بالنفي.

"لا أحد. أقسم."



## الفصل الحادي والخمسون

تعجّب موظّفو وكالة أولمبيك لخدمات رعاية المسنّين من كيفية تمكّن شيلي نوتيك من الحصول على وظيفة أخصائية اجتماعية والاحتفاظ بها، بالنظر إلى سلوكها المتمرّد والمتقلّب. فكيف يمكن أن تكون أخصائية اجتماعية؟ كانت تعامل العملاء بأسلوب غير ملائم، فتنقل بين المبالغة في الاهتمام واللامبالاة. وفي أوائل ديسمبر عام 2000، كتب مديرها تقريراً ضدها بسبب واقعتين؛ الأولى إقناعها إحدى العميلات بالتوقّف عن تناول دوائها؛ ما أثار قلق بعض الموظفين من أن يؤدي تدخّل شيلي في تعليمات الأطباء إلى نتائج لا تُحمد عقباه. والثانية تضمّنت شكوى تقدّمت بها عميلة ذات دخل منخفض سرقت شيلي منها مفرشاً يدويّاً ثميناً. زعمت شيلي أن المفروش هدية لها نظير مساعدتها للعميلة على الانتقال إلى سكن جديد بعد طردها، لكن العميلة نفت ذلك.

شرعت شيلي تكذب بلا موارد على زملائها في العمل. بدأت بأكاذيب صغيرة ثم تطوّرت إلى أكاذيب أكبر مع مرور الوقت. زوّرت ساعات عمل إضافية، واعتادت التأخر عن العمل، مُدّعية أحيانًا أنها كانت تزور بعض العملاء، رغم أن موظفي الوكالة لم يجدوا مبررًا لإجراء الأخصائي الاجتماعي مثل هذه الزيارات المبتكرة. وأخبرت إحدى زميلاتها أنها أرسلت بطاقات عيد الميلاد الخاصة بالوكالة، ولكن لم يتلقها أحد.

عندما حان موعد الحفل الذي تقيمه الشركة في عيد الميلاد في أبردين، زعمت شيلي عدم علمها به. وبرغم انعقاده خلال ساعات العمل، ادّعت عدم قدرتها على الحضور بسبب ارتباطها بديف. كما ثبت استماعها للمكالمات الهاتفية الواردة للمكتب من منزلها وحذفها من دون إبلاغ المعنيين.

خلال اجتماع تقييم الأداء في أواخر يناير 2001، أقرت شيلي بضرورة تحسين أدائها ووعدت بأن تكون موظفة متفوقة، لكن أداءها استمر في التراجع خلال الأشهر التالية.

كتب المدير عن مشاعر إحدى الزميلات:

"لا يمكنها الوثوق بميشيل. قالت إن ميشيل تكذب وتراجع عن أقوالها. تشعر بأنها فقدت مصداقيتها بين الناس".

عندما رفض أحد الزملاء إخبار شيلي بتاريخ ميلاده، اتّصلت بزوجته في المنزل لمعرفة التاريخ من دون علمه. ثم حوّلت موعد غداء مُعدًا مسبقًا إلى حفلة عيد ميلاد مفاجئة، وأحضرت الكعكة والبالونات.

دعت الجميع عدا إحدى الزميلات كانت قد انتقدت أداءها السيئ. كانت ضربة قاسية إذ كانتا صديقتين، ولم يكن لدى شيلي كثير من الصديقات في المدينة. كانت خيانة مؤلمة. وأخبرت الآخرين أنها أحبّت تلك المرأة ذات يوم، وأن أطفالهما كانوا يلعبون معًا.

لم تُبدِ شيلى أي اهتمام، بل شعرت بالإهانة وقررت الانتقام. وأشارت إلى أن المرء لا يمكنه التنبؤ أحياناً بما سيفعله الآخرون في سبيل تحقيق أهدافهم.

بعد تقييم الأداء السلبي الذي تلقته شيلى في 20 يناير 2001، كتب رون وودورث خطاباً إلى مديرها يثني فيه على رعايتها لوالدته. وكان الجزء الأول من رسالة الشكر المتميزة موجّهاً إلى مدير شيلى، ويشيد بمساعدته وكرمه أخلاقه. بيّد أن أبرز كلمات الدعم من رون كانت تتعلّق بشيلى.

رأى فيها شخصاً استثنائياً.

"معظم الموظفين الحكوميين يكتفون بأداء الحد الأدنى من العمل المطلوب للحفاظ على وظائفهم، ولا يزيدون عن ذلك، وهو أمر مؤسف! وبالتأكيد ليس بالتصرف الصحيح! لكن السيدة نوتيك تختلف، فهي تؤمن بأن الموظف الحقيقي عليه أن يبذل جهداً إضافياً لمساعدة العملاء في التغلب على مشكلاتهم العديدة. لقد سمعت قصصاً حول تفاني السيدة نوتيك في مساعدة الناس في مدينة رايمند. لقد ساعدت السيدة نوتيك والدي عندما اصطدمت سيارة أحد الزوّار بحافة منزلها المتنقل من غير قصد".

وقّع باسمه ثم زور توقيع والدته.

كانت محاولة لا بأس بها، لكنها يائسة وتأخّرت كثيراً. ففي 27 مارس 2001، تلقّت شيلى إنذاراً كتابياً لتحسين أدائها وإلا ستواجه الفصل. تناقّشت مع مديرها بشأن نقاط الإنذار، لكن ما لبثت أن اعترفت بأن البنود تعكس بإنصافٍ ما كان يجري. ومع ذلك، لم يتغير سلوكها ولم يتحسن أدائها بعد هذا الاجتماع.

"م. ن. تتصرّف بشكل عدواني ودفاعي. وأخبرتني أنها لا تريد أن يتمّ الضغط عليها مجدداً".

في ربيع ذلك العام، تلقى المكتب عدة مكالمات أشادت بشيلي وعملها المتميز بشكل لافت للنظر. وكان الموظفون على يقين أنها من تدبير شيلي لتنقذ وظيفتها. وباءت المحاولة بالفشل.

في 9 مايو 2001، قرّر مديرها وضعها تحت المراقبة من دون سابق إنذار؛ ما أدّى إلى ارتفاع ضغط دمها كما زعمت. وكدابها، اعتزّضت على كل بنود الإنذار الكتابي، وأصرّت على الطعن فيه. كتب مديرها عن اللقاء:

"قالت إنني لا أحبها، وأنني قاسٍ، وشبّهتني بضابط شرطة. بكت وأخبرتني أن ضغط دمها كان 180 على 120، وأنها منفصلة عن زوجها وتحتاج إلى الوظيفة".

بعد بضعة أسابيع، تدهور سلوك شيلي أكثر. أصبح المكتب بيئة عملٍ عدائية. وصارت أكثر تقلّبًا، ولكنها في الوقت نفسه وعدت بتحسين أسلوب عملها.

كتب مديرها: "قالت م. ن. إنها تتعرّض للاضطهاد، وأنني لا أستمع إليها، وأنها مُراقَبة".

خلال تلك الفترة، استفسر منها مديرها عن المكالمات الهاتفية المجهولة التي تتضمّن شكاوى ضد موظفٍ آخر. سألتها: "هل رون وودورث صديقك؟".

أجابت بتردّدٍ: "كلّا".

لم يخبر المدير شيلي بأن جميع المكالمات الواردة عبر الرقم المجاني 800 كانت من رون. كما لم يذكر لها أن الموظفة التي سجّلت الشكوى قالت إن ابنة شيلي توري تناديه العم رون، وأنه ادّعى في عام 1998 أن شيلي أخته. ولم يُشر كذلك إلى لافتة "موقف سيارات العم رون" التي رآها أحد الزملاء عند منزل شيلي.

أبلغ المدير شيلي بالشكاوى، لكن من دون تحديد طبيعتها بوضوح. ولم يذكر لها أن إحدى زميلاتها تشعر بعدم الأمان بسبب المكالمات؛ ما دفعها لقفل مكتبها خلال النهار خوفاً على وظيفتها وملفاتها وسمعتها.

تردّدت شيلي قبل الرد.

قالت: "لم يأتِ رون إلى هنا". ثم غيرت كلامها قائلة: "لم يأتِ رون إلى هنا منذ فترة طويلة".

في الساعة الثالثة والنصف فجراً من يوم 31 مايو، تركت شيلي رسالة صوتية على جهاز الرد الآلي تفيد بوجود ظرف عائلي طارئ وعدم تمكّنها من الحضور. كانت بداية نهاية مسيرتها الوظيفية.

بعد أقل من ثلاثة أسابيع، في 19 يونيو 2001، دفعت وكالة أولمبيك لشيلي مبلغاً قدره 4849 دولاراً وبعض السنتات؛ تعويضاً عن إنهاء خدمتها. وفي مفارقة غريبة، تمّ فصلها أيضاً من فريق مكتب الصحة والسلامة الذي كانت عضوةً "مميّزة" فيه. ولم تتقبّل شيلي الخبر بصدر رحب، وغادرت المكتب في حالة سخط شديد.

في صباح ذلك اليوم، مرّت شيلي ورون أمام نوافذ المكتب، ورفع رون إصبعه الوسطى للموظفة التي أصرت شيلي على أنها تُكنُّ لها العدا.



## الفصل الثاني والخمسون

في صيف عام 2001، انتقلت صديقة رون، ساندر براودريك، من منطقة تاكوما إلى كوباليس بيتش على ساحل واشنطن، والتي تبعد أكثر من ساعة من رايمند. كانت ساندر ترغب في استئناف علاقتها برون الذي كان يقيم عند عائلة نوتيك. اتّصَلت به عدة مرات، لكن شيلى أخبرتها في كل مرة أنه في الفناء، أو أنه خارج المنزل. لم يرد عليها قَطُّ.

كان الأمر مرهقًا ومقلقًا في الوقت نفسه.

حين رَدَّت شيلى في المرة التالية، أخبرت ساندر براود أنها لا تعرف مكان رون، فألحَّت ساندر، وقد سئمت ممّا ظنّته لعبة.

"أخبريه أن من الضرورة الاتصال بي في أقرب وقت ممكن وإلا سأتصل بالشرطة، يا شيلى. أقسم أنني سأتصل بهم. لست أمزح".

رَدَّت شيلى: "حسنًا، لا أعرف مكانه".

قالت ساندرّا: "سأقدّم بلاغًا للشرطة عن شخص مفقود، وسيأتون إلى منزلك".

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة، رنَّ هاتف ساندرّا. كان رون المتصل. بدا متوترًا ومضطربًا، وأخبرها أن مشكلاته المالية قد تفاقمت، وأن ثمة أزمات قانونية أيضًا.

قال لها: "إنني مختبئ من الشرطة. أمكث في عُلَيَّة منزل شيلي. لقد صدّرت مذكرة توقيفٍ بحقي".

سمعت ساندرّا صوتًا. كان هناك شخص يتنفس في السماعة.

قالت: "شيلي! أعلم أنك على الطرف الآخر. أغلقي الخط الآن!".

انقطع الخط فجأة.

شعرت ساندرّا بالغضب لكنها عزمّت على مساعدة رون، فعرضت عليه العمل في مطعمها الذي كانت تملكه آنذاك.

"وبوسعك أن تسكن معي".

رفض رون العرض بشكل قاطع.

قال: "لا، شيلي تساعدني في البحث عن وظيفة جديدة. سأقوم بالاعتناء بأحد المنازل في سياتل".

تحدّثًا قليلًا، لكن المكاملة -وعرض المساعدة- لم يؤتيا ثمارهما.

ساور ساندرّا القلق ولكنها لم تدر كيف تتصرّف. كان رون رجلًا بالغًا، وادّعى أنه يواجه مشكلة مع الشرطة، ولم يكن بوسعها فعل المزيد.

بعد أسبوع، اتّصلت شيلي.

قالت: "إنك تضايقين رون. لستِ بالصديقة الجيدة. ابتعدي عن حياة رون، يا ساندرّا".

ردت ساندرا: "لن أفعل. رون بحاجة إلى مَنْ يعتني به. وأنتِ لا تهتمين به، يا شيلي".  
ثم انقطع الخط.

بلا ريب، كانت ساندرا على حق. راحت أحوال رون تتدهور باستمرار. لم يخبرها أنه تجاوز الحدود في محاولته لإثبات أن شيلي كانت أفضل مقدم رعاية في العالم. في الواقع، في صيف ذلك العام، أرسل محام من مكتب محاماة في سياتل، يمثّل وكالة أولمبيك لخدمات رعاية المسنّين، رسالة لنصحه بالابتعاد عن مقر الوكالة في رايند لأن الموظفين هناك يشعرون بالانزعاج وعدم الأمان. وتمّ إخطاره أيضًا بأنه لن يُسمح بأي اتصال، سواء كان كتابيًا أو هاتفيًا.  
"سيصل الموظفون بالشرطة ويطلبون اعتقالك بتهمة دخول الممتلكات من دون إذن".

منذ دخول شيلي نوتيك إلى حياته، بات عالم رون الآن حُفرةً سوداء طافحة بالمشكلات المالية والقانونية والعائلية. وراحت شيلي تصبُّ الزيت على النار وتشعل الأوضاع.



## الفصل الثالث والخمسون

في سِنِّ السادسة والخمسين، كان رون منهكًا ومحطَّمًا بسبب تصاعد الخلاف بينه وبين والدته كاثرين وودورث.

وكما تبَيَّن، ستزيد صديقته الجديدة شيلى نوتيك من تفاقُم الأوضاع.

كانت كاثرين قد اشتكت لأقاربها من أن رعاية ابنها دون المستوى المطلوب. انتاب رون الغضب. وحرَّضته شيلى مُدَّعيةً أنه تمَّ إبلاغ السلطات بإهماله لوالدته. وأضافت أن ذلك سيُخرجه ويضُرُّ بسُمعته في المدينة. وقبل حتى تقديم أي اتهام رسمي، أقنعتة بضرورة إعداد ردِّ.

بمساعدة شيلى التي كانت تراقبه من كثب، أعدَّ رون قائمة تفصيلية تفنَّد ما اعتبره اتهامات باطلة بحقِّه كابن. وكانت أبرز الشكاوى تدور حول نظافة مقطورة والدته، وخاصةً انتشار البراغيث التي صرَّحت والدته لإحدى وكالات الإبلاغ أنها بسبب ققط رون.

"حرصتُ على إبقاء منزلها وفقاً لمعاييرها. متى طلبت مني أمي تنظيف المنزل، كنتُ أنظفه بلا تردد. وكانت قططي حيوانات منزلية لم تخرج قطُّ للشارع، ولم تكن مصابة بالبراغيث عندما نقلتها إلى منزلها".

عزaron انتشار البراغيث إلى كلاب الجيران، سواء تلك التي تعيش خارج البيوت أو داخلها.

"عندما غادرتُ منزل أمي في أواخر سبتمبر 2000، لم تكن مصابة إلا بلدغات قليلة جداً من البراغيث. وقد ظهرت شكاواها حول الإصابة المفاجئة بالبراغيث بعد مغادرتي وقبل أن تطرد قططي من منزلها بشكل تعسفي".

\*\*\*

راحت شيلي تبذل قصارى جهدها لإحداث شرخ عميق بين رون وبقية أفراد عائلته، من وراء ظهره. مثلما سبق أن فعلت مع كاثيرين وديف أيضاً. حتى إنها كانت تستلذُّ بتقمُّص دور الجَلاد والمنقذ لرون في آنٍ واحد. وتقرَّبَت من كاثيرين وأشعلت نار الفتنة بين رون وعائلته في ميتشجن. واتَّصلت بهم، متظاهرةً بالأسى على حاله، ومدعيةً أن همَّها الأكبر حماية كاثيرين.

قالت لچيف وودورث، شقيق رون الأصغر، خلال إحدى المكالمات العديدة التي أجرتها من دون علم رون: "فقدتُ أمي حين كنت في الثانية من عمري"، وهي مبالغة إذ توفيت شارون عندما كانت شيلي في الثالثة عشرة. وأضافت: "والدتك بمثابة الأم التي حرمتُ منها".

وأضافت أن زوجها ديف يعشق كاثيرين أيضاً.

"أعدتُ له فطيرةً احتفالاً بعيد ميلاده، وأعجبته كثيراً".

أصرت شيلي على بقاء رون معهما حتى يقف على قدميه.

قال چيف متذكراً: "وفي مقابل إقامته هناك، طلبت منه صراحةً القيام ببعض المهام؛ إطعام الكلاب والقطط والحصان. لم تكن مهام شاقّة".

لاحقاً، اشتكى رون من واجباته في منزل آل نوتيك في رسائل إلى عائلته. وأخبرت شيلي، بدورها، عائلة رون أنها أعطت رون ذات يوم تعليمات محدّدة بترك قطيتها خارج المنزل خلال غيابها. وعندما عادت إلى المنزل بعد اصطحاب سامي، فوجئت حين رآته قد خالف أوامرها.

قالت: "طلبْتُ منك تركهما بالخارج".

أجاب رون بصوتٍ مرتفع: "لا بأس. إنني أراقبهما".

غضبت شيلي وأخبرته أنها لا تريد القطتين في المنزل بسبب ببغائها.

ردّ رون بنبرة معترضة: "أخبرتكَ أنني أراقبهما".

قالت شيلي: "ألم تفهمني؟ لا أريدهما في منزلي!".

قال رون أخيراً: "لقد أخطأتُ! أعتذر".

في تلك اللحظة، دخلت سامي الغرفة وسألته: "لماذا تصرخ في وجه أمي؟".

لم يردّ رون. صمت لهنيهة ثم خرج غاضباً.

\*\*\*

في الأول من أكتوبر عام 2001، وبينما كانت شيلي تراقبه، كتب رون رسالة لاذعة إلى والدته، يُعرب فيها عن ندمه على أي محاولة لمساعدتها.

"عندما أحضرتكِ أنتِ وأبي إلى هنا، لم أتوقّع منكِ أنتِ بالذات أن تغدري بي. كلانا يعلم أن أبي كان ليتألّم بشدة من قسوتك نحوي ونحو قططي. فوالدي لم يكن ليقسو على حيوان حتى لو كلّفه ذلك حياته".

أخبر أمه أنه لا يطيق رؤيتها فحسب، بل إنه يعتبرها المسؤولة عن قتله.

"في 8 يونيو 1997، قتلني جاري نيلسن بلا رحمة حين تخلى عني. والآن تهانينا لك! أتممت قتلني في الأول من أكتوبر عام 2001، بتدمير كرامتي بكوني أنتمي لعائلة وودورث".

اختتم رسالته المتربة بالمرارة بقوله إنه فقد أمه.

"لقد ماتت يوم قتلت قطي".

بعد يومين، كتب رون رسالة إلى جاري زعم أنها ستكون الأخيرة.

"لم تُظهر لي ذرّة رحمة منذ أن قتلني في يونيو 1997. كنت جشعاً وأنا نياً وقاسياً وغير صادق...".

أرسل رون رسالة ثانية بعد أربعة أيام فحسب من الرسالة السابقة. هذه المرة خاطب والدته بـ "سيدتي". وعاود إلقاء اللوم عليها بشأن القوط، وأخبرها بأنه سينتقل إلى سياتل "حيث يمكنني (ربما) نسيان أمي الخائنة".

في اليوم نفسه، بعث رون برسالة من ثلاث صفحات إلى أخيه وأخته اللذين يقطنان في منطقة الغرب الأوسط. وسرد مجدداً تفاصيل معاملة أمه، وقسوتها الغليظة "لطردها قططي العزيزة إلى الخارج حيث الجو البارد". وذكر أنه لم يعد بوسعه رعايتها بسبب ذلك، لأنه لا يثق بها ولا يطيق رؤيتها. وأوضح أن كل هذه الأمور وقّعت بعد انتقاله للعيش مع شيلي، وأنها لم تستطع تحمّل قططه، لكن والدته وعدته بإبقائهم بحوزتها لمدة أسبوع. بيّد أنها طردتهم "بعد ثلاثة أيام".

"من أجل راحة بالي، سأتبرأ من أي مسؤولية تجاهها أو تجاه رعايتها. في الواقع، أنا غاضب جداً منها لدرجة أنني سأغيّر اسمي رسمياً وقانونياً خلال الأشهر القليلة المقبلة".

أشار إلى أنه سينتقل إلى سياتل حيث سيعيش باسم جديد سيخبرهما به، لكن ممنوع عليهما إخبار والدتهما بذلك. أعطاهما رقم هاتف شيلي للاتصال به.

"من أجل سلامتي النفسية، سنضطر للتواصل عبر ميشيل في المستقبل. ميشيل تشعر بالأسف الشديد لوقوعها في هذا الموقف الصعب لأنها تهتمُّ بكليتنا. لذلك لا ألقى اللوم عليها. لكن كالمعتاد، عليّ تحمُّل اللوم على كل شيء".  
سطر واحد جذب انتباه الجميع.

"قلبي يعتصره الألم، لكنني مضطرٌّ لذلك، وإلا قد أفعل شيئاً أندم عليه".  
رأى إخوة رون، وشيلي التي لا تتردد في تقديم المساعدة، أن فحواه يحمل تهديداً لسلامة كاثارين وليس تهديداً بالانتحار.  
كتب رون رسالة بخط يده إلى والدته في 9 أكتوبر 2001:  
"سيدتي،

أودُّ إبلاغك أنني سمحت للسيدة ميشيل نوتيك بإخراج جميع ممتلكاتي الشخصية من منزلك ومبنى التخزين. ولا يعينك ما ستفعله بها. وبعد إتمام ذلك، لن تتلقَّي مني أي اتصال مرة أخرى. أدعو الله أن يمدَّ في عمرك كي تتذكري قسوتك تجاهي طيلة حياتك. أصبحت الآن مسؤوليتهم، ولست مسؤولاً عنك.

كنتُ يوماً ابنتك الحبيب".

كان رون وحيداً. ولم يكن بجانبه أحدٌ يدعّمه في الحياة.

لم يكن بجانبه أحدٌ إلا شيلي.



## الفصل الرابع والخمسون

بحلول عام 2001، كانت لارا واطسن قد تقاعدت بعد مسيرة مهنية قضتها في إنشاء وتشغيل المستشفيات ومرافق الرعاية الصحية، وراحت تبحث عن مشروع جديد. وحين سنحت لها الفرصة لتجديد دير قديم في ساندي، أوريجن، وتحويله إلى فندق مبيت وإفطار وقاعة لحفلات الزفاف، سارعت لاغتنامها. لم تكن قد تحدّثت إلى شيلي منذ فترة طويلة، ولم تأسف لذلك أبدًا. فكلّما تحدّثتا؛ عن السرطان، أو علاقتها بديف، أو ما كان يحدث مع شين في ألاسكا، كانت شيلي تخوض حديثًا من طرف واحد لا يُفضي إلى شيء. وكانت كل مكالمة مع شيلي تنتهي بمونولوج متقطّع وإغلاق الخط.

في مستهلّ يوليو 2001، اتّصلت نيكي لتخبر لارا أنها تفكّر في التوجه إلى أوريجن أيضًا للبحث عن وظيفة جديدة. وفرحت الجدة بالطبع، فالعلاقة بينهما قوية. صحيح أن ثمر لم تكن من صُلبها، لكنها اعتبرتها ابنتها الأثيرة. لم تكن لارا قد رأت توري منذ أن كانت صغيرة جدًّا،

لكنها ظلّت قريبة من أختيها الكبيرين. كانت سامي تتألق في دراستها الجامعية، بينما تقيم نيكي في بلينجهام. وغمرت لارا طمأنينة عميقة لأنهما على الدرب الصحيح.

في أول يوم لها في أوريجن حصلت نيكي على وظيفة، وذكّرها ذلك بالأوقات السعيدة التي قضتها مع لارا في الشمال في بلينجهام. بيّد أن الأمور تغيّرت تغيّراً جذرياً في ليلتها الأولى بالبيت أثناء مشاهدتهما أحد برامج الجريمة على التلفاز.

لطالما كانت نيكي مفتونةً بعالم الجرائم؛ أرادت فهم الأسباب التي تدفع المجرمين لارتكاب جرائمهم. وقبل تركها جامعة جرايز هاربر، طمحت نيكي إلى العمل في مجال تطبيق القانون. وكانت تعلم أن أمها تمنّت الشيء ذاته، رغم أنها كانت -برأيها- أكثر اهتماماً بكيفية تفادي الشرطة، وليس بكيفية القبض على القاتل.

ومع ذلك، لم تكفّ شيلي عن إثارة دهشتها. ذات مرة عندما كُنَّ يشاهدن فيلم "أمي العزيزة"، التفتت شيلي إلى ابنتيها بعينين مصدومتين وقالت: "لا أصدق أن أمّاً ستفعل ذلك بأطفالها!".

تبادلت نيكي وسامي نظراتٍ مستنكرة. هل نسيت أمّهما الشريط اللاصق؟ أو كريم آيسي هوت؟ أو الإجبار على التمرغ في الوحل؟

في تلك الليلة، أثناء مشاهدة التلفاز في منزل لارا، ران صمت مفاجئ على نيكي أثار استغراب لارا، لكنها لم تعلق.

ربما داخلَ نيكي التعب والإرهاق جرّاء قيادة السيارة لساعات طويلة من واشنطن؟

في صباح اليوم التالي، اتجهت نيكي إلى مكتب جدّتها فوجدتها تفرز بعض الأوراق والمستندات.

بَادَرْتَهَا نِيكي: "ثمة شيء أودُّ أن أخبرك به". لاحتَظَّت لارا أن نِيكي لم تنم طوال الليل؛ عيناها كانتا دامعتين وحمراوين. من الواضح أنها كانت تبكي.

وضعت ذراعيها حول حفيديتها وسألتها: "ما الأمر، يا عزيزتي؟".

خيّم الصمت الطويل على المكتب الصغير.

أخيراً أجابت نِيكي: "أمي وأبي قتلوا كاثي".

خرَجَت الكلمة من حلق لارا بصعوبة حين كرّرتها: "قتلها؟".

أومأت نِيكي برأسها. "أزهقا روحها".

انخرطت الاثنتان في بكاء مريّر. وبين نوبات البكاء والشهقات المتقطعة، أخبرت نِيكي لارا تفاصيل ما حدث أولاً في منزل لادورباك وبعد ذلك منزل مونهون لاندننج.

كانت لارا امرأة صُلبة، سمعت كثيراً من الأمور الغريبة في حياتها. لكن هذه المرة، لم تصدّق أذنيها. ومع ذلك، لم تجد سبباً يدفع حفيديتها إلى اختلاق هذه القصة. كانت تعرف أن نِيكي ليست كاذبة.

أمّا شيلي، فكانت معروفة بكذبها المزمن.

استجمعت لارا شتات نفسها وأعدّت خطة.

قالت: "علينا أن نخبر الشرطة".

بعد ذلك اتّصلت لارا برئيس الشرطة المحلية في مدينة ساندي، أوريجن. وعندما حضر، روت نِيكي ما تعرفه، فاتّصل بدوره بمكتب المأمور المسؤول عن رايمند وساوث بيند وويلابا القديمة في مقاطعة باسيفيك بواشنطن. كما تمكّن من التواصل هاتفياً مع نائب المأمور جيم بيرجستروم في مقاطعة باسيفيك وأبلغ لارا بذلك.

قالت لارا لاحقًا: "طلب مني أن أكتب كل شيء وأعطاني رقم الفاكس الخاص به. وقمنا بالمطلوب أنا ونيكي. وأرسلنا كل شيء إلى مقاطعة باسيفيك".

في 11 يوليو عام 2001، بعثت لارا واطسن بثلاث صفحات إلى جيم بيرجستروم عبر الفاكس. وكتبت على الغلاف كلمة "عاجل"، متوقّعةً ردًا سريعًا.

لكنها لم تتلقَ أيَّ استجابة.

وَصَّحَتْ في رسالة الفاكس كيف كشفت نيكي عن تفاصيل ما حدث في منزليّ مونهون لاندنينج وويلابا. وأرفقت نسخة من إفادة نيكي الأولى.

"منذ فترة طويلة، أعتقد أنني كنت في السادسة عشرة تقريبًا عندما ارتكبتُ أمي الجريمة. كانت أمي غاضبة دومًا من كاثي. وتعاملها بقسوة شديدة، وتضربها بأحذية أبي ذات المقدمات الفولاذية التي يرتديها في العمل، وتعطيها أنواعًا مختلفة من الأدوية، فتتصرف كاثي على إثرها بغرابة. وذات ليلة، سمعنا نحن الأطفال أصواتًا غريبة، فتسللنا إلى غرفة كاثي ورأينا أبي يفعل شيئًا ما لها، لأن رغبة بيضاء كثيفة خرّجت من فمها. وأظن أن أمي سمّمتها، أو تسببت لها بأضرار دماغية بالغة بسبب ضربها على رأسها. لكن كاثي لم تتحرك. أعتقد أنها ماتت. واضطررنا للفرار من الغرفة لأننا كنا ممنوعين من النزول إلى الطابق السفلي ولم نرغب أن نعرف أمي ما رأيناه. كانت ستضربنا أو ستعاقبنا بشدة لو علمت بما رأيناه".

كتبت نيكي أنه جرى اصطحابها مع أشقائها إلى أحد الفنادق، وأن أباهما وأمها تخلّصا من جثة كاثي في حفرة الحرق في أرض مونهون لاندنينج.

"عُدنا بالسيارة إلى المنزل. وزكمت أنوفنا رائحة كريهة للغاية ورائحة مطّاط محترق. وكان أبي بالخارج يرمي كل أغراض كاثي فوق الإطارات. وواصل إضرام النار في الكومة".

أخيراً، اختتمت نيكي حديثها بخوفها من إبلاغ الشرطة عن والديها.  
"سترتكب أمي شيئاً فظيئاً إذا علّمت أنني وشيتُ بها. أو ستلقي اللوم على أبي. أتمنى ألا ينتحر أبي بسببي".



## الفصل الخامس والخمسون

أدركت نيكي أن إطلاع جدتها لارا على ما حدث لكاثي لورينو والتحدث لاحقًا مع الشرطة كان عينَ الصواب. وشعرت في قرارة نفسها أن عائلة كاثي تستحق معرفة الحقيقة منذ زمن طويل.

بيد أن الخوف سيطر عليها. صحيح أن أملها في محاسبة والديها على جرائمهما دفعها للكشف عن قصتها، لكن لم يكن ثمة ضمانات. ماذا لو لم يدفعها ثمن ما اقترفاه؟ ماذا لو استمرَّ في الإفلات من العقاب؟ وما مصير توري حينها؟ هل ستنتقم شيلى من أختها الصغيرة؟ أفضت هذه الأسئلة مضجعها.

أصابها الخوف الشديد لدرجة أنها تغيَّبت عن عملها الجديد، وعادت إلى بلينجهام، على بُعد أكثر من مائتي ميل من رايمند، لتشعر بالأمان.

ومع ذلك، ما أن بدأت نيكي الحديث، حتى وجدت في نفسها الشجاعة لإعادة سرد القصة. هذه المرة، وبعد أن حلت بضع مشروبات

كحولية عقدة لسانها، أخبرت حبيبها تشاد بالقصة. أخذ جسدها ينتفض من التَوُّثر، وشعرت وكأنها ستتقيأ عندما باحت له بكل شيء. أخبرته أن جدتها تتولَّى كافة الإجراءات وأنها أرسلت بيانًا إلى السلطات في مقاطعة باسيفيك. وظنَّ تشاد أن ما سمعه هراءٌ تامًّا. لم يَكنْ يُشكِّك في صدق ما تقوله، لكن تراءى له أنها أَلقت قنبلة ثم فرَّت، ولم يكن هذا هو الأسلوب الصحيح لإلقاء القبض على قاتل. حتى لو كان القاتل أمها.

قال: "يجب أن تخبريهم شخصيًّا".

قالت نيكي والرعب يتملَّكها: "لا أستطيع. لا أستطيع العودة إلى هناك وأخبرهم".

قال: "أنصتي جيدًا، إمَّا أن تخبري الشرطة وإمَّا سأفعل أنا".

"لا أظن أن بوسعي إخبارهم".

قال: "بل تستطيعين، وستفعلين".

في اليوم التالي، استقلَّ سيارته من طراز يوكان وانطلقًا باتجاه رايمند. لم يُخفِّف ذلك من توتُّر نيكي وخوفها. كانت تعلم أنه التصرف السليم، لكنها لم تُطِق فكرة الاقتراب من المكان الذي تعيش به أمها. وبينما راح تشاد يقود جنوبًا، خطر ببالها أنها قد تحمَّلت الكثير بالفعل. والآن، كانت مُعدَّبُتها وسَجَّانُها والمرأة التي سمَّتها في طفولتها ودفعتها عاريةً إلى الثلج أو عبر الباب الزجاجي على وشك أن تدفع ثمن أفعالها.

ستدور الدوائر على الباغي، وستدفع شيلى ثمن ما فعلته بكائي.

عند بلدة ماونت فيرنن، على بُعد بضعة أميال جنوب بلينجهام، رنَّ هاتف تشاد. لم يتعرَّف على الرقم عندما ردَّ على المكالمة.

وبعد ثانية واحدة، التفت إلى نيكي.

قال: "إنها والدتك".

لم تصدّق نيكي. كيف حصلت أمها على رقم تشاد؟ ربما من سامي؟

ترأى لها أن أمها تمتلك حاسّة سادسة، فقد كانت تعرف الأمور الغامضة ببداهة.

أوقف تشاد السيارة جانبًا، وهدر محرّكها بينما تحدّثت نيكي على الهاتف، وأخذ قلبها يدقّ كالطبل.

أعلنت شيلى فجأة وبأسلوبٍ لا مبالٍ يوحى بعدم وجود قطعة بينهما: "إنني أخطط للقيام برحلة إلى ديزني لاند".

لكن القطيعة كانت طويلة، وقد منحت نيكي فرصة لإعادة بناء حياتها.

قالت شيلى: "سنذهب أنا وأنتِ وشقيقتكِ وديف. أَلن يكون ذلك رائعًا؟".

ارتجفت يد نيكي وأجابت: "بلى. يبدو رائعًا".

واصلت شيلى حديثها عن الرحلة، واختلقت نيكي عُذرًا سريعًا بضرورة إرجاع الهاتف لتشاد وأنهت المكالمة.

قالت لاحقًا: "كنت أرتعد خوفًا. راودني شعور أنها تعلم ما يحدث وتحاول استرجاعي. أصبْتُ بصدمة. كنت متّجهة إلى رايمند لإبلاغ الشرطة عنها".

بعد ذلك، اتّصلت نيكي بسامي وأخبرتها أنها ذاهبة للشرطة للإبلاغ عن كاثي. وألقت قبلة أخرى.

"أعتقد أن أمي قتلت شين".

كانت المرة الأولى التي تخبر أختها بذلك.

لم تستطع سامي استيعاب الأمر. كانت في السادسة عشرة عندما اختفى شين. وقد صدّقت قصة أمها عن قفص الطائر والرسالة والمكالمات الهاتفية.

"مستحيل أن يترك شين رسالة لأمنا، يا سامي."

"أُتفق معك."

"لم نبحث عنه كثيرًا... ليس مثل مرّات هروبه الأخرى. ما السبب برأيك؟"

لم تجد سامي جوابًا.

\*\*\*

انتظر تشاد في الخارج بينما أخبرت نيكي نائب المأمور چيم بيرجستروم في مقاطعة باسيفيك بما تعرفه عن كاڤي. وأخبرها بيرجستروم بأنه زار منزل مونهون لاندينج عدّة مرات خلال الأشهر الماضية، واستجوب شيلي بشأن كاڤي واختفائها بناءً على طلب أسرتها. وبعد انتهاء المقابلة، أعاد تشاد نيكي إلى بلينجهام.

وبعد فترة قصيرة انفصلا.

اعترفت نيكي قائلة: "أعتقد أنني أثقلته بمشكلاتي. كان شخصًا طيبًا، وأشعر بالامتنان لدعمه لي في الكشف عن الحقيقة."

شعرت نيكي أنها قد أشعلت فتيل قبلة أو أحدثت زلزالًا.

ومع ذلك، لم يحدث شيء البتّة. وعلى حدّ علمها لم يتابع نائب المأمور القضية. ولم يتحدث مع سامي، ولم يفتش المنزل.

قالت: "لم يستدع حتى أمي للتحقيق. كان من المفترض أن يفعل

ذلك."

## الفصل السادس والخمسون

في الواقع، حاول نائب مأمور شرطة مقاطعة باسيفيك الاتصال بسامي، للتأكد من صحة أقوال نيكي. وتلقّت سامي جميع الرسائل لكنها رفضت رفضًا باتًا الاتصال به.

اعتقدت أن نيكي وجدتها قد أفادت الشرطة بكافة المعلومات اللازمة. ورغم يقين سامي بأن ما فعلته شيلي بكاثي لا يُغتفر، فإن شيلي كانت لا تزال أمها، ولم ترغب في أن تكون السبب في الزجّ بوالديها في السجن.

أقنعت نفسها أنها ستتكلم إذا أُلقي القبض على أمها.

وليس قبل ذلك.

كما اتخذت احتياطاتها في حال تمّ اعتقال أمها، فأخبرت -من دون تفاصيل- مُشرّفها في روضة الأطفال التي تعمل بها بأن أمها تعاني من بعض الاضطرابات العقلية.

قالت: "ربما تواجه أُمي مشكلات بسبب شيء ما، قد يكون الأمر خطيراً".  
بعض من خوف سامي من التحدث إلى الشرطة كان نابغاً من ردِّ  
فِعَل الشخص الوحيد الذي أطلعتَه على الحقيقة؛ حبيبها كالي هانسن،  
والذي كانت علاقتها العاطفية به متقطَّعة.

كانت سامي وكالي يجرعان الجعة في مهجعها بجامعة إيفرجرين،  
ويثرثران في أمور شتى.

انحنت سامي نحوه وسألته: "ما أسوأ شيء فعلته في حياتك؟".  
أخبرها بأمرٍ اعتبرته سيئاً نوعاً ما، إلا أنه بدا تافهًا مقارنةً بما  
لديها من أسرار سوداء من طفولتها.

قرَّرت ألا تُطيل المقدمات؛ وأخرجت أكبر سرٍّ من خزانة آل نوتيك.  
قالت: "لقد قتلت أُمي شخصًا. صديقتها كاثي. جلبتها إلى منزلنا  
وعدَّبتها حتى الموت".

لو كانا يلعبان لعبة "لم أفعل قطُّ" أو "الصراحة أم التحدي"، لكان  
الفوز من نصيب سامي بلا شك.

شحب وجه كالي، وقفز وهرع نحو الباب. لم تكن سامي تتوقَّع  
ردِّ فِعَل كهذا. لم تُخبر أحدًا قطُّ بما فعلته أمها. كانت تشعر بالأمان  
مع كالي. تعايشت مع هذا السر طويلاً لدرجة أنها كادت تجعله يبدو  
وكأنه قصة، شيء فيه بعض الحقيقة وبعض الخيال. فكَّرت فيه كثيراً  
وعاشت في عالم من الجنون - لدرجة أنها نطقت الكلمات من دون  
مقدِّمات، أو إشارات تحذيرية تنذر بكشف أمر خطير.

ماذا فعلت توًّا؟

لاحقته وأعادته إلى الغرفة. كان مصدومًا وأخذ يتقيأ. لقد أفرط في  
شرب الجعة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

وسمع كلمات مرعبة حقيقية أكثر من اللازم.

قالت محاولةً تدارك الموقف: "كنت أمزح".

ردَّ عليها: "تمزحين؟ لا مزاح في هذه الأمور البغيضة، يا سامي".

فشلت محاولتها لتغيير الموضوع، بل زادت الأمر سوءًا.

قالت بلا تفكير: "حسنًا، لم أكن أكذب. إنها الحقيقة. لم أكذب".

راحت تسرد تفاصيل القصة لكالي، كل ما استطاعت تذكُّره. قَصَّت

عليه كل شيء، بما في ذلك مدى حبها لكالي وشعورها بالمحاصرة.

شعورهم جميعًا بالمحاصرة.

بعدما استوعب كالي الأمر وحاول التأقلم وتركها للمرة الثانية،

جلست سامي في الظلام، تُقلِّب الأمر في رأسها. تراءى لها أن البوح

لأحدهم بما حدث لم يكن قرارًا صائبًا. لم يُشعرها بالتحسن، ولم

يُحرِّرها من العبء الثقيل، بل أصابها بالاشمئزاز والغضب والارتباك.

ولم يكن الأمر يتعلق بثقتها بكالي، بل كان ردُّ فعله هو ما صدمها

بشدة. أدركت أنها تنتمي لشيء بشع للغاية، حتى وإن كانت طفلة

آنذاك، شعرت وكأنها تحمل وصمة عار كبيرة وقبيحة.

وصمة لطَّخت أسرتها وشقيقتها.

ماذا سيفعل كالي بتلك المعلومات؟ هل سيبوح بها لأحدهم؟

لم يخطر ببال سامي إلا بعد سنوات التفكير في حال كالي بعد

حملة هذا السر الرهيب.

قالت لاحقًا: "لم أفكر قطُّ كيف كان شعوره تجاهها بعد أن علم

بما اقترفته. كنت أعيش معها وأتعايش مع جرائمها طوال حياتي.

وكنت لا أزال أحبها. ولم أتصوّر شعور شخص آخر يزور بيتنا ويتعامل

معها ويرى حقيقتها".

\*\*\*

تمكّنت سامي من طرح موضوع كاڠي على شيلي في بعض المناسبات. لم تُعدّ تصدق تلك القصة الخيالية عن رحيل كاڠي مع روي. لم تصدقها يوماً.

ذات مرة، كانت شيلي تتحدث عن نيكي والقطيعة بينهما. ثم أردفت: "تُرى هل أخبرت نيكي أحدًا بما حدث؟".

فكرت سامي: تقصدين قتلك لكاڠي؟ نعم، أخبرت جدتي والشرطة.

أخيراً، أجابت: "كلّاً، يا أمي".

بدت شيلي راضيةً، لكن سامي أصرت على مواصلة الحديث، فأخبرت أمها عن مشاعرها الحقيقية.

استطردت: "لن أعيش حياةً طبيعية أبداً يا أمي بسبب ما حدث. لن أستطيع أن أخبر زوجي يوماً ما. سيكون سرّاً دفيناً للأبد. ربما يكون الأفضل أن نبوح بما حدث".

"وما الفائدة؟".

أجابت سامي: "أعتقد أنه من الظلم أن تجهل عائلة كاڠي مصيرها. ربما يجب أن نخبر الشرطة".

رمقتها شيلي بنظرة غاضبة: "هل جُننتِ؟ هل تريدين تدمير حياتك؟".

قالت سامي: "لا أعلم إن كنت سأستطيع عيش حياةً طبيعية وهذا السر يطاردني".

حدجتها شيلي بنظرة ازدراء: "لا تكفّين عن تخييب أملي فيك، يا سامي".

أصرت سامي: "عائلة كاڠي لا تزال تبحث عنها".

ردّت شيلي بحدّة: "من الأفضل لهم ألا يعرفوا الحقيقة. ربما يشعرون بالسعادة لأنها تعيش مع رجل يحبها".  
"إنها ميتة يا أمي".

"أعلم، يا سامي. لكن الحديث عن الأمر الآن سيدمّر حياتنا جميعًا. هل تريد أن يعرف أصدقاؤك؟".  
هزّت سامي رأسها وأجابت: "لا، لكن...".

قالت شيلي ملوِّحةً بورقة الضغط: "ستدمّر حياة أختك. توري لا ذنب لها في الأمر. بالإضافة إلى أن كاثي انتحرت يا سامي، كما تعرفين".  
فكّرت سامي: انتحار؟ من أين جاءت أمي بهذه القصة؟



## الفصل السابع والخمسون

كانت شيلي تعمل بمبدأ "فَرَّقْ تَسُدْ". فتستلذُّ بإبعاد الفتيات عن بعضهن بعضًا، وكذلك إبعادهن عن أبيهن. كما أبعدت شين وكاثيري ونيكي عن الجميع.

إقامة الحواجز بين الناس منحها الحرية الكاملة لفعل ما تشاء، كأنهم قطع شطرنج، أو دُمى تحركها كيفما تريد، من دون اكتراث لهويتهم.

اعتادت شيلي حرمان توري من الطعام أحيانًا، ليس لفترة طويلة. عادةً ليوم أو يومين. وكان ذلك تارة نوعًا من العقاب، وتارة أخرى نتيجة تسمُّرها أمام التلفاز، لدرجة أنها لم تكن تكثرث بالذهاب إلى المتجر أو إعداد وجبة. وفي بعض الأحيان، كانت توري تذهب إلى مبنى الأعمدة، وتنقّب في المجد القديم. كان عليها التحرك بحذر شديد، إذ كانت مقتنعةً، مثل شقيقتها، أن لأمها قدرات خارقة مُكَّنَّها من اكتشاف أي شيء يحاولن إخفاؤه.

كانت تأكل الفطائر المجمّدة وتخفي الأغلفة بعناية حتى لا تكتشفها أمها. كما حرصت على عدم الإفراط في الأكل خوفًا من أن تلاحظ أمها نقص المخزون. وراحت تعيد ترتيب محتويات المجمّد بعناية وتزيح الأشياء، لتبدو كما تركتها شيلى.

وكما كان متوقّعًا، أدركت شيلى الأمر. واستنتجت توري لاحقًا أن أمها وجدت الأغلفة بالتأكيد، لأن كل محتويات المجمّد اختفت فجأة. قالت توري لاحقًا: "ألقت بكل الطعام، كل قطعة منه. ولم تقل شيئًا عن ذلك أيضًا".

ثم شرعت أمها في مزيد من الهجمات المباغته. غمّرت الأضواء غرفتها المظلمة، وانتزعت بغتة أغطية الفراش. رأت توري شيلى تقف هناك بردائها المفتوح جزئيًا، وصدرها مكشوف.

"انهضي. انزعي ملابسك!".

يا إلهي! ما الذي سيحدث الآن؟

خفق قلب توري بشدة، واندفع الأدرينالين في جسدها، لكنها لم تقاوم أمها.

هبطتا الدرج. وسرعان ما وجدت نفسها تقفز عارية في الفناء، أو تجري في مكانها داخل غرفة المعيشة بينما تسترخي والدتها على الأريكة.

صرخت شيلى: "أسرع!".

زادت توري من سرعتها. أحيانًا كانت تبكي. ولكن في معظم الأحيان كانت تنفذ ما تقوله أمها.

"أنت لا تبذلين أي جهد!".

"إنني أحاول، يا أمي. أحاول. أقسم".

"أنتِ حقيرة وجاحدة".

"أنا آسفة، يا أمي".

"اقفزي لأعلى! أريدك أن تقفزي بقوة".

كان وضعًا مهينًا ومُذِلًا. أي محاولة للرفض كانت تعني أن العقاب سيطول. وبينما كانت توري تنفذ أوامر والدتها، لم تتساءل قط عن سبب ربطها العقوبة بالتعري أو مداهمة غرفتها في منتصف الليل. كانت تتمنى فحسب أن ينتهي العقاب.

قالت لاحقًا: "كانت مخيفة حقًا. شعرت كأن ليس بيدي حيلة. وجعلني هذا أشعر بالمهانة والضآلة. لم أجادلها لأنني أدركت أن الوضع سيزداد سوءًا إذا فعلت".

كانت بلا حول ولا قوة.

ومع ذلك، بمجرد انتهاء العقاب، كان السيناريو يتكرّر دومًا: "بعد ساعتين، تعود لتحبها لأنها تعانقك وتقول: أنا آسفة، أحبك".

وعلى عكس شقيقتها وشين، لم تتعرّض توري لعقوبات متكررة. في الواقع، قلّمَا عاقبت شيلي ابنتها الصغرى بالعقاب ذاته مرتين.

ذات يوم، خطرت لشيلي فجأة تنظيف إحدى السقائف في الجزء الخلفي من المنزل.

قالت لتوري فجأة: "هيا الآن!".

وكالعادة، هرعت توري.

تبعّت أمها عبر الفناء إلى الكوخ، وأمرتها شيلي بجمع الصحف وغيرها من القمامة.

"أريد منك وضعها في حدائك!".

لم تجد توري الأمر منطقيًا البتّة. ومع ذلك، أطاعتها.

"ضعيها في ملابسك الداخلية، أيتها الصغيرة القذرة!"

رمقت توري والدتها بنظرة سريعة، لكنها لم تكشف عمّا كانت تفكر فيه. كانت في العاشرة أو الحادية عشرة من عمرها آنذاك، ومع ذلك أدركت أن ما يحدث كان غريبًا للغاية.

قالت توري لاحقًا: "أغرب ما في الأمر أنها كانت تجلس وتراقبني أفعل ذلك. وكأنها تستمتع. أتذكر أن تلك كانت من بين المرات الأولى في طفولتي التي شعرت فيها بأن الأمر فعلاً غريب، وكأن ثمة شيء غير طبيعي".

لم تخبر توري أحدًا بما كان يجري في المنزل لأنها لم ترغب في التورط بمشكلات، ولأنها لم تظن أن يصدقها أحد. وكلما سألتها سامي عن حالها، كانت توري تخبرها دائمًا أنها بخير. وراحت تتساءل إذا كانت طفلة سيئة لأنها تقع في مثل تلك المتاعب دومًا. وأقسمت أنها ستسعى لتكون أفضل، وتحاول كسب محبة أمها.

كانت توري في الثانية عشرة حين بدأت تدوّن يومياتها للمدرسة. في تلك اليوميات حاولت جاهدة ألاّ تصوّر نفسها بأنها التلميذة التي يعمل والدها في جزيرة بعيدة، أو التي هجرتها شقيقتها الكبرى منذ زمن، أو التي تعنّفها أمها وتعامل الرجل المقيم معها بقسوة. في إحدى الصفحات كتبت عن فيديو مفضّل لها، والذي لم يكن فيديو حقيقيًا قط:

"إنه شريط فيديو منزلي. أحبه كثيرًا. كان ذلك عندما بلغت عامي الثالث، وقد اشترت أمي بركة أطفال. ويبدو أنني أعجبت بها جدًا. وعندما لم يكن أحد يراقبني، أخذت كعكة عيد ميلادي وألقيتها

في البركة. ضحكت أمي، بينما غضبت أختي لأنها طلبت إعدادها خصيصًا لي. إنني أهوى مشاهدة أشرطة الفيديو المنزلية".

لاحقًا، كتبت عن عطلة عيد الشكر المقبلة:

"يغمرنني الامتنان لأن أفراد أسرتي سيتجمعون معًا في هذه المناسبة. أختي تعيش في تاكوما؛ لذا لا أراها كثيرًا. وأبي يعمل بعيدًا جدًا في بناء الأساسات والأسلاك الكهربائية للمنازل في كل مكان. أما أمي، فأراها دومًا".

بحلول ذلك الوقت، لم تُعد توري تذكر نيكي، شأنها شأن بقية أفراد الأسرة. ورغم أن صور نيكي -وشين- كانت لا تزال معلقة في جميع أرجاء المنزل، بدا كأن أمها محت ابنتها الكبرى من ذاكرة الجميع.

لم يرَ أحد نيكي.

لم ترها سوى سامي.

وظلَّ ذلك سرًّا دفينًا.

كانت الشقيقات الثلاث يعرفن أن الأسرار كانت تجري مجرى الدم في العائلة.



## الفصل الثامن والخمسون

دبّرت شيلي مزيدًا من المكائد لعائلة رون خلف ظهره. بعد أن اصطحبت والدته كاثرين لزيارة الطبيب في أواخر خريف عام 2001، اتّصلت بعائلته مدّعيةً أنها اضطرّت لإزالة ثلاثة براغيث من وجه كاثرين أثناء جلوسهما في السيارة. وتمادّت في ادعائها بأنها شاهدت رون يُملي على أمه الأوامر عدة مرات.

كما أعربت شيلي عن استيائها من حالة منزل كاثرين، ومن عدم عناية رون بها منذ فترة طويلة؛ فالمرأة المسكينة لم يكن لديها حتى تلفاز يعمل! وأخذت شيلي على عاتقها شراء تلفاز من طراز دايو مقاس 27 بوصة، وفتحت لها خطأ اثمانيًا بقيمة 150 دولارًا في أحد متاجر الأجهزة المنزلية.

عندما حان موعد تنظيف المنزل، ربّبت شيلي لإقامة كاثرين في مكان آخر أثناء رشّ المنزل بالمبيدات الحشرية. كانت تفعل كل ما في وسعها للمرأة العزيزة التي تعتبرها أمًا ثانية.

وفي الوقت ذاته، انهمكت شيلي في تشويه سُمعة صديقها المقرب، فأخبرت العائلة أن رون يملك ما يكفي لتغطية إيجار مقطورة السكن المتنقل لكنه قرَّر عدم القيام بذلك.

قال چيف، شقيق رون، فيما بعد: "عندما طُرد من (المكان المستأجر)، كان بحوزته ستمائة دولارًا، فاستعان بمحامٍ أخبره أن الأمر قانوني. واضطرَّ للمثول أمام القضاء بخصوص ذلك، حتى أُرجأت المحكمة الجلسة مرة واحدة، لكنه خسر القضية بسبب إهماله. كما أُتيحت له عدة فرص للمثول أمام المحكمة بشأن مشكلة الإيجار، لكنه تغَيَّب، فحُكِمَ لصالح المالك".

في 4 نوفمبر 2001، اتَّصَلت كاترين بابنها الأصغر، چيف، معربةً عن رغبتها في الانتقال إلى ميتشجن لتكون قريبة منه ومن مكان دفن زوجها. وأخبرته بأن رون متَّجه إلى المحكمة بسبب مشكلة شيكات من دون رصيد، وأن هناك مذكرة توقيف فيدرالية بحقه. لاحقًا، تراجعت عن فكرة الانتقال إلى ميتشجن، متحجِّجةً بالطقس البارد هناك، ورفضها أن تكون عبئًا على الآخرين.

تغلَّغت شيلي في شؤون عائلة وودورث.

في 29 نوفمبر عام 2001، بعثت برسالة قصيرة جاء فيها:

"والدتكم بخير. سألتقط لها صورة هذا الأسبوع وأرسلها لكم. وسأصقِّف شَعرها استعدادًا لعيد الميلاد. ليتني أستطيع مساعدتكم. أطيب التحيات لكم وللأسرة".

في الثاني من ديسمبر عام 2001، اتصلت كاترين بچيف في ميتشجن وأبلغته أن شيلي قد سلَّمتها رسالة من رون ردًّا على قيامها بالتخلص من ملابسه. كانت شيلي قد احتفظت بالرسالة لفترة، وأخبرت چيف أنها توَسَّلت إلى رون ألا يرسلها، لكنه أصرَّ على ذلك ولم يكن أمامها خيار. وعندما سلَّمت شيلي الرسالة أخيرًا لكاترين، قالت إنها فعلت

ذلك أثناء تواجدهما معًا في السيارة لتمنحها الوقت لاستيعاب محتواها أثناء القيادة. كانت الرسالة مُضمَّنة في بطاقة عيد الميلاد مع ملاحظة نُصُّها: "أعطي هذه لوالدي لأنني لا أريدها أن تعرف عنوان صندوق البريد الخاص بي".

بدأت الرسالة بعبارة: "كم أنتِ حمقاء، أيتها الحقيرة! لا أصدق مدى غباؤك في الاعتقاد أن لكِ الحق في سرقة ممتلكاتي القليلة".

أرسلت شيلي الرسالة بعد بضعة أيام إلى شقيق رون مع ملاحظة شخصية جاء فيها: "أرْفَقْتُ الرسالة التي بعثها رون إلى والدتك. قلبي يعتصر ألمًا على ما يجري".

ردَّت زوجة شقيق رون بتقييمها الشخصي: "كانت هذه الرسالة أكثر إساءةً من سابقتها، حيث وردَّت فيها الكلمات البذيئة 22 مرة، حسبما قالت ميشيل".

ووضعت خطة لوقف إساءة رون لوالدته: "أعطيت ميشيل إذنًا هاتفياً بفحص جميع الرسائل الواردة إلى أمي من رون والاتصال بخدمات حماية المسنَّين في 3 ديسمبر 2001".

\*\*\*

واصل جيف وودورث تلقِّي المكالمات من شيلي نوتيك. واعتبرتها العائلة أنها امرأة طيبة وذكية ومخلصة. كانوا يقطنون بعيدًا في ميتشجن، وكانت شيلي بمثابة المنقذ في تلك الظروف الصعبة.

جلس رون كالصنم يستمع إلى الرسالة الصوتية التي تركتها عائلته على جهاز الرد الآلي في منزل آل نوتيك. وحين عادت شيلي إلى المنزل، شغلت الرسالة ثم سألت رون عمًا إذا كان قد سمعها.

كتبت شيلي لاحقًا لعائلة رون ما حدث بعد ذلك:

"تصرّف رون ببرود... ثم اتّخذ موقفًا دفاعيًا قائلاً: لا أقبل الأوامر من أحد. وانفجر غضبًا".

أشار شقيق رون لاحقًا إلى أنه اعتقد أن شيلي بدت عاجزة تمامًا عن التعامل معه أيضًا. وكتب ملاحظة بذلك:

"تحدّثت ميشيل مع رون مرارًا عن ضرورة المضي قُدّمًا في حياته ونسيان الماضي، لكنه رفض. قالت ميشيل إنها تصرّفت كأمه وليس كصديقة، فطلب ديف منها التوقّف".

\*\*\*

كانت العطلة الشتوية قد بدأت، وعادت سامي إلى المنزل من إيفرجرين. وبينما كانت توري في الخارج مع الأصدقاء، ورون يتدرّب في مبنى الأعمدة، توقّفت سيارة شرطة مقاطعة باسيفيك. ونزل الضابط وطرق الباب الرئيسي. فتحت شيلي الباب على الفور. لم تستطع سامي سماع ما قيل، لكنها كانت واثقة من أنه يتعلّق بكاثي. لقد مرّت أشهر منذ ذهاب نيكي إلى الشرطة لأول مرة.

فكّرت: لقد عرفوا! كل شيء سيتكشف الآن.

أغلقت أمها الباب.

سألته سامي بهلع: "لماذا جاؤوا؟ هل الأمر يتعلّق بكاثي؟ إنهم يعرفون بأمر كاثي، يا أمي!".

اتّسعت عينا شيلي، وركضت إلى ابنتها وعانقتها.

أجابت: "كلّاً، كلّاً، الأمر يتعلّق بأوراق رون. لا تقلقي، صدّقيني. ليسوا هنا من أجل كاثي".

انخرطت سامي في البكاء، ودلفت إلى غرفة أمها. تبعته شيلي بعد لحظات وعانقتها، وأخبرتها أنها آسفة على كل ما حدث. كما أخبرتها

أن وفاة كاثي أثّرت عليها بشدة أيضًا. وقالت إنها لا تستطيع تحمّل عذاب الضمير بسبب تركها الأمور تخرج عن السيطرة. واعترفت بأنها أخطأت في تقدير الأمور، لكنها ألقت باللوم الأكبر على نيكي وشين.

قالت: "لقد عاملها بقسوة كبيرة".

لم تستطع سامي تذكّر مرة واحدة أساءت فيها نيكي لكاثي. ربما أساء شين لها، لكنه فعل ذلك بناءً على أوامر أمها.

"اركلها في رأسها، يا شين!".

قالت شيلي باكية: "أشعر بالذنب الشديد تجاه ما حدث لك. أسفة للغاية. لن يتكرر الأمر أبدًا. أقسم لك. إذا اكتشف أحدهم الأمر، سننتحر أنا وأبوك حتى لا تعيشي بهذا الألم".

\*\*\*

رغم أن رون راح يعمل بلا كَلَلٍ في الفناء وكأنه عيد، أسرّت شيلي لسامي مرارًا برغبتها في رحيله، لكنه كان يرفض، زاعمةً أنها سعت إلى مساعدته خلال فترة عصيبة في حياته، ولم تقصد إقامته الدائمة.

قالت شيلي: "يجب أن يرحل".

سألته سامي: "أين يذهب؟".

"يرحل. يبحث عن عمل. ينتقل للعيش بمفرده".

"لِمَ لا يفعل؟".

"إنه متعلّق بنا بشدة. يعتقد أننا بحاجة إليه".

"إنه يجتهد في عمله".

قالت أمها: "كلًا، في الواقع. إنه يُشعِرني بالذنب دائمًا ويصرُّ على البقاء".



## الفصل التاسع والخمسون

كانت توري قد بلغت الثانية عشرة من عمرها آنذاك، وشرعت تلاحظ كل شيء حرفيًا.

كان رون يرتدي سروالاً قصيراً جداً وبضعة قمصان بلا أكمام حين شرع يقيم مع آل نوتيك. لكن سرعان ما أخذت شيلى ملابسها وأجبرته، كعادتها، على العمل خارج المنزل بالملابس الداخلية فقط. سمعت توري كل شيء أيضاً.

كانت أمها تقول لرون: "أنت لا تستحق الملابس، أنت عديم القيمة. لا تطلبها مجددًا. ولا تفكر حتى فيها. والآن اخرج من هنا وقم بأعمالك المنزلية".

من الساعة السابعة والنصف صباحًا حتى الثامنة مساءً تقريبًا، راح رون يعمل في الخارج بملابسه الداخلية؛ يطعم الحيوانات، ويزيل الأعشاب الضارة، ويقطع الشجيرات، ويحرق النفايات، أي شيء في قائمة شيلى الطويلة.

في المساء، اعتاد رون تناول العشاء في الطابق العلوي بمفرده. وفي معظم الليالي، كانت شيلي تُناوله قرصين من الحبوب المنومة. ورغم وجود غرفة وسرير شاغر، كان ينام على الأرض.

إذا أُصدر صوتًا ليلاً، صرّخت شيلي أمرًا إيّاه بالنزول لمعاقبته. أما توري فحرصت على أن تظلّ ساكنة تمامًا، خائفة من تحريك عضلة واحدة. فكّرت أن تخبر أباهما بما يحدث، لكنها عرفت إلى أي جانب سينحاز.

كانت تعلم أن البوح بما تفعله أمها برون سيؤذيها أكثر.

استاءت من معاملة أمها القاسية له.

وذات يوم، حاولت مواجهتها.

"لماذا تقسين عليه هكذا يا أمي؟"

"ماذا تقصدين؟"

"رون رجل لطيف وطيب."

عبست شيلي.

قالت بسخرية: "إذا كنت تحبينه لهذه الدرجة، لِمَ لا تتزوّجينه؟"

بعد فترة قصيرة من هذه المواجهة، استدعتها شيلي إلى غرفة المعيشة. وقف رون صامتًا لفترة طويلة قبل أن يتكلم.

حرّضته شيلي قائلة: "لديه شيء يودُّ إخبارك إيّاه."

أخيرًا قال: "لم أعد أحبُّك، يا توري."

اغرورقت عينا توري بالدموع وقالت: "لا أصدّقك."

حاول رون جاهدًا الالتزام بالموضوع. كاد يبكي، ولم يستطع النظر إليها.

قال بينما يجمع شتات نفسه: "هذا صحيح. لم أعد أحبك."

قالت توري لاحقًا: "كنت أعرف أنه يكذب، لقد أجبرته على قول ذلك لتؤذينا".

أمرته شيلي، كالعادة، بعدم التحدث إلى توري أبدًا بعد ذلك. ولم يكن هناك تفسير لذلك سوى كره شيلي لأي نوع من التقارب بينهما. فقد فطنت إلى تعلق رون بالفتاة الصغيرة، وأن توري بدأت تدعوه العم رون. ولا شك أنها لاحظت اهتمام ابنتها برون وقلقها عليه.

أوضحت شيلي بصورة قاطعة عدم رغبتها في سماع أي حديث بين توري ورون أثناء غيابها، مثلما فعلت مع سامي ونيكي. ولم ترغب توري في تعريض عمها للمشكلات. كان ذكيًا ويتمتع بحس فكاهي لاذع. وكان لديه أسلوب شخصي مميز بشعره المربوط على شكل ذيل حصان وحليته المصرية الرائعة التي أعجبت بها توري كثيرًا.

لم يتبادلا الكلام إلا لمأماً، رغم نومه على الأرض خارج باب غرفتها معظم الليالي.

قالت توري بعد سنوات: "كان الصمت أفضل خيار، كنا نخشى العواقب. كلما تجنّبنا أي تصرف قد يزعجها، كان ذلك أفضل لنا". لكن حين تتأكّد توري من أن أمها غارقة في النوم ولا تسمع شيئًا، كانت تتسلّل من غرفتها على أطراف أصابعها إلى حيث ينام رون. في منتصف الليل، كانت تنحني وتعانقه سريعًا في هدوء. وكان يبتسم ويومئ برأسه. لم يقولا شيئًا.

فكلاهما كانا يخافان من العواقب إذا ضبطتهما شيلي يتحدثان.

كان العم رون سيدفع الثمن، ولم ترغب توري أبدًا أن تكون السبب في ذلك.

\*\*\*

كما اعتادت منذ صغرها، كانت سامي في المنتصف دائماً. كانت الابنة المدلّلة. عرفت حقيقة أمها لكنها قلّما كانت هدفاً للعقوبات القاسية. كانت علاقتهما طبيعية قدر الإمكان في ظل الظروف. واعتادت شيلي زيارتها في إيفرجرين حاملَةً معها البقالة، أو التحدث هاتفياً، أو التسوق معاً في متجر تارجيت بالقرب من مول كاييتال. معظم زيارات شيلي كانت مفاجئةً، وكثيراً ما كان رون برفقتها. اعتاد الانتظار في السيارة طوال الوقت، وأحياناً لساعات.

لاحظت سامي وحبیبها كالي تدهوراً سريعاً في مظهر رون.

"يبدو أسوأ حالاً مقارنة بالمرة السابقة".

"نعم، فقد الكثير من وزنه".

تبدى جلياً أنه يتلاشى ويستحيل شبح رجل. كان يرتدي سترة نسائية كبيرة، ومظهره غير مهندم. وسرعان ما اختفى بريق حليّه وأسلوبه المتفرد الذي كان يميّزه بين أهالي رايمند.

استرابت سامي في الأمر. أكانت أمها تفعل برون ما فعلته بكاثي؟ لاحقاً، لامت نفسها على عدم التدخل.

هل كان بوسعها مساعدته؟

\*\*\*

لم تستسلم نيكي في محاولة إصلاح الأمور. لم تكن تعرف مصير المعلومات التي قدّمتها للشرطة، لكن تراءى لها أنها غير كافية. واتّصلت بأمها بعدما علمت من سامي أن رون يعيش بالمنزل.

لم تجد سوى الرد الآلي فتركت رسالة.

"أعلم أن هناك رجلاً يعيش في المنزل، أخرجيه قبل فوات الأوان".

اتَّصَلَتْ بِهَا شِيلِي عَلَى الْفُورِ.

قَالَتْ: "إِنَّهُ صَدِيقٌ مُقَرَّبٌ لِلْعَائِلَةِ، وَيَعَامَلُ تَوْرِي مَعَامَلَةً طَيِّبَةً. لَا دَاعِي لِلْقَلْقِ".

أَيَّدَتْ سَامِي كَلَامَ أُمِّهَا. كَانَتْ تَزُورُهُمْ فِي جَمِيعِ الْعَطَلَاتِ الْأَسْبُوعِيَّةِ تَقْرِيْبًا. صَحِيحٌ أَنْ الْقَلْقُ سَاوَرَهَا، لَكِنهَا رَاقَبَتْ الْأَوْضَاعَ.

قَالَتْ لِنِيكِي: "الْأَحْوَالُ عَلَى مَا يِرَامُ. أَسْأَلُ تَوْرِي دَائِمًا وَتَجِيبُنِي أَنَّهَا بَخِيرٌ. إِنَّهَا أَكْثَرُ جَرَاءَةً مِنِّي، وَسَتُخْبِرُنَا إِذَا حَدَثَ شَيْءٌ".

سَأَلَتْهَا نِيكِي: "هَلْ أَنْتِ مَتَأَكَّدَةٌ؟". مَكْتَبَةٌ سُرَّ مَنْ قَرَأَ

أَجَابَتْ سَامِي بِثِقَةٍ: "إِنَّهَا تَنْجَحُ فِي تَجَاوُزِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَتَبْدُو أَحْوَالَهَا طَيِّبَةً".

كَانَتْ سَامِي تَقُولُ مَا تَوَدُّ تَصْدِيقَهُ، وَنِيكِي تَصَدِّقُ مَا تَرِيدُ سَمَاعَهُ.

كُلُّ الْأُمُورِ عَلَى مَا يِرَامُ. رُونٌ بَخِيرٌ. وَتَوْرِي بَخِيرَةٌ.

ذَاتَ مَرَّةٍ، ذَكَرَتْ سَامِي أَنَّ رُونَ لَمْ يَكُنْ يَرْتَدِي حِذَاءً، فَاسْتَعْرَبَتْ.

قَالَتْ سَامِي: "لَكِنِّي لَمْ أَجِدْ شَيْئًا يَثِيرُ الْارْتِيَابَ".

فَكَّرَتْ نِيكِي: اللَّعْنَةُ! هُنَاكَ خَطْبٌ مَا. وَحَاوَلَتْ طَرْدَ الْفِكْرَةَ.

\*\*\*

اسْتَشْعَرَ دِيْفٌ نَوْتِيكَ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ يَحْدُثُ.

كَانَ لَا يَزَالُ يَقِيمُ فِي أَوْكِ هَارْبِرْ بِجَزِيرَةِ وَيْدِي، وَيُرْسِلُ رَاتِبَهُ إِلَى الْمَنْزَلِ. عِنْدَمَا أَخْبَرْتَهُ شِيلِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَنَّ صَدِيقَهَا الْمُقَرَّبَ رُونَ وَوُدُورْثَ انْتَقَلَ لِلْعَيْشِ مَعَهُمْ وَيَسَاعِدُ فِي الْمَنْزَلِ، شَعَرَ بِالْغَثِيَانِ، وَكَأَنَّ مَعْدَتَهُ الْمَضْطْرِبَةَ تَلَقَّتْ ضَرْبَةً قَاسِيَةً.

مَا رَأَاهُ مِنْ كُتُبٍ أَكَّدَ هُوَاجِسَهُ.

قال: "كنت أعود للمنزل في العطلات، وأرى حال الرجل يتدهور بجلاء. كانت تجربته على العمل بالمستنقع باستخدام جزازة الأعشاب، حافي القدمين وبسروال قصير. كانت الجروح الغائرة تملأ جسده. ورأيته تأمره بصفع وجهه مرارًا وتكرارًا. وحتى إنها أخفت حذاءه".  
وحين واجهها ديف بشأن عدم ارتداء رون للأحذية واقترح شراء حذاء جديد له، هزّت رأسها رافضة الفكرة وزعمت: "إنه يضيّعها باستمرار".

\*\*\*

في إحدى المرات التي هرب فيها رون، طلبت شيلي من توري أن تتركب السيارة للبحث عنه.

سألته توري: "لماذا نبحث عنه؟ إنك تكرهين وجوده معنا، يا أمي".  
رمقتها شيلي بنظرة باردة سريعة وأجابت: "جسده مُغطى بالجروح والكدمات، سيكذب ويقول إنني فعلت ذلك به. وسنقع جميعًا في ورطة".

قالت توري لاحقًا في تأمل: "صعقتني كلماتها، وإلى يومنا هذا ما زالت صراحتها تدهشني. لكنها كانت صادقة؛ لذلك خشيتُ أن يعثر أحد على رون لأنه سيفضح كل شيء".

عندما عثرتا عليه، ركب رون السيارة واعتذر ووعد بعدم الهرب مجددًا.  
في كل مرة يهرب فيها رون -والتي قلّت بمرور الشهور والسنوات- لم يكن يبتعد كثيرًا. مثل كاثي وشين، لم يكن لديه مكان يذهب إليه. كانت شيلي تجده، مختبئًا عادةً خلف شجرة، أو بين الشجيرات في الغابة، أو يحاول الانكماش على نفسه وعدم لفت الأنظار قدر الإمكان في أحد المباني الخارجية بمنزل آل نوتيك.

## الفصل الستون

"توري! تعالي هنا بسرعة!".

وقفت شيلى فى الفناء ممسكةً بفأس.

وكانها صورة طبق الأصل من ليزي بوردن.

صرخت مجدداً: "تعالي هنا!".

هرعت توري نحو أمها على الفور. لم يكن هناك مجال حتى لثانية تأخير عندما كان صوت أمها المرعب، الشبيه بصرخة المرأة فى برنامج "تحديّ الخوف"، يتغلغل فى كل حرف يخرج من فمها.

"ماذا؟".

"لا تقولي ماذا، تعالي هنا".

كانت الفأس مُرعبَةً للغاية. لم تَدْرِ ما ستفعله أمها بها أو ستجبرها على فعله لشخص آخر. لم تدرك توري سبب حنق أمها، لكنها بادرت بالاعتذار فوراً.

مدت شيلي الفأس إليها.

"تركيتها هنا طوال الليل. كم سأظلُّ أنبّه عليكِ بإعادة الأشياء إلى مكانها؟".  
"آسفة، يا أمي".

عبست شيلي وقالت: "ادفعيها في بنطالك".

بالنسبة لأي شخص آخر، سيبدو ذلك الأمر غير منطقي للغاية ولن يفهم المقصود. لكن توري فهمت على الفور. دفعت مقبض الفأس في ساق بنطالها حتى وصل إلى حذائها، واستقرَّ نصلها على خاصرتها.

أومأت شيلي برأسها برضا قائلة: "الآن أكملّي أعمالك المنزلية. لا أريد رؤية الفأس خارج بنطالك حتى الانتهاء من كل شيء. أتفهمين؟".  
امتثلت لأوامرها بالطبع. كانت أمها مجنونة. أمضت توري الساعات التالية تنجز المهام المطلوبة بينما تمشي متعثرةً في الفناء. لم يتوقّف الأمر عند هذا الحد. فأفعال أمها القاسية ليس لها حدود.

ذات مرة، رأت توري سريها يبدو متكئلاً، فرفعت الغطاء وفوجئت بقمامة المطبخ والحمام تحته. وأدركت أن أمها وضعتها هناك، وفهمت السبب.

"كنت قد نسيت إخراج القمامة. كان هذا أسلوب أمي لتذكيري بعدم تكرار ذلك مجدداً".

جمعت القمامة وأخرجتها، ثم عادت وغيّرت الملاءات.

في الحمّام، نفضت توري سروالها الداخلي فتناثرت على الأرض بودرة  
بيضاء. كانت بودرة "جولد بوند" التي ترشّها أمها بانتظام داخلها.  
وفي بعض الأحيان، حين كانت توري في العاشرة من عمرها تقريبًا،  
كانت أمها تدخل الحمام ومعها علبة المسحوق المضاد للبكتيريا، ثم  
تأمرها بأن تباعد ما بين ساقها لتضع البودرة على مهبلها. وكانت  
البودرة تحرقها فتصرخ توري قائلة إنها لا تريدها.

قالت شيلي: "إنها دواء، أنتِ بحاجة إليها. كل الفتيات يحتجنها".

قالت توري بينما تحاول كبج دموعها: "إنها تؤلمني كثيرًا، يا أمي".  
"تحمّلي، يا توري".

أحيانًا، كانت شيلي تقرّر أن توري بحاجة إلى الاستحمام.

كانت تقول: "أنتِ قذرة، هيا إلى الخارج".

تبعّت توري أمها، التي اتجهت إلى خرطوم المياه.

أمرتها قائلة: "اخلعي ملابسك".

كان الجو باردًا، لكن توري لم تجرؤ على الاعتراض؛ إذ تعلم أن  
معارضة أمها ليس بالتصرف الحكيم. خلعت ملابسها ورشّت أمها  
عليها الماء. وذات مرة، استخدمت شيلي معها جهاز الغسيل الذي  
يعمل بالضغط. على الأقل، لم تُجبر توري على التمرغ في الوحل مثل  
إخوتها.

كانت تلاحظ أن جسد رون مُبلّل وينتفض أحيانًا، فاستنتجت أنه  
كان يُجبر على الاستحمام في الهواء الطلق بنفس الطريقة. لم يتحدثا  
أبدًا عن الأمر، لم يُسمح لهما بالتحدث عن أي شيء.

استمر الحال على ذلك المنوال. ومع ذلك، خفّت حدّة المعاملة  
القاسية بعد مجيء رون. والقليل من الإساءات كان أهونَ من غيرها.



## الفصل الحادي والستون

مهما كان موقع رون أثناء العمل في منزل آل نوتيك وملحقاته، تحتم عليه أن يظل في حالة تأهبٍ دائمٍ. ومتى نادته شيلي، كان من المتوقع أن يترك كل شيء بيده ويذهب إليها بأقصى سرعة ممكنة.

وإذا لم يردَّ عليها لأي سبب، كانت تغلي غضبًا. فيجدها واقفة تكور قبضتيها في سخط، وقد تصلبت عضلات رقبتها.

"لا بد أن تردَّ عليَّ فورًا حين أناديك!"

مذعورًا كان رون يهرع إليها.

"أنا قادم، عزيزتي شيلي!" صوت رون المترع بالخوف والقلق أثار رعب توري.

قالت توري مرتعدة بعد مرور سنوات: "كان أحد أكثر الأصوات رعبًا التي سمعتها على الإطلاق. وكأنه يموت في كل مرة يقولها، وكأن عزيزتي شيلي هي آخر ما سيقوله في حياته، بهذا الإلحاح والخوف".

لم يكن إبقاء رون في حالة توتر وخوف سوى أحد الأساليب التي اتبعتها شيلي لـ"مساعدته على التحسّن". كما كان الإذلال جزءاً من نظامها الملتوي.

ذات مرة، تنحّت شيلي بتوري جانباً بينما كان رون جالساً معهما في غرفة المعيشة.

"هل تعلمين أن رون رُزِقَ بطفل منذ أمدٍ بعيد".

التفتت توري إلى رون فأشاح بوجهه.

أردفت شيلي: "في فيتنام. أنجبت فتاة منه طفلاً. نعم، طفل جميل. لكن رون الحقيّر لم يفعل شيئاً لإنقاذ الطفل ومات. أظن أنه كان أفضل شيء للطفل. مَنْ يرغب في أن يكون رون والده على أي حال؟".

نظرت توري إلى رون الذي تكوّر على نفسه كالكرة.

"رون رجل طيب، يا أمي".

احمرّ وجه شيلي، وتقلّصت ملامحها.

قالت بتوبيخ: "تجهلين أشياء كثيرة عنه، يا توري. إنه أسوأ الناس طراً، بلا ريب".

انكمش رون خوفاً بينما راحت شيلي تلقي قنابل الاتهامات بلا هوادة. وبّخته بسبب بدانته ومثليّته وفقدانه المقطورة. أي شيء يتبادر إلى ذهنها في سيل تنمّرها. وكانت إحدى هجماتها المفضّلة هي التشكيك في إخلاصه لها أو حبه لتوري.

"إنك لا تهتمُّ بنا أبداً يا رون. لا تعباً بنا. تصرّفاتك توضّح ذلك. تصرف وكأنك تمنُّ علينا. أنت رجل كبير لكنك من أحقر الحقراء. لا تكثرث بي. أنت تستغلني فحسب. هذه هي حقيقتك؛ استغلالي نذلاً من الطراز الأول".

في بعض الأحيان كانت تستغل اهتمامه بالآثار المصرية القديمة.  
"الآلهة تشمئزُ منك، يا رون. ستذهب إلى الجحيم، أيها الوضيع  
التافه".

قالت توري بعد سنوات: "كنت أنظر إليه فأرى وكأن الحياة قد  
استنزفت من عينيه. لم يكن يضحك أو يبكي، بل يظل جالسًا بصمت".  
لم تدرك توري وقتذاك أوجه التشابه بين ما يجري لرون وبين ما  
حدث لكاثي، لأنها كانت صغيرة جدًا حينها، لكنها رأت بوضوح أن رون  
فقد ذاته بعد انتقاله للعيش معهم.



## الجزء السادس

### الفرصة ماك



## الفصل الثاني والستون

مع ذلك، كانت شيلي لا تزال تجد في رون فائدةً لا غنى عنها. فقد استعانت به لرعاية چيمس "ماك" ماكلينتوك، الناجي من هجوم بيرل هاربر، وأحد الأصدقاء المقربين من عائلة والدة كاثي لورينو، كاي توماس (والمصادفة أنه كان السبب الذي دفع كاي لنقل العائلة إلى ساوث بيند في المقام الأول). كان رجلاً قويّ البنية، يفضّل الويسكي الرخيص، ويهوى النجارة. كان مولعًا بكلبته السوداء "سيسي"، وكان ممتنًا للدراجة البخارية التي ساعدته على التَّنْقُل في منزله المِطَّل على نهر ويلابا.

صوَّرت شيلي ماك بأنه الأب الذي لم تحظَ به قطُّ. كانت تُدَلِّك يديه الجافتين بكريمات الترتيب، وحرصت على تلبية كافة احتياجاته. وأخذت تتباهى بحب ماك لها أمام الآخرين، وتتصل به عدة مرات كل يوم للاطمئنان عليه. واعتادت زيارة منزله مرة أو مرتين يوميًا. أحبَّت توري ماك أيضًا، واعتبرته جدِّها، واستمتعت بزيارة بيته بينما

تهتمُّ أمها برعايته. ودأبت على الاستماع إلى قصصه، وأحيانًا كانت تتسابق معه بالدراجة البخارية في الشارع.  
وتتركه يفوز دومًا.

في أكثر من مناسبة، طلب ماك من شيلي أن تنتقل للعيش معه.  
وعوضًا عن ذلك، نقلت رون إلى منزل ماك.

وعرفت توري أن والدتها أخبرت ماك بأن رون مثلي الجنس.  
واعترض ماك على وجوده ليساعده. غير أن شيلي أصرت، لعدم استطاعتها البقاء معه طوال الوقت، في حين بوسع رون رعايته. في البداية، لم يكن ماك يرتاح لقيام رون بتحميمه وتلبية احتياجاته الشخصية؛ لكنهما استطاعا التكيّف بمرور الوقت. وراح رون يزوره كل يوم تقريبًا، بل وببيت بمنزله أحيانًا.

ورغم وجود غرف نوم أخرى في منزل ماك، لاحظت توري أن رون لم يكن يستخدمها. نزلت إلى القبو وفتحت مخزنًا صغيرًا بلا نوافذ. ووجدت في داخله بعض أغراض رون، من بينها بعض البطانيات. كانت المساحة ضيقة، أشبه بزنانة سجن صغيرة.  
فكرت توري: أمي تجبره على النوم هنا.

وذات مرة، عثرت على بعض الأغذية في مخزن الحطب أسفل مدخل المنزل. وعلى عكس زنانة القبو، كان المكان مُعرّضًا للهواء الطلق، ولكن الأرضية الترابية كانت رطبة.

ظهر جليًا أن شيلي كانت لا تزال تتحكّم في رون، برغم وجوده في منزل ماك، وبعيدًا عنها.

فكرت توري: إنه ينام حيثما تأمره.

\*\*\*

انفجرت لارا واطسن غضبًا عندما أخبرتها سامي أن شيلي تعتني برجلٍ مُسنٍّ يُدعى ماك. لم تكن ترتاح أيضًا لوجود رون في منزل آل نوتيك. كانت واثقة أن هناك شيئًا غير طبيعي يجري. واتّصلت فورًا بالنائب بيرجستروم في مكتب شرطة مقاطعة باسيفيك. واستفسرت عن قضية كاثي لورينو، فأخبرها أن القضية لم تُحلّ.

أوضح لها أنه منهمك في محاكمة كبيرة وسيعود إليها في أقرب وقت ممكن.

وأضاف: "سأواصل العمل عليها عندما أجد الوقت".

لم يرق لها ذلك البتّة. واتّصلت برئيس الشرطة المحلية، ديل شوبرت، فحثّها على منح سلطات مقاطعة باسيفيك فرصة لبناء القضية.

قال لها: "ربما يعملون عليها خلف الكواليس".

لم يطمئن بال لارا. وراحت تفكر في جرائم شيلي التي لا يمكن تصوّرها، وخشيت ممّا قد تفعله لاحقًا.

اتصلت أيضًا بجديّ شين من ناحية الأم، واللذين كانت تعلم أن القلق يساورهما على حفيدهما. فأخبرها أنهما لا يعرفان عنه أي شيء. وزعمت سامي أيضًا أن الشرطة لم تتواصل معها مباشرة، وهو أمر غير صحيح، لأنها لم تعاود الاتصال بالمأمور. كما لم تتصل الشرطة بنيكي بعدما تواصلت معهم للمرة الثانية، عقب تقديم إفادتها بشأن كاثي. لم يكن هناك سوى الصمت التام.



## الفصل الثالث والستون

كادت شيلى تقفز من السعادة حين زفّت لتوري الخبر. كان چيمس ماكلينتوك سيورث كل أملاكه لكلبته السوداء العجوز، سيسي، ولكنها أضافت "بعد وفاة سيسي، سيؤول المنزل وكل شيء لي".

شعرت توري بالسعادة والتفاؤل. فبعد أن فقدت والدتها وظيفه الأخصائية الاجتماعية لكبار السن، بدت متخبّطه قليلاً وأكثر عدوانية بوضوح. لكن خبر وراثة ثروة ماك منحها بصيصاً من الأمل. واختمر ذهن أمها بالأحلام والخطط.

أي خطط من شأنها صرف انتباه شيلى عن ألعابها السادية كان موضع ترحيب حار في مونهون لاندينج.

منح ماك شيلى وكالة قانونية في 7 سبتمبر عام 2001. وكان ذلك بمثابة جبل إنقاذ ثمين لعائلة نوتيك التي راحت تترجح تحت وطأة ضائقة مالية شديدة، دفعت شيلى للجوء إلى التدليس والتلاعب

بالأرقام المالية بشكل مفرط، لدرجة أنها كادت تفقد السيطرة على أكاذيبها.

لم يكن ديف على دراية بمدى سوء الوضع المالي حتى اتّصلت به زوجته وأمرته بطلب سُلْفة على راتبه. أبدى بعض التردد، فأخذت شيلي زمام المبادرة، وتقدّمت بطلب للحصول على قرض سريع في أبردين في 25 سبتمبر عام 2001، مُدعيةً أن دخل العائلة الشهري يبلغ 3500 دولارًا.

زاد تردّد ديف على المنزل خلال العطلات الأسبوعية، وتصاعَدت حِدّة المشاجرات. وحاولت توري تهدئة الأجواء بإحداث ضوضاء في غرفتها، لكن دون جدوى. ورغم حبّها الشديد لوالدها، شعرت بالاستياء من حضوره. أدركت بوضوح أن أمها تكبت غضبها من رون لحين وصول والدها لتنفيذ أي عقوبة تأمر بها.

كان محور الخلافات دائماً يدور حول أمرين: المال وضيْفهم رون.

قالت شيلي لديف: "يجب أن تفعل شيئاً بشأن رون".

لم يكن ديف يحتاج إلى طرح أسئلة لمعرفة التفاصيل. شرعت شيلي تسرد عليه قائمة طويلة بالمخالفات التي ارتكبتها رون حسب زعمها.

قالت شيلي ذات مرة: "لقد تبرز في الفناء، رأيتك بعيني. كنت أنعطف عند الزاوية وإذا به هناك. لا يمكننا السماح بمثل هذا التصرف".

فما كان من ديف، بعدما تبين تصميم زوجته، إلا أن انقضَّ على رون وأمسك بتلابيبه، وجذبه بقوة حتى فقد توازنه.

هتف ديف: "إيّاك أن تكرر هذا الفعل اللعين هنا".

كان رون مصدومًا، لكنه حاول تجنّب المواجهة بالسخرية أو بإلقاء نظرة استفزازية.

أكانت تلك ابتسامه استهزاء؟

مهما كانت، فقد أثارت حفيظة ديف أكثر.

قال ديف مقترَبًا منه: "هل تفهمني؟".

لم يردُّ رون، فضربه ديف على جانب رأسه. وبدت ملامح الدهول على رون.

قال رون أخيرًا: "لن أكررها".

\*\*\*

بمرور الوقت، وجدت شيلى -أو ربما صنعت- ضحيَّةً مستسلمة في رون وودورث. لم يكن يعارض قطُّ أوامرهما المستمرة مهما كانت سخيفة وقاسية. ولم يكن يُظهر أيَّ ردِّ فعل تقريبًا مهما فعلت به. أو مهما أجبرته على فعله بنفسه.

كانت صرخة شيلى كالطلقة في الظلام.

"أيها الحقير! افعلها!".

استيقظت توري فجأة، وتسألَّت من سريرها لتستطلع مصدر الضجيج. كانت تلك المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هذا العقاب بعينيهما. لاحقًا، ستتذكر أنها سمعت حدوثه مرارًا.

كان رون يقف بملابسه الداخلية في شرفة المنزل، جسده متصلَّب وعيناه زائغتان. هل من الخوف؟ أم الأدوية؟ وقفت شيلى أمامه وأجبرته على صفع وجهه بكلتا يديه بكل ما أوتي من قوة.

صرخت: "أقوى! يجب أن تستوعب الدرس، يا رون!".

لم تفهم توري كيف يفعل شخص ذلك بنفسه. أخذ يضرب وجهه بقوة مرة تلو المرة حتى أن رأسه كان يرتد إلى الخلف مع كل ضربة.

واصلت شيلي إلقاء أوامرها المهينة وإهاناتها الجارحة.

"أيها الشاذ! أيها المثليُّ الكسول! لا تجبرني على ضربك بنفسي! اعتذرْ!".

لم يكن رون يبكي، لكن هذه المرة ظهر عليه الخوف.

قال: "أنا آسف، عزيزتي شيلي".

"بعد كل ما فعلته من أجلك، تردُّ لي الجميل بالأعذار فقط. إنكِ تثير اشمئزازي، يا رون. حقًّا. تثير اشمئزاز الجميع. كانت والدتك مُحِقَّة حين طلبت منك الرحيل. كم كنت مغفلة عندما استقبلتك! أيها المثليُّ الجاحد!".

سمعت توري والدتها تُقرِّعه بالألفاظ النابية، لكن رد رون الوحيد كان: "أنا آسف، عزيزتي شيلي".

احمرَّ وجهه وشرع يبكي. ولسببٍ ما، استمرَّ في تنفيذ أوامرها، كأنه كان تحت تأثير التنويم المغناطيسي. استمر الوضع لمدة خمس دقائق كاملة على الأقل، وربما أكثر. وشعرت توري، مثلما شعرت شقيقاتها من قبل، بأن الزمن يتوقف حين تعدَّب والدتهن ضحاياها.

انسحبت توري إلى سريرها، وشدَّت عليها البطانية بإحكام، ووضعت الوسادة فوق رأسها. وكما فعلت مئات المرات من قبل، حاولت عزل نفسها عن كل شيء يحدث حولها. كانت تصرفات أمها غير مقبولة وقاسية جدًّا.

عندما سمعت الصفعات والصراخ مجددًا، استجمعت توري شجاعته وواجهت أمها.

"لماذا تجبرين رون على فعل هذا، يا أمي؟".

استهجت شيلي سؤالها، وأطلقت زفرة، كأن سؤال ابنتها، لا تصرفاتها، بعيدٌ عن المنطق.

أجابت: "ألا ترين أنه يسيء التصرف؟ إنه يستحق العقاب".

لم تقتنع توري. حتى لو أساء رون التصرف، فإنه لا يستحق هذا العقاب الشديد. ومطالب شيلي كانت مستحيلة التنفيذ.

أريد إزالة الأعشاب الضارة من هذه الحديقة قبل الصباح!

إيّاك أن تستخدم حمام البيت!

لِمَ تبرز بالخارج؟

حاولت توري اتباع نهج واضحٍ آخر، وتمنّت أن يلامس الجانب الإنساني في أمها.

قالت: "لكنك تؤذينه".

حدجتها شيلي بنظرة قاسية وقالت: "اذهبي إلى غرفتك ولا تخرجي. الأمر لا يعنيك".

صعدت توري إلى غرفتها. ورغم إدراكها ضرورة وجود مدافع عن رون، فإنها خافت من أن ضغطها على والدتها سيؤذيه أكثر. خلصت إلى أن أمها تفتقر لأدنى قدرٍ من الإنسانية. كان اتباع ذلك النهج فكرة حمقاء. كم كان تفكيرها ساذجًا!

واصل رون ارتكاب الأخطاء و"إساءة التصرف"، كما زعمت شيلي. كان عالقًا في مصيدة لا مهرب منها، غير قادر على تفادي غضب شيلي. وشهدت توري مواجهة أخرى حول الإفرازات الجسديّة.

سألت شيلي ذات مرة بينما ترفع كوبًا ممتلئًا بالبول: "ما هذا، يا رون؟".

نظر رون إلى الكوب ثم أخفض بصره. قال: "اضطرت للذهاب إلى الحمام ولم أود إيقاظك".

كانت تلك قاعدتها! كانت هذه أوامرها!

قالت: "إنك تثير اشمئزازي، يا رون. لا أستطيع تحمُّل هذا الأمر في منزلي. هذا بيتي، يا رون! عاداتك القذرة تثير غياني!".  
"أنا آسف، عزيزتي شيلي".

مكتبة  
t.me/soramnqraa

ناولته الكوب.  
"اشربه!".

ومن دون أي تردُّد، وضع رون الكوب على شفثيه وجرعه دفعة واحدة.

بعد عدة أسابيع، رآته توري يفرغ كوبًا من البول من النافذة. التقت أعينهما.

قالت: "لا تقلق. لن أخبر أُمي".  
و لم تفعل.

لم يرغب أحد في إثارة سخط شيلي.

لم تنطق توري بكلمة سيئة بحقُّ رون لأنها كانت تحبه، ولم ترغب في أن يعاني بسببها.

ذات مرة، كان رون يُزيل الأعشاب الضارة بالآلة، وكانت أمها مستاءة بسبب أدائه البطيء. ولم يكن خطأه، بل راحت الآلة تتعطل. وراح صوت تشغيل محرِّكها وإيقافه يزيد من غضب شيلي. وشعرت توري بالتوتر والخوف يملآن الأجواء. فتوجهت إلى الفناء لثريه كيفية تشغيل الآلة التي تعمل بالغاز.

ولتمنع أمها مما قد تفعله.

شهقت توري حين وصلت إليه. رآته منحنياً فوق الآلة، ويحاول جاهداً تشغيلها. كان شبه عارٍ، ورأسه الأصلع وظهره محروقان بشدة

بفعل الشمس. ولم يكن هذا أسوأ ما في الأمر. كانت قدماه تنزفان،  
وجلد يديه ممزَّق.

همست توري كيلا تسمعها أمها: "عمي رون. أنا آسفة للغاية".

تمنّيت لو يفرُّ، ولا يعود أبداً، وأن يبتعد قدر المستطاع عن أمها.  
لم يعد يهمها أن إساءات أمها نحوها قد خفّت بالتزامن مع تصاعد  
معاملتها القاسية لرون. كانت أقوى وستتمكّن من الصمود.

عندما قرّرت أمها أن رون بحاجة للانتقال إلى منزل ماك لرعايته  
على مدار الساعة، داخل توري الارتياح العميق.

فكّرت: سيكون في مأمن هناك. ستعود الأمور إلى مجراها الطبيعي.  
أيّ كان هذا "الطبيعي".



## الفصل الرابع والستون

مفهوم الحياة الطبيعية يختلف باختلاف الظروف والأشخاص، لكنه لم يَدُم طويلاً في طريق مونهون لاندينج.

في 9 فبراير عام 2002، وبينما راحت توري تستعدُّ لحضور مباراة كرة القدم في مدرسة ويلابا قالي الثانوية، اتَّصلت بها أمها لتخبرها بأنها في المستشفى.

قالت شيلي بصوتٍ مرتعشٍ قليلاً: "لقد وقع ماك، أصيب بجروح خطيرة. سآتي لاصطحابك الآن".

كانت توري تحب ماك مثلما أحبَّت رون. كانت تتوق لعائلة حانية تترعرع في كنفها. فقد كانت الفجوة العمرية بينها وبين شقيقتها كبيرة، كما غاب والدها عن المنزل معظم الوقت؛ لذا وجدت في ماك ورون عائلة بديلة ترعاها.

أو على الأقل بقدر ما سمَّحت أمها بذلك.

عندما جاءت أمها لاصطحابها، بدت قلقةً لكنها لم تكن في حالة هستيرية. غمغمت بكلام عن وقوع حادث واعتقادها بأن ماك لن ينجو.

كَّرَرَتْ: "حالته جدُّ خطيرة. كان رون هناك حين حدث ذلك".

شعرت توري بالأسى تجاه رون، فهو شخص لطيف ولا بُدَّ أن القلق يسيطر عليه. وما كادت تصلان إلى المستشفى، حتى أبلغتهما الممرضات بأن ماك قد توفي. انفجرت توري بالبكاء وانهارت في حضن أمها. لم تَبْدُ شيلى حزينة على الإطلاق.

الحق أنها كانت في قمة السعادة. لقد ورثت خمسة آلاف دولار. كان عليها التفكير بالطبع في الكلبة سيسي، لكنها عجوز ولن تعيش طويلاً، وبعدها سترث شيلى منزل ماك الذي تزيد قيمته عن مائة وأربعين ألف دولاراً.

ظَلَّت وفاة ماك لغزاً إلى حدِّ ما. في البداية، كانت شيلى غامضة بشأن الحادثة. كان رون قد اتَّصل بالطوارئ مدعيًا أن ماك سقط وضرب رأسه. ولم تُبَدِ السلطات اهتمامًا كبيرًا بالأمر. واكتشفت توري لاحقاً أن الطبيب المعاین أحال القضية إلى الطبيب الشرعي ومكتب المدعي العام لمزيد من التحقيق، عندما أُكِّد أن ماك توفي بسبب نزيف داخلي حاد في الدماغ نتيجة ضربة قوية على الرأس. ربما كانت الضربة ناتجة عن سقوط. لكن لم يتم إجراء مزيد من التحقيقات في النهاية.

وبذلك انتهى الموضوع. رحل ماك. هكذا ببساطة، صارت شيلى ثريَّة. كانت الأوضاع تتحسَّن بشكل ملحوظ.

بعد أيام قليلة من وفاة ماك، وفي عيد الحب، نزلت توري إلى الطابق السفلي لتجد أمها تغلّف أكبر صندوق شوكولاتة رأتها في حياتها.

كتبت في دفتر يومياتها المدرسي في اليوم التالي:

"كنت واثقة أنه من أجلي. تسلّلتُ على أطراف أصابعي إلى الطابق العلوي كأنني لم أر شيئاً. ثم بعد عشر دقائق تقريباً نزلت إلى الطابق السفلي وبالفعل وجدته لي!".

رغم الميراث -المال والمنزل في ساوث بيند والكلبة سيبي التي كانت مقيّدة خارج البيت- عادت شيلي لعاداتها القديمة، قبل حتى التهام آخر قطعة شوكولاتة في الصندوق الكبير. وكأن حظها السعيد كان مجرد جرعة هواء كبيرة تنشّقت إياها دفعة واحدة. كان المال، الذي لطالما لهت وراءه طيلة حياتها، مُرضياً بالطبع.

لكن ألعابها القديمة كانت أكثر متعة وإشباعاً.



## الفصل الخامس والستون

سرعان ما تحوّل ما حدث في منزل ماك في ساوث بيند من مأساة عامة إلى فرصة شخصية. استغلّت شيلي الحادثة كذريعة لهجوم جديد على رون. وكانت تفعل ذلك بقسوة واستمرار. ذات مرة، عندما كان رون يعمل مجددًا في الفناء في مونهون لاندينج، سمعت توري أمها تصرخ عليه بخصوص الأمر.

"لقد قتلت ماك! أنت قاتل".

حاول رون الدفاع عن نفسه، لكنها دفعته إلى الأرض ثم دخلت المنزل.

قالت لتوري بينما تتحرك بغضب: "لقد قتل ماك! لا أستطيع العيش مع قاتل".

لم تستطع توري فهم الأمر؛ ظنّت أن وفاة ماك حادث عرضي. كما أنها لم تتخيّل أن يؤذي رون أحدًا.

وذات مرة، كان ثلاثتهم جالسين في المطبخ؛ توري عاكفة على شؤونها، ورون وأمها في خضم أحد خلافاتهما.

سألته: "ما شعورك إذا كان القاتل يعيش في منزلك؟".

لم يردُّ رون، وأطرق بنظره إلى الأرض.

استطردت شيلى: "لا أشعر بالراحة على الإطلاق. لقد قتلتَ ماك، يا رون. أنت قاتل لعين".

لم يُجر جوابًا مجددًا.

لم تصدق توري كلمة واحدة ممَّا قالت. ولعلَّ شيلى استشعرت تردُّدها في مشاطرتها الرأي بأن رون قاتل؛ لذلك واصلت الاستعانة بأساليب جديدة لإثارة الموضوع.

ومع مرور الوقت، حدث شيء غريب. شرع رون يوافقها الرأي.

قال: "أنتِ مُحِقَّة، لقد قتلتَه. لا تخبري أحدًا، أرجوك".

زادت شيلى من معاناته.

"أنت لا تخيِّب ظني يا رون. أبدًا. لن أبلغ عنك. لكن عليك أن تعرف أنك تثير اشمئزازي. أنت قاتل".

تارة أخرى، أخذت أمها استراحة من مشاهدة التلفاز لتخبر توري بأحدث نسخة عمَّا جرى في منزل ماك يوم وفاته.

"سقط من كرسيه المتحرك وضرب رأسه بقوة. وقف رون بلا حراك ولم يمدَّ له يد العون. تأخَّر في طلب المساعدة حتى فات أوان إنقاذه. رون وغدٌّ وعديم الفائدة، يا توري. أعرف أنك ترينه رجلًا طيبًا. لكن فكَّر في الأمر. إنه قاتل! لقد قتل ماك! ماك كان بمثابة جدِّك".

وفي نسخة أخرى من وفاة ماك، أخبرتها شيلى أن المحارب المخضرم المسنُّ سقط في غيبوبة وتركه رون يموت.

"لم يتصل بي إلا بعد فوات الأوان. هذا يُعدُّ قتلًا، يا توري. إن رؤية هذا المثليّ تثير اشمئزازي".

فكَّرت توري: لا تتحدثي عن رون بهذه الطريقة. غير أنها لم تقل سوى: "لم أعرف ذلك، يا أمي".

وبينما راحت شيلي تبدي احتقارها تجاه رون وتستنكر ما زعمت أنه فعله بماك، أخذت تنتقد بشدة أيضًا وصية الأخير.

شرحت لتوري: "لقد خرَّب المحامون القضية تمامًا. سأخبرهم أن سيسي ماتت دهسًا بسيارة. يجب أن تدعّمي أقوالي. ليس هناك ما يدعو للقلق. لكن عليك أن تفهمي أن هذه القصة مهمة جدًا لعائلتنا".

قالت توري: "حسنًا، يا أمي". ظنَّت أن الأمر يكتنفه بعض الغرابة لكن ليس مرؤوعًا. سترث أمها المنزل على أي حال. صحيح أن أمها ارتكبت أفعالًا فظيعة بحقها وبحق رون، لكنها لن تؤذي كلبة بالتأكيد.

قالت شيلي: "بمجرد تجديد المنزل وبيعه، سيصير بحوزتنا المال اللازم للانتقال إلى أوك هاربر ونستأنف حياتنا العائلية".

قد يكون ذلك بالنسبة لمعظم الأطفال حلمًا يتوقون إليه، لكن تفكير توري انصبَّ على المشاجرات الطاحنة المستمرة بين والديها حين يعيشان معًا.

سيغدو العيش تحت سقف واحد كابوسًا يوميًا.  
كابوسًا مريعًا.

\*\*\*

في 19 مارس عام 2002، بعد شهر تقريبًا من وفاة ماك، وتسعة أشهر من إبلاغ لارا ونيكي عمًا حدث لكاثي لورينو، تلقت لارا واطسن رسالة للاتصال بالنائب چيم بيرجستروم. أخيرًا، هكذا فكرت.

كانت لارا قد سمعت بوفاة الرجل العجوز الذي كانت شيلي تعتني به.

قالت للنائب: "لقد قتلته".

ردًا عليها: "لا تعلمين ذلك على وجه اليقين".

"أراهن أنها سمّته".

"كان رجلاً عجوزًا، يعاني من المرض منذ وقت طويل".

سألته: "من يعتني بالكلبة؟".

أجاب: "شيلي".

قالت: "ترك لها المنزل".

"نعم، وهي تعتني بكلبته".

أصرت لارا: "ربما ستُسمّ الكلبة أيضًا".

قال: "الكلبة بخير، رأها أفراد الدورية".

تابعت لارا وقالت إن شيلي قد تكون قتلت ماك. كانت متيقنة تمامًا اليقين من أن كاثي قد قُتلت. نيكي لم تكن تكذب بأي شكل من الأشكال.

قالت لارا أخيرًا: "لا أعرف كيف تديرون الأمور في مقاطعة باسيفيك، لكن هذا الوضع غير مقبول على الإطلاق. يجب أن تفعلوا شيئًا. لا بد أن تعرفوا ما حدث لكاثي لورينو. هل تحدثتم مع سامي؟".

أجابها أنه لم يتمكن من التواصل معها حتى الآن.

لم تقنعها إجابته.

"إنها في رايمند كل عطلة أسبوعية، أيها النائب. إنها قَلِقَةٌ على أختها الصغيرة. وتذهب للتأكد من سلامة توري. هل هذا منطقي؟".

أصرَّ الملازم بيرجستروم على تفهّمه للموقف، ولكن ماذا كان بوسعه أن يفعل أكثر؟ رفّضت سامي الرد على اتصالاته.

أغلقت لارا الهاتف. لم تصدّق أنه بذل أي جهد.

\*\*\*

استمرّت سامي في تواصلها السري بأختها الكبرى. كانت تدافع عن نيكي أمام توري عندما تتّهمها الأخيرة -مُرَدِّدَةً كلام أمها- بالوقاحة وسوء الأخلاق. لكنها لم تتماذّ في دفاعها، لم ترغب في الكشف عن قُربها من نيكي خشية أن تفضحها توري. كما فعلت سامي للأسف حين وشت بنيكي وشين. كان بوسع أمهن كشف الخبايا ثم إلقاء اللوم على مَنْ يبوح بها.

في مايو 2002، وبعد أسابيع قليلة من مكاملة لارا للنائب بيرجستروم، ذهبت سامي خلسة إلى ساندي في أوريجن، وحضرت حفل زفاف نيكي في المكان نفسه الذي أقيم فيه حفل زفاف لارا. شعرت سامي ببالغ السعادة من أجل أختها. لقد وجَدَت نيكي الرجل المناسب، وكانت تعيش حياةً بدت مستحيلة في طفولتهما.

عندما أُجبرت على التمرغ في الوحل.

وعندما قيل لها إنها لن تنجح في الحياة.

وأنها لن تجد أبدًا شخصًا يحبها.

تمنّت سامي، التي ما زالت تُكِنُّ الحب لأُمها، لو كانت شيلى حاضرةً في حفل الزفاف. كانت تتفهّم الأسباب الكامنة وراء استبعاد شيلى بالطبع. فلماذا ستدعو نيكي جلاّدتها؟

مع ذلك، قالت سامي لاحقًا: "شعرت بالحزن لافتراقهما".

ومن دون أن تخبر أحدًا، ارتدت خاتمًا مميّزًا في إصبعها. كان "خاتم الأم" مرصعًا بأحجار ميلاد نيكي وتوري وميلادها ومثبته جميعًا في حلقة ذهبية. كان هديّةً خطّطت سامي لتقديمها لشيلى في اليوم التالي، في عيد الأم. كان الخاتم سرًّا صغيرًا آخر في عائلة اعتادت إخفاء ودفن أسرار لا تُحصى.

وبارتداء الخاتم، شعرت سامي وكأنّ "أمي حاضرة في حفل الزفاف".

\*\*\*

بعد وفاة ماك، كثرت رحلات ديف نوتيك إلى المنزل حتى اهترأت إطارات شاحنته. كان زواجهما قد واجه مشكلات عصبية في الماضي، لكنهما حاولا إيجاد أرضية صلبة. لم يستطع ديف الاستغناء عن شيلى فعليًا. ورغم إدراكه أن علاقتهما كانت سامّةً، فإنه عجز عن التوقّف عن حبها.

من جانبها، أخبرته شيلى أنها بحاجة أيضًا، وأن الوقت الحالي هو الأنسب لبدء حياة جديدة، وأن الابتعاد عن مقاطعة باسيفيك نهائيًا هو الحل الوحيد لبقائهما معًا. كانت تواجه ضغوطًا بسبب الميراث، وكان رون يُسبّب لها متاعب كثيرة.

بعد أحد لقاءاتهما الأسبوعية في يونيو 2002، ترك ديف لشيلى رسالة حبّ مُتّقدة. وكذأبه، خاطبها باسم التدليل "أرنبتي".

"أكره الابتعاد عنك. يؤلم قلبي بشدة. ليتني أكون بجانبك طوال حياتي".

أشار إلى أنه سيبحث عن مكان للإقامة في أوك هاربر، سواء أكان للإيجار أو للشراء على المدى الطويل، وأنهما بحاجة للابتعاد عن رايمند وبدء حياة جديدة.

"أينما كنت، أشعر بلمستك وكأنها تمس قلبي مباشرة. أحسُّ بحبك لي رغم أنني لا أستحقه. أحبُّك بلا حدود إلى الأبد".

كان ديف يعلم في قرارة نفسه أن زواجهما لن يصمد طويلاً من دون تغيير جذري. لكنه لم يفصح عن ذلك صراحة، ولم يخبر زوجته قط.

\*\*\*

رغم الدعم القوي من جانب زوجها، واجهت شيلي صعوبات أكبر مما توقعت. فوجئت بالمعاملة القاسية التي تعرّضت لها هي وزوجها بعد حيازة منزل ماك. وشرع الجيران، يترأسهم مأمور متقاعد من مقاطعة باسيفيك، يشككون في حق آل نوتيك في ميراث ماك. وأبدى المأمور شكوكاً حيال ما حدث في المنزل.

لم تفهم شيلي سبب هذه المعاملة القاسية، رغم لطفها مع ماك الذي اعتبرته والدها. كانت تجلب له الحساء، وتطلب من رون الاعتناء به، وحتى تكلف الأخير بالعمل في فناء بيته. لم تستطع تخيل شخص أكثر لطفًا منها.

اتصلت شيلي بمحاميتها مجددًا في 4 سبتمبر عام 2002. وسجل المحامي الاتصال وأبلغ محامياً آخر وكنّته شيلي بضرورة اتخاذ إجراء حيال المضايقات.

"تكررت زيارات الشرطة إلى منزل ميشيل وزوجها في ساوث بيند للتحقق من هوياتهما وتعكير صفو حياتهما. بل وحذر أحد الضباط ديف من ضرورة توخي الحذر أثناء القيادة في تلك الليلة".

ومع كل نظرة فاحصة، صبت شيلي جام غضبها على الجميع وكل شيء، لا سيّما رون. فبعد أشهر من وفاة ماك، واصلت توجيه الاتهامات إليه.

"أنت قتلت ماك، يا رون. لقد قتلته، أيها اللعين!".

"لم أقتله، يا شيلي. لقد سقط. سقط من مقعده".

"كاذب! أعرف ما فعلت، والشرطة ستأتي وتأخذك. أقسم أنهم سيفعلون!".

كان التهديد المستمر بالقبض عليه وسجنه بسبب مقتل ماك يطارد رون باستمرار. واعتاد الانحناء في السيارة عند مرور دوريات الشرطة. وعند سماع طرقي على الباب، كانت شيلي تصرّ على أن يختبئ.

"إيّاك أن تُصدر صوتًا! سيأخذونك ويضعونك خلف القضبان للأبد!".

فطنت توري إلى تصرّفات أمها؛ كانت شيلي تزرع الرعب في قلب رون؛ خوفًا من أن يفضحها إذا أُلقت الشرطة القبض عليه، ويخبرهم بكل ما فعلته به.

## الفصل السادس والستون

آخر مرة رأته فيها ساندر براودريك صديقها القديم رون وودورث كانت خلال تناولهما الطعام في مطعم سلايتر في رايمند في صيف عام 2002. بدأ رون ضعيفًا ومريضًا. شعرت بالصدمة من التغيير الذي طرأ عليه، سواء من الناحية العقلية أو الجسدية. كان رون معروفًا بذكائه وخفة دمه، وتمتعه بشخصية جذابة تستقطب الناس من حوله. لكن هذا الرجل كان مختلفًا تمامًا. أخبرها أن شيلي تعطيه مجموعة من الأدوية لعلاج الاكتئاب. وراحت ساندر تراقبه بقلق بينما يتناول الدواء مع طعامه.

قال بينما يتناول حبة خضراء، ثم حبة بُنيَّة، ثم كبسولة بيضاء وهما يجلسان في مقصورة بالمطعم: "الأدوية تساعدني، لكنني ما زلت أعاني من الصداع. أزور طبيبًا وأخصائيًا نفسيًا في الولاية أيضًا".

قالت ساندرامتذكرةً: "كانت ملابسه ممتسخة وغير مهندمة، رغم أنه كان يهتم بمظهره سابقًا. كان مشتتًا، كلامه غير منطقي وغير متماسك".

كلما تحدّث أكثر، زاد قلق صديقه القديمة. وأدركت بوضوح أن رون يعاني من مشكلة خطيرة. وأخبرته بذلك.

لكن رون اكتفى بالنظر إليها بعينين خاليتين من التعبير. وتراءى لها أنه لا يفهم ما تقول. كأنه غارق في الضباب، غير مدرك تمامًا لمدى ضعفه ونحوه.

"لم يكن رون الذي عرفته منذ عشرين عامًا".

لم يمض وقت طويل منذ تناول الطعام في مطعم سلايتز، حتى تلقت ساندرامكاملة غير متوقّعة من رون أسعدتها للغاية. وللمرة الأولى والأخيرة، أشار إلى أن هناك بعض الأمور التي تزعجه بشأن شيلي.

قال: "إنها تمتلك سيارتيّ ولا تريد إعادتهما لي".

لم تصدق ساندرامما تسمعه. "لا تريد إعادتهما؟".

أجاب: "أجل. برغم إلحاحي في طلبهما".

أثارت هذه المعلومة قلق ساندرامحتى إنها قادت سيارتها من منزلها في آيرون سبرينجز لمراقبة منزل مونهون لاندينج. قادت سيارتها ببطء ولاحظت أن سيارتيّ رون، إحداهما بلون حنطي والأخرى زرقاء، متوقّفتان أمام المنزل.

لم تترجّل ساندرامللاستفسار.

اعترفت قائلة: "لم أرغب في مواجهة [شيلي]".

لوفعلت، لربما اكتشفت ما كانت شيلي تخفيه.

شعرت سامي أيضًا بالقلق من التغيرات التي لاحظتها على رون.  
وسألت والدتها عن فقدانه الكبير للوزن.  
"هل رون بخير؟".

اتخذت شيلي وضعًا دفاعيًا وأجابت: "ماذا تقصدين؟".  
"هل هو مريض أو يعاني من مشكلة؟".  
"كلًا".

"لقد فقد الكثير من الوزن يا أمي. هذا كل ما في الأمر".

"كان بحاجة لفقدان الوزن، يا سامي. كان بدينًا. إنه يتناول طعامًا  
صحيًا. لم يعد يأكل الوجبات السريعة. إنه في قمة لياقته البدنية. لديه  
عضلات لم يكن يعلم بوجودها".

تحدّثت والدتها بفخر عن مدى تأثير العمل في المنزل على لياقة  
رون البدنية.

قالت: "يستمتع بقضاء الوقت خارج البيت والقيام بالأعمال  
المنزلية".

ثم قصّت شيلي شعر رون بالكامل، بما في ذلك ذيل الحصان  
الذي يحبه كثيرًا. استوقفته سامي في الفناء وسألته عن الأمر بعدما  
اطمأنت أن أمها لن تسمعهما.

قال: "أحب شكلي هكذا. أحب أن يكون الشعر كله مقصوًا".

واستفسرت أيضًا عن مشكلات أسنانه؛ لم يتبقّ لديه سوى سنّ  
واحدة في المقدمة.

قال بنبرة تتجاهل الأمر: "كانت تلك الأسنان الأخرى مزيفة على  
أي حال. سأقوم بتركيب طقم أسنان صناعي عمّا قريب، يا سامي".

بالطبع، لم يكن هذا ليحدث. عندما بدأت أسنان رون تسقط، سألت توري أمها لماذا لا يأخذونه إلى طبيب الأسنان.

قالت: "إنه بحاجة إلى أسنان صناعية، يا أمي".

رفضت شيلي الاقتراح رفضًا قاطعًا.

"لا يمكنه الذهاب إلى طبيب الأسنان لأن هناك مذكرات اعتقال كثيرة صادرة بحقّه. لا يمكنهم علاجه". وأردفت: "كما أن أطقم الأسنان الصناعية باهظة الثمن".

## الفصل السابع والستون

آخر مرة رأَت فيها نيكي والدتها كانت في مطعم أوليف جاردن في أولمبيا عام 2002، العام الذي مات فيه ماك. راوَدَ نيكي التردُّد بشأن هذا اللقاء، لكنها ظنَّت أنه ليس لديها ما تخسره. ربما تتحسَّن الأمور؟ واصلت سامي إبلاغها بأن توري كانت بخير.

"تقول إن أمي غريبة الأطوار، لكنها تُعاملها جيدًا. ليس مثلما كانت تعاملنا".

كانت شيلي ترتدي ملابس أنيقة لهذه المناسبة، وبدت في حالة جيدة. وسرعان ما تبَيَّنَت نيكي أن مظهرها الجميل لم يكن سوى تمويه.

لم تتغيَّر مطلقًا.

قالت نيكي: "كانت فظةً جدًّا مع النادلة. وأخذت تهينها، وتعيد الأطباق. ظللتُ أفكّر، لست بحاجة للجلوس معها ورؤية تصرفاتها القاسية والبشعة. كانت رؤيتها غلطة شنيعة".

لم تخبرها نيكي بأي شيء عن حياتها. كانت قد أغلقت باب الحديث قبل التحلية.

"لم أرها مُجدِّدًا بعد ذلك".

\*\*\*

استمرّت توري نوتيك في التظاهر بالشجاعة والقوة. ولم تخبر شقيقتها أو أي شخص آخر بما كان يحدث في المنزل. ليس لأنها لم تكن ترغب في محاسبة والدتها على أفعالها، بل لأنها خشيت العواقب الوخيمة لمحاولة استفزازها.

بعد كل ما رآته، كانت توري مرعوبة مما قد تفعله أمها بها. وكانت تلوم نفسها على كل ما حدث.

كتبت إلى والدتها في دفتر يومياتها:

"أعلم أنه قد يبدو أحيانًا أنني لا أفهمك أو أنني ببساطة لا أريد ذلك. لكن هذا غير صحيح بالمرّة. بوسعي دومًا فهمك وسأرغب في ذلك دائمًا. أنا حزينة من كوني مصدر إحباط كبير لك ولأبي. أعرف أن هذا خطئي".

أدركت توري أن أمها لا تكون سعيدة إلا عندما ترى شخصًا أمامها يعاني، رغم أنها لم تستطع التعبير عن ذلك بالكلمات. لا بُدَّ أن هناك كلمة تصف الشخص الذي يجد سعادته في ألم الآخرين. أيًا كانت، فقد استعصت عليها. أن تبتسم عندما يصرخ شخص ما؟ أن تستمتع برؤية ألم الجرح أو الحرق؟

لماذا كانت والدتها مجبولة على هذه الطريقة؟

في عدة مناسبات، سمعت توري والدتها تأمر رون بالاخْتِباء تحت المكتب الكبير في غرفة المعيشة المجاورة لغرفة نومها. دفعها صوت تحريك الأثاث للتحقق مما كان يحدث هذه المرة.

قالت شيلي: "ستبقى هناك حتى أسمع بكاءك".

حشر رون جسده تحت المكتب وغمغم: "أنا آسف، عزيزتي شيلي".

"لا يكفيني أسفك، أيها الشاذُّ التافه!".

شرع رون يبكي.

زاد غضب شيلي.

صاحت: "يا لك من مُدَّعٍ لعين! أعلم أنك تتصنَّع!".

طلبت توري من والدتها السماح لها بإخراج رون.

أجابت شيلي بحزم: "كلًا. إنه مُعاقب. دعيه وشأنه. لقد أساء التصرف. لا أريد الخوض في التفاصيل. فقط اتركيه".

بعد فترة وجيزة، لاحظت توري أن أمها أطلقت سراح رون. لكن ذلك لم يدم طويلاً. وسرعان ما عاد إلى تحت المكتب مرة أخرى وهو يبكي.

كانت متأكدة تمامًا حينها أن دموعه حقيقية.



## الفصل الثامن والستون

في ربيع عام 2003، حاول نائب مأمور مقاطعة باسيفيك، جيم بيرجستروم، تسليم رون أمرًا قضائيًا بعدم التَّعَرُّض، بناءً على طلب والدته. وحين وصل إلى منزل آل نوتيك لمح رون يقف على الشرفة. كان نحيفًا أشبه بالعنكبوت. نظر رون بفرح إلى النائب، ثم فرَّ هاربًا إلى الحقل عبر فتحة ضيقة في السياج.

هتف بيرجستروم: "توقَّف، يا رون! جنُّ لأسلمك أوراقًا".

بعد اختفاء رون في الغابة خلف المنزل، استسلم النائب وطرق الباب. وطفق ينتظر طويلًا. وعندما لم يجب أحدٌ غادر، رغم تيقُّنه بوجود شخص في المنزل.

وكان هناك بالفعل شخص.

بعد خمس عشرة دقيقة، تلقَّت وحدة الطوارئ مكالمة من شيلي نوتيك. كانت غاضبة ومتوترة وقلِّقة. وطلبت مقابلة النائب أمام

مكتب بريد رايمند لمعرفة ما يجري. وهناك أخبرها بيرجستروم بأمر عدم التّعريض وضرورة تسليمه لرون.

قالت شيلي بينما تنظر بثبات في عينيه: "إنه لا يعيش معنا الآن. إنه يقطن في تاكوما".

ردّ عليها النائب بحدّة: "أكره الخداع. لقد رأيتك في منزلك قبل أن يفرّ. أنا واثق أنه كان هناك".

وكدأبها، أجابت شيلي بردّ سريع، فلطالما كانت بارعةً في التبرير.

"ربما هرب لأنه يعلم بوجود مذكرات توقيف بحقّه. إنه مريض، وقد كنت أعتني به. لديه مشكلة في القلب".

ثم وعدته بأنها ستطلب من رون الاتصال به.

قبل مغادرته، سألتها بيرجستروم عن كاثيرين لورينو. أخبرها أن عائلتها ما زالت قلقة من اختفائها المفاجئ مع صديقها سائق الشاحنة. وأضاف أن شقيق كاثيرين استعان بمحقّق خاص للبحث عنها، وأن والدتها نشرت إعلانًا للبحث عن مفقود في الصحيفة.

قالت شيلي: "لم أسمع عنها شيئًا منذ فترة طويلة".

ولم يسمع عنها أحد.

أثار هذا اللقاء مخاوف شيلي، ولم يكن ذلك يتعلّق برون. بل كان بسبب استمرار تساؤلات عائلة كاثيرين -رجال الشرطة- حول مكان وجودها.

بعد فترة قصيرة، أخبرت شيلي ابنتها سامي أنها التقت بوالدة كاثيرين، كاي، في متجر بقالة.

قالت لابنتها الوسطى: "كانت لطيفة كعادتها. استمتعت بالثرثرة معها".

لم تصدِّق سامي أن هذا اللقاء قد حدث بالفعل. في البداية، اعتبرت الأمر مجرد كذبة من والدتها التي كانت تشعر دوماً بحاجة قهرية للكذب. كان الكذب مثل التَّنْفُّس بالنسبة لشيلي. ولم تفهم سامي سبب إصرار والدتها عليه، في حين أن الصمت هو الخيار الأذكي. لكن سرعان ما فطنت إلى السبب الحقيقي. كان حديث أمها عن اللقاء المزعوم مع والدة كاثي مجرد وسيلة لاختبار الوضع، وعذراً للعودة مجدداً لموضوع كاثي.

سألتها: "هل تذكرين اسم صديقتها؟".

أجابت سامي بتردُّد: "روكي؟".

كان سؤالها أشبه باختبار مفاجئ، برنامج مسابقات، منخاس لدفع حقيقة مزيفة.

قالت شيلي بغضب: "فكِّري! هل تتذكرين وظيفته؟".

حاولت سامي أن تجيب بدقة أكبر.

"سائق شاحنة!".

وهكذا استمر الأمر. أخذت شيلي تستجوب سامي مراراً حول شكل روكي، وكم كانت كاثي مغرمة به، ورحيلها لتعيش الحياة التي لطالما حلمت بها.

"إذا جاءت الشرطة، هل تعرفين ماذا ستقولين؟".

أجابت: "نعم، يا أمي. أعرف".

واستمر الأمر على هذا المنوال، وجهاً لوجه وعبر الهاتف. كانت شيلي توجِّه لابنتها الأسئلة وتضعها في مواقف افتراضية. أحياناً، كان ديثف يخضع لنفس الاستجواب. وفي جميع الحالات، كان هدفها التأكد من أن الجميع يفهمون مدى خطورة الموقف.

"عائلتنا ستنهار. فكّروا في توري! سيضعونها في دار الرعاية!".

ورغم كل الاستعدادات، لم يكن بوسع شيلي أن تتوقّع ما جرى لاحقًا، عندما ارتفعت حدّة الموقف من متوسّطة إلى شديدة.

\*\*\*

أخذت شيلي تفرّز البريد أثناء جلوسها مع توري في السيارة. كانت تهمل الفواتير دائمًا، بينما شرعت تبحث عن الأشياء التي تهمها؛ شيك من زوجها، أو عرض من إحدى الشركات، التي تبيع منتجاتها الرخيصة عبر الكتالوجات، لشيء لا تحتاجه حقًا.

وبالطبع، لم تكن تملك المال الكافي لشرائه.

فتحت شيلي رسالة، وعلى الفور تكهرب الجو في السيارة. شحّب وجهها وارتجفت يداها. وظلّت عيناها مثبتتين على الرسالة، التي كانت موجّهةً إليها وحدها، ومكتوبة على آلة كاتبة، ومرسلة من أوليمبيا بتاريخ 18 أبريل 2003.

"الطلقات التي سمعتها الليلة الماضية كانت من كاثي. لقد قامت من الموت، مثل الرّبّ يسوع المسيح، وعادت لتنتقم منك. لأنّك تُرابّ، وإِلَى تُرابٍ تَعُودُ...".

أصيبت شيلي بالهلع. فقد سمعوا جميعًا طلقًا ناريًا الليلة السابقة، عندما أطلق شخصّ النار على ضوء الأمان الخاص بأحد الجيران.

وعلى مدار الأيام التالية، راحت شيلي تسأل توري مرارًا عمّا إذا كان أحدهم قد جاء يسأل عن كاثي.

"إنه أمر في غاية الأهمية، يا توري. هل سأل أحد؟".

أجابت: "كلّا، يا أمي. أقسم".

"فكّري جيّدًا!".

"لا. لم يأتِ أحد".

لم تفهم توري سبب قلق والدتها المفرط. فعلى حدِّ علمها لم تكن كاّثي، التي بالكاد تتذكّرُها، ميتة، بل هربت مع حبيبها، وتعيش حياة سعيدة. لماذا قد ترغب كاّثي في الانتقام من أمها؟ كانت كاّثي أعزُّ صديقة لوالدتها.

أبلغت شيلي ديف بالرسالة، ولم يكن لديه أي فكرة عن مصدرها. ولم يعتقد أن نيكي قد تخون العائلة. ربما سمع أحد أفراد عائلة كاّثي شيئًا وأراد الثأر لموتها؟ لكن لو أن هذا صحيحًا، لكان قد توجّه إلى الشرطة.

وعلى حدِّ علمهما، لم يحدث ذلك البتّة.

في حالة من الذعر الشديد، اتّصلت شيلي بسامي في مقرِّ عملها في سياتل، على بُعد ساعات قليلة.

استدعى مشرف الروضة سامي.

"والدتك على الهاتف".

"إنني في خِصْمُ الحِصّة".

"يبدو أن الأمر مهم".

ولما كانت سامي قد خبرت جيّدًا أساليب أمها، فقد تحدّثت عنها مع كل مدير ومشرف عملت معه في خطوة استباقية. كانت تدرك أن أمها ستواصل الاتصال حتى تتحدث معها، مهما كلّف الأمر.

أجابت سامي على الهاتف.

صرخت شيلي: "كاّثي! هل سألك أحد عن كاّثي؟".

صحيح أن مأمور مقاطعة باسيفيك حاول، لكنها تفادت السلطات.

أجابت: "كلّاً، يا أمي".

أصرت شيلي: "لا أحد؟".

"لا، يا أمي. لا أحد. ما الخطب؟".

أخبرتها شيلي بأمر الرسالة.

أثارت الرسالة قلق سامي. فقد كان ذلك يعني أن شخصاً خارج عائلة نوتيك قد اكتشف ما فعله والداها، وينبش الماضي ويهدد برسالة مجهولة لزعزعة الأمور.

قالت: "الأمر لا يبدو منطقيًا". رغم أنها كانت تعرف في قرارة نفسها أنه أمر منطقي. لو أنها فقدت عزيزاً وظنّت أن أحدهم تسبّب في ذلك، لانتقمت منه.

كانت كاثيري تستحق القصاص.

فكرت في القلادة التي أعطتها إياها كاثيري في عيد ميلادها، وكيف كانت تهتمُّ بها وبشقيقتها، وتُصَفُّ شعورهن، وتثير ضحكاتهن دائماً بقصصها. كان بوسعها تذكّر مليون ذكرى طيبة عن كاثيري.

قالت والدتها: "أتفق معكِ. لا أفهم ما يجري. هل لديك فكرة، يا سامي؟".

"كلّاً. أقسم لك. ليس لديّ أي فكرة".

أغلقت سامي الهاتف. وتمنّت أن تكون عائلة كاثيري هي من وضعت الرسالة في صندوق البريد. كانوا يستحقّون معرفة الحقيقة.

## الفصل التاسع والستون

تفحّصت شيلى الرسالة بدقّةٍ كأنها خبيرة في الطب الشرعي. رفعتها نحو الضوء، وقلبتها في جميع الاتجاهات. ثم دقّقت في الختم البريدي. ورغم ذلك، عجزت عن التكهّن بهوية المرسل.

أي شخص كان مرشّحًا محتملًا. كانت شيلى تدرك جيدًا أنها ليست محبوبة في رايمند.

التهديد الوارد في الرسالة المجهولة لم يدفع شيلى للتراجع أو تخفيف قسوتها تجاه رون. على النقيض من ذلك، راحت تتجول في المنزل بالبرنس المفتوح جزئيًا، بينما تُمطره بوابل من الشتائم. ومهما بذل رون من جهد، لم يوفّق في شيء.

كانت إخفاقاته في إرضاء شيلى كثيرة.

راقبت توري أبويها من الفناء في إحدى العطلات الأسبوعية عندما عاد والدها إلى المنزل. كان رون قد سقط من السطح أثناء تنظيف

القرميد، وتمدّد على الأرض، مُحطَّمًا ومصابًا. وعَوْضًا عن مساعدته، أمره ديف بالنهوض وإعادة المحاولة.

ومن دون اعتراض، استجمع رون قواه، وصعد مجددًا إلى درابزين الشرفة، وقفز مرة أخرى. كانت توري واثقة أن ساقه مكسورة.

"أتذكر أنني عُدْتُ إلى الطابق العلوي، ثم سقط مرة أخرى، وبعدها سمعت والدي يضربه بقوة. كان الصوت حادًا. وسمعت رون يصرخ. أعتقد أن الضربة كانت على وجهه، لكنني لست متأكدة. ولا أعرف سبب عقوبته أيضًا".

فكّرت: ربما كان يتحرك ببطء شديد أو يتصرف بخرق.

حدث ذلك مجددًا.

ثم تكرّر.

ذات مرة، سمعت توري والدتها تأمر رون بأن يكون رجلًا ويقفز. ذهبت لترى ما يجري، فأبصرت رون يتسلق الدرابزين، بقدمين دامتين، ويتشبّث بالعمود الداعم وهو يبكي. لم يكن يستر جسده سوى ملابسه الداخلية.

هذه المرة، حاول رون التصدي للأمر بهدوء ولطف.

قال متوسلًا: "لا أريد فعل ذلك، عزيزتي شيلي".

ردّت شيلي: "هيا، أنجز الأمر. لن أنتظر حتى الصباح".

ثم قفز، وارتطمت بقوة قدماه العاريتان بالأرض المغطاة بالحصى.

"انهض! افعلها مجددًا أيها الحثالة! إنك تستحق العقاب".

بأعجوبة، تمكن رون من الصعود مرة أخرى إلى الدرابزين وكرّر القفزة.

وتعجبت توري من قدرة رون على المشي مجدداً. كان يعاني ويتألم في كل خطوة. ولم يكن السبب فحسب أن قدميه كانتا مجروحتين من الزجاج المكسور المدفون في الحديقة، أو أنه أُجبر على القفز من السطح أو من درابزين الشرفة. بل كان الأمر يتعلّق أيضاً بطريقة اعتناء أمها بجروحه.

كانت توري تراقب والدتها -وأحياناً والدها- بنظرة فضولية، كسائق يتباطأ ليتفرّج على حادث سيارة. لم تكن ترغب في رؤية ما يحدث، لكنها لم تستطع إزاحة نظرها.

رفعت شيلي عن الموقد قدرًا مملوءة بالماء الساخن يتصاعد البخار منها، وحملتها إلى مبنى الأعمدة. وسمعت توري صرخات رون عندما أجبره والدها على غمر قدميه المكدومتين والنازفتين في خليط من الماء الساخن والمبيّض.

قالت توري متذكّرةً بعد سنوات: "أتذكّر أن رائحته كانت أسوأ ما شممت في حياتي. كانت تشبه رائحة المبيّض واللحم المتحلل، وكأنها تحرق جلده حرقًا. فاحت منه رائحة فظيعة كأنه يتحلّل، كانت تشبه حرفيًا رائحة اللحم الميت. وظلّت تفوح منه لمدة شهر، حتى وفاته".

ورغم تدهور حالته، واصلت شيلي منع رون من ارتداء الأحذية أثناء عمله في الفناء أو أداء التمارين البدنية خارج المنزل. كانت قدماه تضربان الحصى بقوة بسبب عقوبة القفز الجديدة؛ ما أدّى إلى تشقّق باطنهما وخروج الدم والقيح منهما. اعتادت جلب زجاجة المبيّض وسكب السائل الكاوي على قدميه، ثم تأمره بالصمت والكفّ عن البكاء.

وكان يجيئها: "حاضر، عزيزتي شيلي".

وفي أحيان أخرى، كانت تغلي الماء على الموقد، وتملاً حوضاً به، وتجبره على أن ينقع قدميه فيه.

قالت توري متذكرةً: "في إحدى الليالي، أعتقد أن الماء كان شديد السخونة. فاحترقت قدماه لدرجة أن الجلد شرع يتساقط. حينها بدأت أُمي تلفُ قدميه بالضمادات".

كانت تلك الليلة التي تساقط فيها جلد قدميه آخر ليلة ينام فيها رون في غرفة الكمبيوتر خارج غرفة توري بالطابق الثاني. وظنّت الفتاة، التي كانت حينها في الرابعة عشرة من عمرها، أن السبب كان عدم قدرته على صعود الدَّرَج. بعد ذلك، راح ينام في غرفة الغسيل، أو في مبنى الأعمدة، أو على الشرفة. كانت قدماه ملفوفتين بالضمادات بإحكام، وكان صامتًا معظم الوقت. ولم تصدر منه أي شكوى البتّة.

بعد سنوات، بدا على ديف نوتيك الذهول حين أُخبر أن المبييض يدمّر الجلد البشري. كانت شيلي تفرط في استخدام المبييض على كاثي ورون وحتى على الفتيات. بل إنهم كلما ذهبوا إلى متجر البقالة، جدّوا مخزون المنزل من المبييض. ورغم كل ما شهدته، لم يصدّق ديف أن زوجته تعمّدت إيذاء أحد.

قال إن شيلي ربما لم تكن تعلم أن المبييض ضارٌّ أيضًا.

## الفصل السبعون

مثل ما حدث لكائي قبل عقْدِ من الزمن، لم يتحسَّن رون. كان على شفا هاوية سوداء، وقدم شيلى تضغط بقوة على ظهره. أخذت تتظاهر بالقلق. ولم تُعد توبَّخه على قتل ماك، الذي اعتبرته بمنزلة والدها، وخفَّفت من إهانتته بالألفاظ النابية.

في صيف عام 2003، اتَّصَلت شيلى بديف في عمله لتُعبِّر عن قلقها، وربما شعورها بالذعر أيضًا. وأخبرته أنها حاولت إيواء رون في ملجأ للمشردين في أبردين، لكنه رفض رفضًا باتًا.

أضافت أنها تشعر بأنها مقيّدة به. كانت تريده أن يرحل؛ إذ أصبح عبئًا لا تطيق تحمُّله.

خلال المكالمة، ذكرت شيلى أن رون حاول الانتحار بالقفز من أحد فروع شجرة النغت.

سأل ديف: "ماذا حدث؟".

"قال إنه كان يحاول الانتحار".

"حقاً؟".

أجابت: "نعم. إنه يدرك نيتنا الجادة لوضعه في الملجأ".

كان ديف غير مبالي برون إلى حد كبير. كان قلقه الرئيسي هو وجوده بالقرب من توري بملابسه الداخلية طوال الوقت، بالإضافة إلى أنه صار عبئاً على شيلي.

واصلت شيلي دعم كلامها بالدلائل.

"قال إنه لا يستطيع مواجهة فكرة الرحيل، ويريد أن يريح الجميع وينهي كل شيء، وأنه يشعر بالأسف. أشعر أنني عبء ثقيل، وحياتي ليست سوى فشل. لقد صرّتُ أثقل عليكِ، وعلى ديف وتوري. لا أعرف ما الحل".

ظَلَّ رون مستلقياً على مقعد في الشرفة الخلفية لعدة أيام. وراحت شيلي تسقيه الويسكي بينما تخبر توري أنه مريض، لكنها وعدتها بأنه سيتحسن. تمنّت توري أن تصدّقها. لكن قدماه كانتا متورمتين حتى إنه لم يعد يستطيع تحريكهما.

قالت شيلي لتوري: "سأخذه إلى منزل ماك غداً ليأخذ قسطاً من الراحة".

"بمفرده؟".

"سيكون بخير، أليس كذلك، يا رون؟".

كان رون ضعيفاً ومخدراً. أوماً برأسه قليلاً.

"هل أنتِ واثقة، يا أمي؟".

"سأطمئنُ عليه يومياً. لا تقلقي".

في صباح اليوم التالي، عندما استيقظت توري، لاحظت أن رون لم يكن موجودًا بالبيت.

سألت والدتها: "أين هو؟".

نظرت شيلى مباشرة في عينيها وأجابت: "أخذه إلى منزل ماك صباح اليوم".

كانت نافذة توري تُطلُّ على ممرٍ مُغطَّى بالحصى، لا يسمح لأحد بالتسُّلِّ داخله أو خارجه من دون إصدار صوت مميِّز وصاخب.

قالت توري، بعدما تفتنَّت إلى كذبتها: "حسنًا. لم أسمعك حين غادرت".

\*\*\*

كان رون قد اختفى لبضعة أيام، وكانت توري وأمها جالستين على الأريكة أمام التلفاز.

قالت شيلى: "إيَّاك أن تخبري أحدًا عن رون".

حقًا، يا أمي؟

لم تكن توري تعرف أي جزء من القصة يجب أن تُبقيه سرًّا؛ فالقائمة طويلة للغاية.

"ماذا تقصدين؟".

حدجتها شيلى بنظرة صارمة، تكاد تكون تهديدًا.

"إذا أخبرت أحدًا، خصوصًا سامي، سأقطع علاقتي بك. أقسم بذلك. سأبتعد عنك مدى الحياة".

كان ذلك تهديدًا واضحًا.

ران الصمت التام على الغرفة.

قالت توري: "لن أتفوّه بحرف". لم تسأل أمّها عن سبب تركيزها على سامي تحديداً. لم تكن سامي تتحدث بسوء عن أمهما أبداً، ليس أمام توري على الأقل. صحيح أنها وصفت أمهما بأنها غريبة الأطوار، لكن أليس هذا ما يعتقدّه معظم المراهقين عن أمهاتهم؟

قالت شيلي: "توري. إذا جاء رجال الشرطة، أريدك أن تُخبريهم أن رون رحل ويعيش حالياً في تاكوما".

ازدردت توري ريقها بصعوبة. كانت كذبة كبيرة.

قالت: "حسنًا، يا أمي. سأقول ذلك".

بمجرد أن تمّ هذا الاتفاق -رغم وضوح الكذبة- لاحظت توري تغييراً في سلوك أمها. أضحت شيلي أكثر لطفاً تجاهها. وعادت توري لتكون مجدداً ابنتها المدلّلة. وأعدت لها وجبات لذيذة في الأيام التالية، ولم تُجبرها على خلع ملابسها وكشف تغيرات جسدها.

ومع ذلك، كلما سألت توري عن رون، تجاهلتها أمها.

كانت شيلي تقول: "إنه بخير".

ضغطت توري قليلاً. "أريد أن أراه".

"إنه يستريح. يحتاج إلى الراحة، يا توري".

"حسنًا. لكنني أفتقده".

أصرت شيلي: "إنه بخير. أراه كل يوم، وأحياناً مرتين في اليوم. أذهب في السابعة صباحاً لأعطيهِ الطعام وأطمئن على حاله".

في ذلك الحين، كان من السهل على توري إعداد قائمة طويلة بأكاذيب أمها. لم يذهب رون إلى أي مكان؛ كان عالقاً في منزل ماك. وكانت متيقنةً أن أمها تكذب بشأن اعتنائها به.

# مكتبة

t.me/soramnqraa

قالت توري لاحقًا: "لم أسمع مطلقًا صوت سيارتها وهي تغادر في الصباح. كنت سأسمعها. كما أنها لم تكن لتستيقظ مبكرًا لأي سبب كان. كانت تنام في الصباح لأنها تظل مستيقظة طيلة الليل".

راحت توري تسأل عن رون كل يوم.

قالت أمها: "لماذا تواصلين السؤال عن رون؟".

"لأني أحب العم رون".

"حسنًا، إنه بخير، وعليك التوقف عن السؤال طوال الوقت".

واصلت توري السؤال.

"أودُ رؤية العم رون".

قالت شيلي أخيرًا: "حسنًا. موافقة. لكنني مشغولة جدًا، وكذلك هو. ربما في غضون يوم أو يومين".

ثم تبخّرت اللحظات السعيدة، والوجبات اللذيذة، وكلمات الحب والتدليل.

أمرتها شيلي بالقيام بالأعمال المنزلية بينما كان رون غائبًا؛ اقتلاع الأعشاب الضارة، إطعام الحيوانات، تنظيم المطبخ، أي عمل كان رون يقوم به، طلبت من توري أن تتولى أمره. كل شيء. وكان عليها أن تنجزه بشكل يرضي أمها أيضًا.

قالت لتوري: "ليت رون كان هنا. إنه أفضل منك بكثير في إنجاز الأعمال المنزلية".

حين لم تنظف توري وجار الكلاب بشكلٍ يرضي أمها، أمرتها شيلي بالدخول إلى هناك، ثم أغلقت الباب خلفها.

"سَيُلْقَنُكَ هَذَا دَرَسًا! مَا شَعُورُكَ الْآنَ حِينَ تُعَامِلِينَ مِثْلَ كَلْبِكَ الْمَدَّلِّ؟ أَيُّهَا الْغَبِيَّةُ! أَتَحْسِبِينَ أَنَّ الْكَلْبَ يَحِبُّ الْاسْتِلْقَاءَ فِي فَضْلَاتِهِ؟ كَيْفَ تَشْعُرِينَ؟ كَمْ أَنْتِ كَسُولَةٌ، يَا تُورِي!".

حَدَّقَتْ تُورِي بِوَالِدَتِهَا عِبْرَ الْقَضْبَانِ الشَّبَكِيَّةِ لِلْوَجَارِ. وَظَنَّتْ أَنَّهَا رِمًا تَسْتَحِقُّ هَذَا الْعِقَابَ. لَعَلَّهَا قَصَّرَتْ فِي أَدَاءِ عَمَلِهَا. فَأَمَّا كَانَتْ دَوْمًا وَاثِقَةً مِنْ رَأْيِهَا.

"أَنَا آسَفَةٌ، يَا أُمِّي!".

أَدَارَتْ شَيْلِي خَرْطُومَ الْمِيَاهِ وَرَشَّتْهَا حَتَّى غَمَرَ الْمَاءَ الْبَارِدَ، الْمَمْتَزَجَ بِفَضْلَاتِ الْكَلَابِ، جَسَدَهَا بِالْكَامِلِ.

"أَنْتِ عَدِيمَةٌ الْفَائِدَةِ تَمَامًا!".

## الفصل الحادي والسبعون

بعد طول انتظار، شعرت سامي بالدهشة والسرور حين اتَّصَلت شيلي فجأة لتخبرها أنها قرَّرت أخيراً السماح لأختها الصغرى، توري، بالقدوم إلى سياتل وقضاء بضعة أيام معها. كانت هذه الزيارة الأولى من نوعها.

التقى ثلاثتهم لتناول العشاء في مطعم أوليف جاردن في أوليمبيا، وكان مكاناً مناسباً يقع في منتصف الطريق بين محليّ إقامتهما. لاحظت سامي على الفور أن يد والدتها اليمنى في حال سيئة للغاية. كانت متورمةً بشدة، وإبهامها متضخّم بشكل غير طبيعي، وكأنه خرج من مفصله.

قالت سامي: "يجب أن تذهبي إلى المستشفى".

لكن شيلي تجاهلت الأمر. "أنا بخير، يا سامي".

غير أنها لم تكن كذلك. خلال الوجبة، كانت شيلى متوترةً وتتعامل مع عاملي المطعم بعصبية. لم تكن تبدو بصحة جيدة أيضًا. لطالما كانت شيلى تفخر بمظهرها، لكنها اكتسبت وزنًا زائدًا وبدا شعرها في حالة فوضى. كما فقدت بعض أسنانها.

قالت سامي متذكرةً: "كانت تبدو مجنونة ومضطربة، وتتصرف بغرابة. واستشعرت أن شيئًا غير طبيعيٍّ يجري".

في طريق العودة إلى سياتل، كانت سامي تُعدُّ مفاجأتين لشقيقتها الصغرى.

"ستجربين السوشي لأول مرة هذا المساء. سأخذك إلى مطعم بينتو في جرينوود".

قطبت توري وقالت: "لست متأكدة من أنه سيعجبني".

ابتسمت سامي وقالت: "سيعجبك".

"ما المفاجأة الأخرى؟".

"سنلتقي بنيكي غدًا".

انتابت توري نوبة دُعر على الفور. لم تكن خائفة من رؤية أختها لأول مرة منذ سبع سنوات فحسب، بل كانت أيضًا لا تريد مواجهة تبعات عصيان أوامر أمها. لقد أمضت شيلى سنوات طويلة تغرس في ذهنها أن نيكي سيئة وأنانية ولا تعبأ بأحد، وأنها أسوأ أخت على الإطلاق.

"لا، لا أودُّ رؤيتها".

قالت سامي: "تعلمين أنها تحبك، أليس كذلك؟".

لم تكن توري متأكدةً من ذلك فقالت: "ربما. لكنني لا أريد إخبار أمي".

منحتها سامي ابتسامة مطمئنة وقالت: "ستقابلينها مهما قلت".

كان تناول السوشي تجربة متوسطة النجاح. تمكّنت توري من تناول لفافة كاليفورنيا، لكنها لم تستطع تناول أي شيء آخر. كانت معدتها مضطربة. ولم تستطع النوم تلك الليلة بسبب توتُّرها الشديد من رؤية نيكي مجدّدًا. ماذا لو لم تعجب أختها بها؟ كان لنيكي تأثير هائل في حياة توري؛ كانت تعتني بها وتلعب معها. ثم اختفت فجأة، وزرعت أمُّهم في عقلها أنها أخت سيئة. لم تكن توري تعلم أن سامي ونيكي على تواصلٍ مستمرٍّ على مدار السنين.

غير أن رؤية نيكي لم تكن السبب الوحيد الذي أطار النوع من عيني توري تلك الليلة. كانت أيضًا قلقّة بشأن ما يحدث مع رون في المنزل. فكّرت في ذلك الأمر طوال وجبة العشاء في مطعم أوليف جاردن، بينما تستمع إلى أمها تكذب على سامي بشأن انتقال رون إلى وينلوك أو وينثروب أو تاكوما. كانت تعلم أنه لا يستطيع الذهاب إلى أي مكان بسبب ضعفه الشديد، وأنه كان بحاجة لتلقّي العلاج في المستشفى.

روادها الأمل في أن تأخذه أمها إلى هناك.

\*\*\*

عندما اجتمعت الشقيقات الثلاث في مطعم "ديوك سيفود وتشاودر هاوس" المطل على بحيرة يونيون في سياتل في اليوم التالي، شعرت توري أنها تلتقي بأروع امرأة رأتها في حياتها. كانت أختها نيكي امرأةً راشدة في الثامنة والعشرين من عمرها، ورائعة الجمال، ومفعمة بالثقة، وتفوح منها رائحة عِطْرَة.

قالت توري لاحقًا إن رؤية أختها الكبرى لأول مرة منذ سنوات كانت أكبر حدث في حياتها. وبرغم كل الأكاذيب التي نسجتها أمها

للحفاظ على القطيعة بين الأختين، عرفت توري في تلك اللحظة أنها كانت تفتقد نيكي بكل جوارحها.  
قالت توري: "أنتِ جميلة جداً".  
"وأنتِ أيضاً".

جمعت سامي الشقيقات معاً. كانت الشقيقة الوسطى، التي عاشت بين ضفتي الانشقاق.

خلال الوجبة لم يتحدثن عن أفعال والدتهن الشنيعة، أو مُجانبة والدهن الصواب. بل استمتعن باللقاء ولمَّ الشمل.

قالت سامي: "تذكّري، يا توري، لا داعي لإخبار أُمي. سنُبقي هذا الغداء مع نيكي سرّاً بيننا. هل تفهمين؟".

وافقت توري، رغم معرفتها بأن القول أسهل من الفعل. كانت والدتهن تتمتع بقدرة على التغلغل في جميع جوانب حياتهن، والنبش عن أمور يُفضّلن الاحتفاظ بها سرّاً.

لم يكن هناك أسرار مع شيلي نوتيك.  
إلا أسرارها الخاصة.

## الفصل الثاني والسبعون

رَنَّ هاتف ديف بعد الثانية صباحًا في 22 يوليو 2003، وأيقظه من النوم في موقع عمله بجزيرة ويدي. كان يغطُّ في نوم عميق، ووجد صعوبةً في استيعاب المكالمة. بالطبع كانت المتَّصلة شيلي. لم تكن شيلي العادية أو المتطلَّبة. بل شيلي تتحدث بصوت متلعثم ومرهق. قالت، وقد ارتفع صوتها قليلًا، بعدما كان خفيضًا: "يجب أن تعود إلى المنزل".

سأل ديف، وقد تنبَّهت حواسه بغتةً: "ما الخطب؟".

تجنَّبت زوجته الدخول في صلب الموضوع.

أجابت: "الوضع ليس جيدًا. ثمة مشكلة تتعلَّق برون".

لم يسأل ديف زوجته، التي أمضى معها خمسة عشر عامًا، عن تفاصيل محددة في ذلك الوقت. لقد عاشا معًا لفترة كافية ليدرك أن من المستحيل أن يطلب أحد من شيلي الإفصاح عن تفاصيل لا ترغب

في كشفها. أخبرته أن توري ستقضي بضعة أيام مع سامي في سياتل، وأنها بحاجة إلى وجوده في رايمند بأسرع وقت ممكن.

كان ديف قد عاد إلى المنزل يوم الأحد السابق لتلك المكالمة، ورأى رون يتماثل للشفاء بعد تعرُّضه لإصابة جراء سقوطه من أحد الأشجار، حسبما زعم هو وشيلي. ربما كانت إصابته قد كُسرت أيضًا في السقوط. كما تذكَّر أن قدميه كانتا مغطاتين بضمادات، وأن ثمة حروق على رأسه وصدره نتيجة حادث قالت شيلي إنه تعرض له أثناء حرق الحشائش في الفناء. كانت الكدمات الكثيرة تغطي جسده أيضًا. وكالعادة، يُزعم أنها جميعًا نتيجة حادث ما.

بتحريض من شيلي، أعاد ديف على مسمعي رون مجددًا ضرورة مغادرته للمكان، لكن الرجل رفض مغادرة مونهون لاندينج. وذات مرة، عرض عليه ديف مبلغًا ماليًا قدره 270 دولارًا، لمغادرة المدينة، لكن رون صمَّم على البقاء، ولم يرغب في الافتراق عن شيلي.

قال ديف بصوت عالٍ لتأكيد موقفه: "يجب أن ترحل، يا رون".

رفض رون المغادرة، وكان ردُّ فعله الوحيد أنه سيؤذي نفسه أو ينتحر إذا أرغم على ذلك.

كان ديف متورطًا في مشكلة مع رئيسه بسبب مسألة ما، ولم يجرؤ على طلب إجازة للعودة إلى رايمند.

قال ديف لشيلي: "لا أستطيع العودة إلى المنزل حتى يوم الجمعة". وكان يوم الجمعة بعيدًا جدًّا.

ورغم توتُّر شيلي واضطرابها، لم تعترض على التأخير.

قال ديف لاحقًا عن مكالمة زوجته في الصباح الباكر: "لم تخبرني قطُّ أنه مات. لم يتعيَّن عليها قول ذلك. كنت أعلم. وكنت أعرف السبب أيضًا".

كان حدسه صائبًا.

كان رون قد فارق الحياة بالفعل.

ادّعت شيلي أنها عثرت عليه ميتًا على الشرفة الخلفية. وأشارت إلى أنه كان يُفضّل الجلوس هناك بسبب حرارة الجو بالداخل، وكي يدع الهواء النقي يخفّف ألم جروحه. وأخبرت زوجها بأنها خشيت أن يلومها أحد على تلك الجروح؛ على جميع علامات الحرق، والرضوض، والكدمات في جسم رون.

أصرّت شيلي على أنها حاولت إنعاش رون قبل أن تدرك أنه قد قضى نحبّه. ولكن بعد أن تأكّدت من وفاته، جرّت جثته إلى مبنى الأعمدة وأغلقت الباب. ثم ألبسته سروالًا رياضيًا نظيفًا -الملابس التي كانت قد رقصت أن يرتديها وهو على قيد الحياة- ووضعت الجثة في أكياس نوم عدّة. ثم أزالته كلّ معدّات التخيم من على قمة المجمّد، وفتحت الغطاء، ووضعت الجثة داخله. ثم أعادت معدّات التخيم إلى قمة المجمّد، وربّتها بحيث لا يلاحظ أحد -لا سيما توري- أن أيًا من المعدّات قد تمّ تحريكها. كانت شيلي تأخذ في اعتبارها أدقّ التفاصيل.

بعد الانتهاء من ذلك، اتّصلت بديف.



## الفصل الثالث والسبعون

بعدها عاد ديف إلى المنزل في نهاية أسبوع العمل، أخبرته شيلي أن جثة رون كانت ملفوفة بأكياس نوم ومخبأة داخل المجد في مبنى الأعمدة. شعر ديف وكأنه زومبي، ولم يتحمل فكرة تكرار هذا الأمر، برغم توقُّع حدوثه. كان موقنًا بأن مصير رون سيكون بائسًا ما دام متمسِّكًا بالبقاء في مونهون لاندينج. كان مثيرًا للمشكلات، تمامًا كما قالت شيلي. ومثيرو المشكلات يجلبون المتاعب.

تبًّا لك، يا رون!

كيف تفعل هذا بشيلي؟

واجه ديف صعوبة في سحب جثة رون من المجدِّ.

كيف استطاعت شيل وضعه هناك؟

إنها تتمتع بقوة خارقة!

تجنَّب النظر إلى الجثة، وبصمتٍ شرع يقوم بما فعله سابقًا. وعادت إلى ذهنه مجددًا قوة زوجته البدنية المذهلة حين حاول إدخال جثة رون في أكياس البلاستيك السوداء التي أخذها من موقع عمله بجزيرة ويدي. أخذ ديف يرتجف بينما ظلَّت الأكياس تنزلق باستمرار من بين يديه وهو يحاول تغليف جثة رون.

التَّخْلَص من الجثث لم يصبح أسهل رغم خبرته.

وقف في مبنى الأعمدة وسط الأغراض الشخصية الخاصة به وبشيلي والفتيات؛ الملابس القديمة، والألعاب التي لم يُعدن بحاجة إليها، ومعدّات التخيم التي استخدموها حين كانوا يشاركون في الأنشطة العائلية معًا. وبجوار المجدّم، كانت شيلي قد رصّت متعلّقات رون، وكأنها لوحة صامته لحياته واهتماماته؛ كتبه عن علم المصريات، ونظاراته، وحُلِيَّه التي كان يفتخر بارتدائها قبل تجريده من هويته، وثيابه التي لم يُعد يلبسها، لأن شيلي أملت عليه كيف يلبس، كل شيء مكدّس وجاهز للإزالة السريعة.

قالت شيلي بينما تحوم بالقرب، وتفرك يديها بقلق: "حاولت إنقاذه. أجريت له الإنعاش القلبي الرئوي، لكنه لم ينجح. كان ضعيفًا جدًّا. رباه! لقد بذلت كل ما بوسعي. أنا مرعوبة، يا ديف".

كان خائفًا أيضًا.

قالت: "سيعتقدون أننا أسأنا معاملة رون. وستوجّه الشرطة أصابع الاتهام إلينا".

كان ديف يعلم أنها مُحقِّقة. ولمَ لا؟ كيف سمحا بحدوث هذا في المقام الأول؟

أخبر شيلي بأنه يستطيع التعامل مع الأمر بمفرده، وأن عليها الذهاب إلى البيت واسترداد رباطة جأشها. حمل جثة رون عبر البوابة الخلفية، مكافحًا في كل خطوة للحفاظ على توازن الأكياس الزلقة.

لم يواجه سوى عقبة واحدة كبيرة. كانت مقاطعة باسيفيك تخضع لحظرٍ على الحرق بسبب الطقس الحار والجاف لفصل الصيف. ولم يستطع ديف حرق جثة رون كما فعل مع كاثي. ولم يكن بوسعه التخلص من الرماد في شاطئ ووشواي. ومن جهة أخرى، لم يكن الحرق خيارًا عمليًا، سواء أكان هناك حظر أم لا. فقد أُزيلت الحظيرة التي كانت تحجب الفناء، ووُضِعَ عمود إنارة بالقرب منها، يُسلط الضوء على المكان. وربما يرى أحدُ النار ويُبلغ السلطات.

أحضر ديف مجرفة رقم اثنين ذات حافة مدببة وقماش مشمع أزرق من مبنى الأعمدة، وكأي عامل بناء، وضع خطة لحفر قبر. كان يحتاج إلى حفرة عمقها ثلاثة أو أربعة أقدام، مع توفير مساحة كافية لوضع الجثة بشكل مسطح. أراد أن يحفر بعمق أكبر، لكن الأرض كانت قاسية؛ إذ كانت قريبة من الطبقة الصخرية الصلدة. جمع التراب على القماش المشمع حتى لا يُكشف القبر. واختمرت في ذهنه خطة لجعله يبدو جزءًا طبيعيًا من المكان.

وضع ديف جثة رون على جانبها وبدأ يهيل عليها التراب. وعندما انتهى، نثر على التربة الجديدة رمالًا من حفرة الحرق. ثم وضع طبقة من أغصان شجر التَّنُوب فوقها.

ظَلَّت شيلي بعيدة بينما كان زوجها ينجز المهمة. لم تكن ترغب أبدًا في المشاركة في العمل القذر.

وقف ديف في الظلام، وخلع قفازيه، ثم ألقى نظرة فاحصة على ما فعله. ورغم أن العمل راق له، فإنه كان مجرد حلٍّ مؤقت. كان

بحاجة إلى حلٍّ دائم، لكنه سيضطر للانتظار حتى يُرفع حظر الحرق. أخذ القماش المشمع إلى منزل ماك في ساوث بيند وأخفاه هناك. وكدأبه، دافع ديف عن شيلي ولم يُلقِ اللوم عليها، حتى بعد كشف المستور.

قال ديف: "أنا أحبها بشدة. من المستحيل أن تكون قد آذت رون أو كاثرين بأي شكل من الأشكال. لقد خشيت الإبلاغ عندما توفي رون، بسبب ما حدث في الماضي. وكما أكرّر دائماً، زوجتي تحمل همّ كل شيء، وكانت تحاول حماية عائلتها مجدّداً. إنها تقوم بدور الحامية كدأبها. لا أظنها ارتكبت أي خطأ البتّة".

## الفصل الرابع والسبعون

في سياتل، كانت سامي وتوري تستعيدان هدوءهما بعد فرحتهما العارمة بلقاء نيكي. لقد قضيا أفضل يوم على الإطلاق. على مَرَّ السنين، كانت توري تفتقد نيكي وتشعر بالخوف منها في آنٍ واحد. لكن في تلك اللحظة، تمكَّنت من رؤية الأعيب والدتها بوضوح، وتعجَّبت، برغم أن ذلك ليس مفاجئًا.

كانت شيلي مغرمة بالسيطرة على الناس، وتكره أي سيناريو لا تكون فيه محطَّ الاهتمام. وكان عائلتهم تشبه طائفة غريبة؛ هربت نيكي أولاً، ثم سامي. كان العالم خارج رايمند أجمل وأكثر سعادة ممَّا كانت توري تتخيَّل. كانت مثل دورثي فتاة كانساس، التي انتقلت إلى العالم الزاهي المملوّن خلف قوس قزح. وكان واضحًا من لعبت دور أمهم في تلك القصة.

أمها. التفكير في شيلي أعاد توري إلى أكبر مخاوفها. خشيت أنها لن تستطيع إبقاء اللقاء سرًا.

قالت سامي بإصرار: "بل تستطيعين. لقد فعلتُ ذلك. وبوسعكِ أن تفعلين المثل".

قالت توري: "لستُ متأكّدة".

ظلتُ سامي متفائلة وراحت تشجّعها. "أنا متأكّدة. لأنني أعرفكِ".

أخرجت سامي بعض الملابس من المجلّف، وشرعت هي وتوري في طيّها.

واصلت سامي الحديث: "أتذكر شيئًا غريبًا كانت أمي تفعله. اعتادت أن توقظني في منتصف الليل وتفرغ محتويات جميع أدراجي على الأرض. كانت تريد التأكد من أن كل شيء مُرتّب ومتناسق ومتطابق، كالجوارب مثلًا. وكانت ترغمني على فعل ذلك طيلة الليل، وأحيانًا حتى الساعة الثالثة صباحًا".

جلست توري صامتة لبرهة.

ثم رفعت رأسها ونظرت في عيني أختها وقالت أخيرًا: "أمي تفعل ذلك معي أيضًا".

شعرت سامي بتسارع دقّات قلبها. وفكّرت: لا، اللعنة! لا. لا. هذا مستحيل. ليس توري.

قالت سامي لاحقًا: "كنت أسألها دائمًا حين أراها عن أحوالها. كان من واجبي حماية تلك الفتاة. لكنني فشلتُ. نعم، فشلت. لم أطرح الأسئلة الصحيحة. لم أخبرها بما أعرفه. كنت فقط أسألها عمّا إذا كانت هي وأمي بخير".

"ما الذي تفعله أمي معكِ أيضًا، يا توري؟".

نظرت توري إلى سامي، التي راحت تنهار أمام عينيها، وسردت عليها قائمة مختصرة بتصرّفات شيلي تجاهها. ولاحظت سامي أنها العقوبات المعتادة التي تعرّضت لها، بل تعرّضوا لها جميعًا؛ شين، وكاثي، ونيكي.

سألته سامي: "هل تسمح لك بالنوم؟".

"لا".

"هل تُجبرُك على القيام بأشياء وأنت عارية؟".

"نعم".

"هل تطردك خارج المنزل طوال الليل؟".

"نعم".

"على الشرفة الأمامية؟".

"صحيح".

في تلك اللحظة، بكت سامي بينما طوّقت ذراعاها جسد أختها.

"لماذا لم تخبريني، يا توري؟".

"لا أعرف. ظننتُ أن الأمر لا يحدث إلا لي. لم أعلم أن أمي فعلته من قبل. حسبت أن طفولتك أنتِ ونيكي كانت سعيدة".

عرفت سامي وجهتها التالية. لقد تهيّأت لها فرصة ثمينة كي تطلب جرعة من الحقيقة من أختها الصغيرة. سألتها: "هل فعلت شيئاً لرون؟".

انخرطت توري في البكاء. أدركت أن سؤال أختها لم يكن سؤالاً فعلياً، بل عبارة تأكيدية.

إقراراً بحقيقة.

التقطت توري أنفاسها وأجابت: "نعم. كل ذلك وأمور أخرى أيضاً". راقبت توري ردّ فعل أختها. لم تظهر أمارات الصدمة على وجهها. بل تلقّت الإجابة وكأنها كانت متوقّعة، وكأنها تأكيد لظنونها.

سألت توري: "كيف علمتِ بهذا؟".

ازدردت سامي ريقها بصعوبة وأجابت: "لقد فعَلت ذلك من قبل. فعَلته معنا جميعًا. وفعَلت ذلك بكائي".

لم تبرح كاثي ذهن سامي قط. كان بوسعها استرجاع كل ذكرى في ذهنها، طيبة كانت أم سيئة، أثناء نشأتها في منزل لاودرباك أو في البيت الريفي في مونهون لاندينج. مؤخرًا، اتَّضحت لها الأمور أكثر. ربما بسبب الرسالة المجهولة. وربما كان الشعور بالذنب لعدم دعم أختها الكبرى حين أبلغت الشرطة. رغم أنها كانت ستدعمها، كما قالت لنفسها، لو كان المأمور قد بذل جهدًا أكبر. كانت مستعدَّة للمخاطرة بانهييار عاملها إذا داخلها ذرَّة شك في تعرُّض توري للإساءة.

كانت أحوال توري تبدو بخير بنظرها، ولم تتابع الشرطة القضية. لذلك، لم تبلغ الشرطة.

تعمَّقت سامي في الموضوع وسألت: "هل حاول رون الهروب من قبل؟".

أومأت توري برأسها وقالت: "نعم، مرات عديدة. لكننا كنا نجده دائمًا وأنا وأمي ونعيده".

قالت سامي: "كاثي فعَلت ذلك أيضًا".

سألت توري: "هل أجبرت أُمي كاثي على القيام بأشياء غريبة؟ أعمال منزلية؟".

أجابت سامي: "نعم. أرغمتها على غسل الأطباق وهي عارية".

استعادت توري ذكرى قديمة لكاثي، حين كانوا يعيشون في منزل ويلابا القديمة. وكانت توري حينها في الثانية من عمرها تقريبًا. كانت كاثي في الحمام في الطابق الرئيسي. كانت ترتدي ثوب نوم مهترًا ليموني اللون، وشعرها يتساقط وراحت تتحرك ببطء شديد.

سألت توري كاثي: "ما الخطب؟". ولكن قبل أن تتمكّن كاثي من الإجابة، جذبت الأم ابنتها بعيداً. ولم تقل شيئا، لكن بعد ذلك، عرفت توري أنه ليس من المفترض أن تطرح تلك الأسئلة. لم يكن من المفترض أن تتحدث إلى كاثي بتلك الطريقة.

عانقت سامي توري، وانخرطتا في بكاء شديد. وأخذتا تبوحان بكل شيء. عدا أمر واحد.

وجدت سامي صعوبة في التحدث. لكنها أدركت ضرورة إخبار أختها الصغيرة.

خرجت الكلمات بصعوبة من فمها: "أمي قتلت كاثي. لقد أحرقوها في الفناء".



## الفصل الخامس والسبعون

وقفت شيلي أمام حوض المطبخ في حالة انهيار. لم يكن مظهرها بهذا السوء من قبل قَطُّ. لقد زاد وزنها بأكثر من عشرة كيلو جرام خلال العام الماضي، واحتاج شعرها الأحمر إلى تجديد صبغة كليول. بالطبع كان هذا ما يبدو للعيان فحسب. أما من الداخل، فقد حطَّمت الرسالة المجهولة ووفاة رون ثقته المفرطة، والتي كانت تمنحها الجرأة للقيام بأمر لا يمكن تصوُّرها ومن دون أن يرقَّ لها جفن.

كان ديف أول من أثار الحاجة إلى إيجاد تفسير لرحيل رون المفاجئ من مونهون لاندينج. دأب آل نوتيك على ابتكار القصص المختلقة. كاثي كانت مع حبيبها روكي يجوبان البلاد. وشين كان في ألاسكا، يعمل بصيد الأسماك قبالة جزيرة كودياك. ونيكي تركت رايمند لتبدأ حياة جديدة في سياتل. لم يختفوا فجأة، بل رحلوا إلى أماكن لطالما تاقوا للذهاب إليها.

لكن لم يبدُ أن أحداً كان مهتماً برون، وكان ذلك يصبُّ في صالح عائلة نوتيك.

فطن ديف، الذي كان سلبياً دوماً في زواجهما، إلى حالة الارتباك التي انتابت شيلي. ففكَّر في خطة أولية. صحيح أنه كان محطماً أيضاً، لكن لم يكن بوسعهما الانهيار معاً. لا بُدَّ أن يتماسك أحدهما.

قال ديف مقترحاً: "كان يقيم عند ماك خلال الأسابيع القليلة الماضية. كان يبحث عن عمل".

أجابت شيلي بشكل آلي تقريباً: "نعم، أعطيناها بعض المال لتذكرة الحافلة".

جذب ديف نَفْسًا عميقًا. صحيح أنه لم يكن بارعًا في تأليف القصص، لكن رفقته الطويلة لشيلي علَّمته الكذب.

أردف ديف: "اصطحبته بالسيارة إلى أولمبيا ليستقلَّ الحافلة. وقرَّر الذهاب إلى سان دييجو".

انفجرت أسارير شيلي قليلاً وقالت: "صحيح، كان يتحدث عن ذلك". بدت الفكرة معقولة بما يكفي لتخفيف روعها بعض الشيء. أخذ يساورها القلق بشأن ما سيدور بذهن توري، لكنها طمأنت نفسها بأن ابنتها تصدِّق كلَّ حرف تقوله.

قالت شيلي: "سأخبرها عندما تعود من عند سامي".

رأى ديف أن ذلك هو الخيار الأفضل.

في تلك الليلة، تدرَّباً على القصة مراراً وتكراراً، من البداية إلى النهاية وبالعكس، مع تعديلها قليلاً كلِّما ظهرت ثغرات صغيرة في منطق الحديث. كان رون بحاجة إلى المال والطعام والملابس الجديدة. كل ما افتقده في مونهون لاندينج دمجاه في سياق القصة.

ومع ذلك، كان هناك مجال للشك. ربما أدّى أي خطأ بسيط، أو تدخّل طفيف في القصة، إلى هلاكهما وانهيار كل شيء.

اقتَرَحَت شيلي سيناريو احتياطيًا يفترض أن رون كان يفكر في الانتحار بسبب جاري مجددًا. وأخبرت ديف أنها عندما كانت تضمّد قدمي رون في الحمام قبل وقت قصير من وفاته، رأته يحدّق إلى خزانة الأدوية المفتوحة.

وأضافت أنها اكتشفت شيئًا في أحد المباني الخارجية.

مدّت يديها بزجاجتيّ دواء بلون العنبر: "وجدت هاتين في حظيرة الدجاج. لا بُدَّ أن رون قد تناول منهما".

لم يدقّق ديف النظر في الزجاجتين. فما حاجته وكلام شيلي كان منطقيًا؟ كان رون في حالة اضطراب شديد، وقد هدّد بالانتحار عدة مرات. وتذكّر ديف أن الأمر القضائي الذي يحظر عليه التّعرّض لوالدته قد دمّره، وهدّد بالانتحار بسببه كذلك. وذات يوم، أخبر ديف أنه يتمنى أن يموت حتى يستريح الجميع.

قال رون: "هذا شعوري".



## الفصل السادس والسبعون

مستحيل أن يحدث هذا مرة أخرى. صُعِقَت سامي حين أدركت أن شيلي كانت تؤذي توري مثلما فعلت معها ومع نيكي. انخرطت الفتاتان في الحديث حتى بعد منتصف الليل، وكأنها لعبة مطابقة مُرعبة، ما حدث سابقاً وما يجري الآن. وطغت الدموع ومشاعر الغضب على المحادثة، وكذلك الندم.

والخوف. الخوف الشديد.

كان هناك سؤال تخشاه سامي أكثر من سواه. فكَّرت في رون وبحثه عن وظيفة جديدة في مكانٍ ما حسبما زعمت أمها، رغم أنها حين رآته آخر مرة لم يَبْدُ قادراً على إنجاز أي عمل.

سألت: "كيف حال رون؟".

لم تكن توري بحاجة إلى الرَّدِّ بالكلمات. باحت النظرة التي علَّت وجهها بكل ما تحتاج سامي إلى معرفته.

قالت: "أعتقد أنه مات. أظنُّ أن أُمِّي آذته أيضًا".

انهمرت الدموع واجتاحت سامي موجة من المشاعر. وتذكَّرت مكالمات والدتها الأخيرة؛ إذ داوَمَت شيلي على الاتصال بها في الأسابيع القليلة الماضية. وخلال إحدى المكالمات، أخبرتها أن رون يبحث عن عمل خارج المنطقة.

قالت شيلي: "في وينلوك. في متنزَّه للمقطورات. نتمنَّى حقًّا أن يحصل على هذه الوظيفة. أرجو منك الدعاء له بالتوفيق. ادعي أن ينالها".

استشعرت أن شيئًا في قصة والدتها لم يبدو صحيحًا. كانت توري، كلما تحدَّثت سامي معها، تقول لها إن شيلي أخبرتها أن رون يقيم في منزل ماك، ويساعد في تجهيزه للبيع.

قالت شيلي: "لقد حان الوقت لينتقل ويدبر أموره بنفسه".

"أعتقد ذلك"، أجابت سامي، دون أن تعرف ماذا تقول بخلاف ذلك. آخر مرة رأت رون كان في حالة يُرثى لها. بدا مستحيلًا أن يرحل ويعيش بمفرده في أي مكان.

لامت نفسها لعدم فعل المزيد. لقد رأت المشكلات التي يعاني منها رون، وتبيَّنت علامات الإنذار. بيَّد أنها سبحت في بحر من الإنكار، لتتمكَّن من البقاء. ولم يكن معها حتى طوق نجاة. طفت على السطح بانتظار أن تسحبها موجة للأسفل. وتغرقها.

استجمعت سامي شتات نفسها. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا.

قالت: "علينا أن نخبر نيكى".

\*\*\*

لا أحد يتوقَّع سماع أخبار جيدة من مكالمة في وقت كهذا. حادث سيارة، أو نوبة قلبية، أو مأساة لا تحتمل الانتظار حتى الصباح. أجابت نيكي على الهاتف.

وكانت الأخبار أسوأ ممَّا توقَّعت.

أخبرتها سامي عن الإساءات التي كانت تحدث، كل ما فاتها؛ احتجاز توري في وجار الكلاب، والرش بماء الخرطوم، والتعري، والحرمان من الطعام، ورون وودورث. "لقد فعَّلت الشيء نفسه مع كاثي، يا نيكي."

قالت نيكي: "لا أعرف ماذا عسانا أن نفعل". كانت في عالم مختلف تمامًا عمَّا كانت عليه حين ذهبت إلى رايمند وقدَّمت أول شكوى ضد والدتهن، قبل عامين تقريبًا في يوليو 2001. كانت سعيدة وبرفقتها رجل تحبُّه. لم تكن ترغب في نكث جراح الماضي بمواجهة أفعال أمهن. قالت سامي: "لا بُدَّ أن نُخرج توري من المنزل".

كانت نيكي تعلم أن سامي مُحقِّقة، رغم أن تدخل الشرطة لم يحدث فرقًا من قبل. لم تكن تستبعد أي شيء من والدتها أو والدها عندما يتعلق الأمر بما قد يفعلانه للانتقام. لقد عدَّبت والدتها امرأة حتى الموت وكذبت بشأنها. وأجبرت نيكي على التواطؤ في مخططها لخداع عائلة كاثي وإقناعهم بأنها سافرت مع روي. كما أجبرتها على التمرُّغ في الوحل عارية. أما ديف نوتيك فلم يكن أفضل حالًا. فقد ألقى حجرًا عبر نافذة المحل الذي تعمل به لتُطرد منه. كما تعقَّبها في بلينجهام. كان ديف ينفذ جميع أوامر أمها الشنيعة من دون تردُّد، مثلما فعل هملر مع هتلر.

قالت نيكي: "باءت المحاولة بالفشل في المرة السابقة".

كانت سامي تعلم أن كلامها صحيح. كما أدركت أنه سيكون هناك عواقب وخيمة إذا أبلغن عن والديهن. العائلة برُمَّتْها سُدْمَرٌ بطريقة أو بأخرى. وربما يتساءل الناس عن عدم لجوئهنَّ إلى الشرطة من البداية. وربما يتساءلون عن غُضُّهنَّ الطرف عما كان يحدث.

جذبت سامي نَفْسًا عميقًا وقالت: "ربما بوسع توري تجاوز هذه المحنة، كما فعلناها".

لم تكن نيكي مقتنعة تمامًا، لكن بالنظر إلى كل النتائج المحتملة، اعتبرت أنه أفضل خيار. وحاولت الأختان طمأنة نفسيهما بأن الأمور ستكون بخير.

أردَقَت سامي: "إنها في الرابعة عشرة. لم يبقَ لها سوى بضع سنوات".

"أعلم. يمكنها تجاوز ذلك".

"نعم، يمكنها".

استدركت سامي: "لكن إذا لم تستطع، يا نيكي... إذا لم تستطع، علينا إخراجها من هناك".

وافَقَّت نيكي، وفي النهاية طرحت موضوع شين.

كانت سامي قد صدَّقَت قصة هروب شين، رغم عدم بحثهن عنه بجديّة.

قالت نيكي مُصِرَّةً: "أمي آذت شين، يا سامي".

لم تكن نيكي وسامي تتحدثان عن مسألة اختفاء شين إلا همسًا. كانتا دائمًا تعودان إلى قفص الطيور الذي أصرَّت أمهما أن شين تركه لها مع رسالة لطيفة.

كانت نيكي دائماً الأكثر تشكُّكاً وقالت: "شين لم يكن ليترك لها تلك الرسالة مع قفص الطيور. كان يكرهها بشدة".

حاولت سامي طمأنتها وقالت: "حسنًا، يا نيكي. لكن أمانا لن تؤذينا حقًا. شين كان أخانا".

\*\*\*

عندما أنهت سامي المكالمة، عادت إلى توري.

قالت: "علينا أن نتخذ القرار الأفضل الآن. هل تعتقدان أن بوسعك الانتظار بعض الوقت، ريثما تنقضي هذه الفترة؟ ستبلغين الثامنة عشرة خلال أربع سنوات".

قالت توري إنها ستفعل ما يخدم مصلحة الجميع، لكنها كانت مُفعمّةً بالغضب العارم. أرادت أن تدفع والدتها ثمن ما فعلته بهم جميعًا.

قالت: "يجب ردها. أنتِ تعلمين، يا سامي. إنها مُجرمة. ربما تكون أسوأ الناس طرًّا. تأملي ما فعلته. تأملي ما فعلته بكِ وبكاثي ورون ونيكي".

بينما راحت أختها تتحدث، استعادت سامي ذكريات كل ما فعلته أمها. باتت ترى الآن كل الأمور واضحة وضوح الشمس. من المستحيل إنكار أن أمهن هي أسوأ شخص في العالم.

لكنها تظل أمنا. الأم الوحيدة التي لن يكون لنا سواها.  
سكتت سامي، فكسرت توري الصمت الذي خيم عليهما.  
"ليس بوسعي الاستمرار في هذا الوضع، يا سامي".

عانقت سامي شقيقتها. كانت تشعر باليأس؛ مُدْرِكةً أن حياة الجميع ستتداعى إذا انكشفت الحقيقة. ومع ذلك، كانت قد تمكَّنت من إيجاد طريقة لتجاوز قسوة والدتها.  
كانت تأمل أن تحذو توري حذوها.

\*\*\*

انهمرت الدموع في الطريق إلى أوليمبيا للقاء شيلي في موقف سيارات "أوليف جاردن". واستحالت الزيارة، التي كان من المفترض أن تكون أبرز أحداث الصيف، كابوسًا، بعد إدراكهما أن سيناريو كاثيرين توري قد تكرر بحذافيره مع رون.

قبل أن توقف سامي سيارتها بجوار سيارة والدتهما المنتظرة، أخبرت توري بشيء أخير.

"إذا أخبرتك أن رون قد رحل، فهذا يعني أنه قد مات".

كانت عينا سامي حمرأوين من البكاء، وقد لاحظت أمها ذلك.

سألها شيلي: "هل أنت بخير؟".

على الفور أجابت سامي، التي لطالما كانت بارعةً في التهرُّب من المواقف الصعبة بالقاء النكات أو تغيير الموضوع: "نعم. ولكن يشقُّ عليّ توديع أختي الصغيرة".

تعانقت الأختان وبكتا معًا بينما كانت شيلي تراقب من سيارتها. كان وداعًا طويلًا ومؤلمًا. وأخيرًا، انفصلتا، وركبت توري السيارة.

شغلت شيلي المحرك وسألت بينما تتحرك بالسيارة عائدة إلى رايمند: "ما الذي يجري، يا توري؟".

"لقد كانت عطلة رائعة. سأفتقدها".

حاولت شيلي الاستفسار أكثر، لكن توري أخبرتها بأنها متوعكة.

"أعاني من صداع مؤلم، يا أمي". أراحت رأسها على زجاج النافذة الجانبية وأغلقت عينيها متظاهرة بالنوم.

فكّرت: لا أريد التحدث معكِ.

عندما وصلتا إلى مدخل مونهون لاندنينج، شعرت توري وكأنها في مكان غريب. ورغم تغيُّبها لبضعة أيام، فإنها لم تشعر بأنه منزلها. لم يكن مكانًا تفهمه أو تحسُّ بالراحة فيه. كل شيء بدا غريبًا وعجيبًا.

قالت أمها: "رون حصل على وظيفة".

عرفت توري أنها تكذب.

لقد مات رون.

رغم صمت والدتها أثناء القيادة، فقد بدا صوتها قاسيًا حين طلبت من توري إطعام الكلاب. كانت نبرتها على النقيض تمامًا من نبرة شقيقتها.

كانت باردة.

قاسية.

لاذعة.

ذهبت توري لتنفيذ ما طُلبَ منها، بينما داخلها الخوف وشعور بالغثيان. لقد انقلب عالمها رأسًا على عقب. لكنها لم تكن وحيدة، فبجانبيها شقيقتان تحبانها، وتعرفان حقيقة والدتهن ومدى وحشيتها. وقد منحها هذا اليقين قوة هائلة. واعترتها رغبة عارمة في الذهاب إلى السلطات وإخبارهم بكل شيء.

لكن سامي كانت قد نصحتها بالتريث والانتظار. وفهمت توري وجهة نظر سامي. كما عرفت أنها ستدفع الثمن. لم تكن العقوبات

هي ما يخيفها؛ لقد نجت حتى تلك اللحظة، بل خشيت ألا ترى أختها الكبرى مجددًا.

قالت لاحقًا: "كنت أعلم أنني إذا بقيت صامتة، فقد لا أتمكن من رؤية نيكي مرة أخرى".

استعصى على توري تقبُّل ذلك الوضع. لم تكن مستعدَّةً لخسارة أختها الكبرى للمرة الثانية.

لم تكن تريد الذهاب إلى الشرطة لجعل والدتها تدفع الثمن، أو حتى لمجرد الانتقام. بل لإيقاف كل هذا الجنون حتى تتمكن من العودة إلى شقيقتها مجددًا.

تأمَّلت شيلي ابنتها بعناية، وتفحصت عيناها توري من قمة رأسها حتى أخمص قدميها. لم تكن نظرة اهتمام أو حبًّا لابنة غابت عن المنزل لبضعة أيام، بل نظرة حيوان مفترس. كانت بارعة في قراءة الناس. سألت: "هل الأمور على ما يرام؟".

"كل شيء بخير، يا أمي".

"أنتِ تكذِّبين".

"لا، لستُ أكذب".

"اقتربي، أريد أن أعانقكِ".

قالت توري: "لا أشعر أنني بخير. أظنُّ أنني مريضة. أنفي يسيل".

حدجتها شيلي بنظرة باردة وقالت: "حقًّا؟ بوسعي مساعدتك. لديَّ علاج لذلك".

اختفت ثم عادت ومعها قرصان.

"تناوليها".

\*\*\*

أصيبت سامي بالذعر عندما اتصلت بها توري لاحقًا في تلك الليلة، وأخبرتها أن أمهما أعطتها حبّتي دواء، ولكن توري لم تتناول إلا واحدة.  
"ماذا؟ ماذا أعطتك؟"

"أقراص دواء."

"ما نوعها؟"

"حبوب صفراء، لأنفي."

تملّك سامي شعور بالقنوط، وتذكّرت حين أعطتها أمها بعض الحبوب فعجزت عن المشي، وحين أعطت حبوبًا لكاثي؛ ما جعلها في حالة من التخدير لساعات. دأبت أمهنّ على تقديم الأدوية لأفراد الأسرة زاعمةً أنها ستجعلهم يشعرون بالتحسن، بينما كانت في الواقع تجعلهم يطيعونها، أو تُبعدهم عنها كي تشاهد التلفاز أو تجلس من دون الاضطرار لتلبية احتياجات الآخرين في المنزل.

"عليك بتقيئها فورًا، يا توري."

تردّدت توري قليلًا وقالت: "أمي لن تؤذيي."

أخذت سامي نفَسًا عميقًا. بعد كل ما ناقشوه، وبعد كافة التفاصيل التي تيقّنت سامي من صحتها، صار لديها رؤية أوضح لما كانت شيلى قادرة على فعله، وما ستقدّم عليه، وما اقترفته يداها في الماضي. لقد أسرت إليها نيكي أنها حسبت في وقت ما أن والديهما كانا يخططان لقتلها، وأنها ظنّت أنهما سيفعلان ذلك بعد اختفاء شين، لأنهما استرابا في كشفها للأسرار.

لا أحد بوسعه حمل تلك الأسرار في صدره ويظل صامتًا.

"أنتِ لا تعرفين جبروتها، يا توري. يجب أن تلفظيها الآن!"

كان إلحاح أختها صادمًا.

قالت توري: "حسنًا. كيف؟".

"حاوِلي تَقِيًاها رَغْمًا عنكَ!".

قالت توري إنها ستفعل، رغم أنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنها لا تستطيع. كانت خائفةً من أن تقيء، فتكتشف والدتها وتغضب منها، وربما تؤذيها. جلست صامتة في غرفتها لدقيقة، وشعرت بالدوار. استشعرت إحساسًا غريبًا في جسدها بسبب تلك الحبة. وخرجت إلى الفناء وأخذت تتجول، بينما تظن أن والدتها تراقبها.

اتَّصَلتْ بأختها مجددًا تلك الليلة.

قالت: "أخرجيني من هنا. لم أعثر على أثرٍ لرون. إنه ميت، يا سامي. أنا واثقة".

"هل أنتِ متأكّدة؟".

"نعم. أرجوك".

دفعت سامي توري لمحاولة بذل جهد أكبر. لم تكن تريد الذهاب إلى الشرطة، لأنها عرفت كيف سارت الأمور حين أخبرتهم نيكي بأمر كاثي. كانت محاولة فاشلة.

"هل أنتِ متأكّدة أنكِ لا تستطيعين الانتظار بضع سنوات أخرى؟".

أدرّكت كلتاها مدى سخافة الطلب.

"كلًا، لا أستطيع، يا سامي. أمي قاتلة. ستعرف. وربما تقتلني أيضًا. أنتِ تعرفين مدى قدرتها، يا سامي".

قالت سامي: "حسنًا. سنحاول إخراجكِ".

قالت توري: "لا بُدَّ أن أخرج الآن. يجب أن ينتهي هذا الوضع".

## الفصل السابع والسبعون

في صباح اليوم التالي، وبينما كانت أمها جالسة أمام التلفاز، توجَّهت توري إلى مبنى الأعمدة، لتواصل سعيها للعثور على أي أثر لرون. ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا؛ فقد وجَدَت كومةً من أغراضه الشخصية، بما في ذلك ملبسه الداخلية، مكدَّسة فوق المجدِّد، وإلى جانبها ضمادات ملطَّخة بالدماء، والتي كانت ملفوفة حول قدميه بعد نقعهما في الماء المغلي الممزوج بالمبيض. كانت بقع الدم قديمة، لونها يميل إلى البني، لكن توري تعرَّفت عليها على الفور.

فكَّرت: اللعنة! لِمَ كل هذه الأشياء هنا؟

وقفت بلا حراك لبرهة، محاولةً أن تُخزِّن في ذاكرتها كل ما تراه. أرادت حفظ تفاصيل كل عنصر بعناية، تحسُّبًا لقيام والدتها بالتخلص منها. ومن دون أن يكون لديها خطة مسبقة، أخذت توري بعض الأغراض الملطَّخة بالدماء وأخفتها في حظيرة الدجاج.

ثم بدأت تبحث في المنزل عن أي شيء آخر يخص رون. لم يكن لديه الكثير في ذلك الوقت -بضعة كتب وأقل من دُرج واحد من الملابس- لكن بقية أغراضه قد اختفت. بحثت عن بنطال جينز فضفاض كان مخبأً في أحد أدراج خزانة ملابس شقيقتها الكبرى. لكنها لم تجده.

أخيراً، توجّهت إلى حفرة الحرق. كان والداها يتصرّفان بغرابة، وتحذيرات أمها بالابتعاد عن ذلك المكان أبعد من كونها مجرد تنبيه عادي. حتى بعد سماع القصة من سامي، كان من الصعب عليها تخيّل ما حدث لكاثي.

أنبأها حدّسها أنها بحاجة إلى أدلّة إضافية؛ شيء يمكن للشرطة استخدامه لإثبات أن رون قد قُتل وتمّ التخلص منه بطريقة ما. ربما بالطريقة ذاتها التي تمّ التخلص بها من جثة كاثي حسبما ذكرت شقيقتها.

بسرعة وهدوء، انحنى توري وأزاحت بعض الأغصان التي ارتابت في أن والداها قد وضعها فوق كومة الحرق. كانت الأرض مستوية وممهّدة.

فكرت: لقد نظّفا كل شيء بالفعل. إنها يعلمان أن أحداً سيأتي.

أخيراً، وبدقات قلب متسارعة، جمعت توري بعض التراب الممزوج بالرماد وأسرت عائدة إلى حظيرة الدجاج. ظنّت أنهما تخلّصا من رون بالطريقة ذاتها التي تمّ التخلّص بها من كاثي كما قالت شقيقتها. راحت يداها ترتجفان لكنها لم تكن تبكي. أدركت أن ما تفعله كان ضرورياً.

كان يجب ردع والدتها.

عندما عادت إلى داخل المنزل، بدا وكأن شيئاً لم يحدث. أبصرت والدتها تمارس روتينها المعتاد، الذي لم يكن يعني شيئاً يُذكر. فصعدت إلى الطابق العلوي.

تابعت شيلي شؤونها، وراحت تكتب بطاقة تغيير العنوان لحساب بطاقة الائتمان الخاصة برون في متجر "لوز"، والتي كان عنوانها القديم طريق "مونهون لاندينج". صحيح أنه لم يكن في ذهنها عنوان شارع جديد لرون، لكنها على ما يبدو استقرت على اسم المدينة. ليست وينلوك، ولا وينثروب، ولا أي مكان بعيد آخر.

كتبت تاكوما.



## الفصل الثامن والسبعون

في بعض الأحيان، شعرت نيكي أن رايمند كانت بعيدة جدًا، وكأنها في عالم آخر. لم تكن تحب استرجاع ذكريات الماضي. كانت متزوجة، وتعتزم بناء أسرة رغم ما فعله بها والداها. كيف تشرح لأحد التمرغ في الوحل؟ أو تعذيب أمها لكائي؟

أو لشين؟

ماذا حدث له؟

في 6 أغسطس عام 2003، انطلقت نيكي وسامي بالسيارة إلى مقاطعة باسيفيك لإخبار المأمور بما تعرفانه من حقائق. سيطر عليهما شعور شديد بالخوف والتوتر. كانت الرحلة مُترعةً بالتساؤلات والشكوك، متبوعةً بفترات طويلة من الصمت المؤلم. والدموع أيضًا. ما يحدث كان أمرًا جليلاً. أكبر مما يمكنهما تحمله؛ لأنه جاء متأخرًا. وكانت الأختان تعلمان أنه ربما فات أوان إنقاذ رون. كانت هذه هي المرة الثانية التي تجلس فيها نيكي مع نائب المأمور جيم بيرجستروم. المرة

الأولى كانت فشلًا ذريعًا. لم ينجم عنها شيء على الإطلاق. لماذا لم يقدم أحد يد العون؟ لا يمكن إلقاء اللوم بالكامل على سامي لعدم تحديثها مع المأمور. في الواقع، كان بيرجستروم ونائب آخر قد زارا مونهون لاندينج للاستفسار عن رون. كانا يعلمان أنه مختبئ هناك، وأن سجل شيلي نوتيك لم يكن نظيفًا.

اعتاد سكان البلدة أن يطلقوا عليها "شيلي المجنونة".

كانا يعرفان أيضًا أن كاثي لورينو شوهدت آخر مرة برفقة شيلي. ويعلمان كذلك أن رون اتصل بالإسعاف عندما زعم أن ماك سقط من كرسيه المتحرك؛ ما جعل شيلي المستفيدة الوحيدة من ممتلكات المحارب المخضرم الذي شارك في الحرب العالمية الثانية.

وبين الدموع وفترات الصمت الطويل لاستجماع شجاعتهم، سردت الشقيقتان قصتهما، القصة ذاتها التي روتها نيكي من قبل. لكن هذه المرة كانت مختلفة. هذه المرة، صدقوهما. توافد آخرون من مكتب المدعي العام ورجال الشرطة إلى غرفة الاستجواب في مكتب مأمور مقاطعة باسيفيك. وسجل نائب المأمور بيرجستروم وفريق المدعي العام جميع أقوالهما. التفاصيل كانت صادمة ومؤلمة في آن واحد. ورأت نيكي وسامي أن النتيجة ستكون ثنائية: عملية إنقاذ لشقيقتهم الصغرى، ومحاسبة والديهما على جميع ما اقترفاه.

نظرت نيكي في عيني نائب المأمور مباشرة، وقالت بصوت متهدج: "كان بوسعك إنقاذ رون لو تبين أنه مات".

لم يحر بيرجستروم جوابًا، ولم تكن نيكي بحاجة إلى رده؛ فكلامه لن يحدث فرقًا أو يُغيّر الوضع.

بعد أن كشفتنا تقريبًا عن كافة التفاصيل المرؤعة، استقلت الأختان سيارة نيكي للعودة إلى منزلهما في منطقة سياتل. كان الظلام دامسًا والقمر بازغًا في السماء. كانتا منهكتين نفسيًا، حزينتين وغاضبتين في آن

واحد. وخائفتين. لكن أغلب ما شغل تفكيرهما هو أختهما الصغيرة وانقلاب عالمها رأسًا على عقب عندما تصل خدمات حماية الطفل في صباح اليوم التالي لأخذها.

قالت نيكي: "ستكون بخير".

شاطرتها سامي الرأي قائلة: "إنها أقوى مما كنا".

جافى النوم عيني نيكي طوال الليل، وعصفت الأفكار برأسها. وحين نهضت من الفراش، اتّصلت بجدها لارا، حليفتها الوحيدة التي كانت دومًا بجانبها في طفولتها. وعندما لم تتمكّن من الوصول إليها عبر الهاتف، أرسلت لها بريدًا إلكترونيًا.

"يجب أن تتصلي بي. كنت في رايمند حتى الساعة الواحدة صباحًا الليلة الماضية. خدمات حماية الطفل ستأخذ توري من المنزل هذا الصباح في الساعة الثامنة. أمي وديف ارتكبا فعلًا شنيعة مجددًا! كنت مع مدّعي عام مقاطعة باسيفيك، وسامي كانت برفقتي أيضًا".

\*\*\*

اتّصلت توري بنيكي عدّة مرات متسائلة عمّا يجري مع الشرطة.

"ماذا عليّ أن أفعل؟".

"تحلّي بالصبر، يا توري".

"إلى متى؟ لا أستطيع البقاء هنا".

"سنُخرجكِ. أعدكِ".

في وقت لاحق من اليوم، اتّصلت شيلي بسامي لمناقشة خطط عيد ميلادها القادم.

قالت: "والدكِ سيأخذكِ لركوب الأمواج!".

ردت سامي، محاولة إخفاء فعلتها: "أنا متحمسة للغاية". رغم كل شيء، كان من الصعب على سامي ألا تحذر والدتها وتنصحها: احزمي أمتعتك واهربي. عليك الخروج من هناك، يا أمي! إنهم قادمون لإلقاء القبض عليك!

لكنها لم تفعل بالطبع. لقد سبق السيف العذل. لم يسبق لها أن شعرت بخوف كهذا في حياتها.

\*\*\*

صحيح أن توري صغيرة السن، لكنها كانت قوية. وبينما طفقت تنتظر طوال الليل واليوم التالي اعتقال والديها، اتصّلت بسامي مرارًا. قالت عن الشرطة: "لم يفعلوا شيئًا. أمي لا تزال في المنزل. وأنا لا أزال هنا. لماذا يستغرق الأمر وقتًا طويلًا؟".

لم تكن سامي تعلم. ظنّت أن الأمور ستتحرك بسرعة بمجرد تقديم شهادتهما. اعتقدت الشقيقات الثلاث ذلك. وساورها القلق أيضًا.

قالت لتوري: "أظن أنهم يحققون في القضية".

ردت توري: "لا تنفكين تكرررين ذلك. لكنني لست متأكدة".

بذلت سامي قصارى جهدها لتهدئة روع شقيقتها الصغرى. وأدركت أن توري، رغم نفاذ صبرها وتوترها، فإنها ظلّت مُتزنّة وعازمة على تحقيق هدفها.

قالت توري: "لقد أخفيتُ ملابس رون في حظيرة الدجاج".

"جيد. أحسنتِ صنعًا".

كما استعدت توري لقدم السلطات لتفتيش المنزل بحثًا عن الأدلة. وكتبت ملاحظة على ورقة مخططة باللونين الأبيض والوردي، ومرسوم عليها نحلة مَرَحَة تطير في الجزء العلوي:

إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي والشرطة وغيرهم.

أرجو عدم إتلاف أغراضي أثناء البحث. لا يوجد هنا شيء ذو أهمية على أي حال. أرجو منكم عدم المساس بأغراضي الشخصية. من فضلكم اعثروا على مأوى مناسب للحيوانات.

مكتبة

[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)



## الفصل التاسع والسبعون

عندما سمعت توري الطَّرقات في صباح اليوم التالي، وقفت عند الباب الرئيسي. لم تفتحه على الفور. لم ترغب في أن تعرف والدتها مدى ارتياحها بقدوم المأمور أخيراً. عندما رأته يقترب، تعرفت الفتاة ذات الأربعة عشر عامًا على نائب المأمور چيم بيرجستروم، الذي كان قد زار المنزل في وقت سابق وسأل عن رون.

عندما انضمت شيلي إليها، انحنى نحو ابنتها وهمست: "ماذا فعلتِ؟ هل قلتِ شيئاً؟".

نظرت توري مباشرة إلى والدتها. لم تهتز ولم ترمش عيناها.

"كلًا، يا أمي. لم أقل شيئاً".

أخبر النائب شيلي أنه جاء -برفقة موظفي خدمات حماية الطفل- من أجل توري. كانوا سيأخذونها للاشتباه في تعرُّضها للإساءة. على

الفور، انفجرت شيلي غضبًا. وأدرّكت توري أن والدتها كانت خائفة أيضًا. لم تتحدث كثيرًا، بل طفقت تُردّد أنها لا تفهم ما يحدث.

صعد بيرجستروم مع توري إلى الطابق العلوي، حيث جمعت بعض الملابس والأغراض الشخصية. كان وجهها شاحبًا، وظهر طفح وردي خفيف بجوار أذنها وعلى عنقها. كانت علامة مألوفة. حتى عندما لم تستطع التعبير عن مدى خوفها أو قلقها، فضح جسدها ما تشعر به. همست توري في أذن النائب.

قالت: "لا بُدَّ أن تحصل على مذكرة تفتيش وتعود لاحقًا. هناك الكثير من أغراض رون في مبنى الأعمدة. أنا متأكّدة أن والدي سيحرقان كل شيء. لقد وضعت بعض الأغراض في حظيرة الدجاج لإخفائها".

عند الباب، أخبرت ضابطًا آخر أن والدتها أعطتها حبتين صغيرتين صفراوين قبل أسبوعين. كانت توري قد تناولت حبة واحدة فقط؛ ما أغضب شيلي.

قالت شيلي: "حسنًا. إذًا أنت لا تثقين بي".

عندما روت توري قصتها لمُحقّقي مقاطعة باسيفيك بعد ظهر ذلك اليوم، قلّلت من شأن معظم ما حدث لها. أخبرتهم كل ما تعرفه عن رون واعتقادها أنه ميت. لم تكن تعرف شيئًا عن كاثي لأنها كانت صغيرة جدًا حينذاك. كانت حذرة في حديثها لأنها خشيت أن يُعيدوها إلى أمها.

فكّرت: إذا أعادوني إلى المنزل، ماذا ستفعل بي أمي؟

قالت لاحقًا إنها لم تخبر الشرطة إلا "عشرة بالمائة من الأفعال البشعة". ومع ذلك، أدرك المحقّقون أن 10% من الكابوس تظلّ تجربة مُروّعة.

\*\*\*

نظرت سامي إلى هاتفها وحاوَلت تمالك نفسها. ها قد وردت المكالمة التي تخشاها. فكَّرت في تركها تُحوَّل تلقائيًا إلى البريد الصوتي، وربما حتى التظاهر بأنها لم تتلقَّ المكالمة على الإطلاق.

ظهر رقم أمها على شاشة الهاتف.

لقد تفاقمت الأوضاع، وكانت تداعياتها على وشك اجتياح جميع أنحاء مقاطعة باسيفيك.

"مرحبًا، يا أمي."

لم تسمع "مرحبًا، يا عزيزتي" أو أي شيء من هذا القبيل. بدأت شيلى مباشرة في سرد ما حدث.

ما تسببت فيه سامي وأختها.

صرخت شيلى: "أخذوا تسوري الآن، يا سامي! جاءت الشرطة وأخذوها بتهمة إساءة المعاملة. لا أدري ماذا يحدث؟ هل تعرفين؟".

أخذت سامي نفسًا وتظاهرت بالجهل.

"ما الخطب، يا أمي؟".

كانت شيلى غاضبة، متلعثمة. وراحت جملها تتواصل بلا انقطاع. "لم أرفع يدي عليها أبدًا. لا أعتقد أنني حتى عاقبتها! وكلما فكَّرتُ في ذلك، كنت أترجع".

لطالما بدت أكاذيب والدتها مُقنعةً للغاية.

قالت سامي: "أوه، يا أمي. أنا آسفة جدًا".

من نواحٍ عديدة، لم تكن تلك كذبة. كانت سامي تشعر بالأسف حقًا لعدة أمور؛ شعرت بالأسف لأنها لم تلاحظ علامات التحذير التي تشي بتعرض أختها للإساءة. وشعرت بالأسف أيضًا لأنها لم تكن أكثر

ارتيابًا عندما أخبرها رون أنه بخير. وشعرت بالأسف كذلك لأنها لم تدعّم أختها حين أخبرت نيكي وجدّتها السلطات بأمر كاثي.

كما شعرت بالأسف تجاه والدتها. بدت شيلى يائسة. كانت محاصرةً وتحاول الخروج من مشكلتها، التي كانت من صنيع يديها، عبر الهاتف. ظنّت أن المشكلة كلها تتعلق بتوري. يا إلهي! لم تكن تعلم أن أخذ توري من مونهون لاندنينج لم يكن سوى البداية.

سألته شيلى باضطراب: "هل قالت شيئًا حين مكثت معك؟ هل أخبرتك أننا لسنا على وفاق؟".

مجدّدًا، كذبت سامي، صانعة السلام، الابنة الوسطى، التي كانت تقريبًا الابنة المفضّلة لدى أمها.

أجابت: "كلّا، يا أمي. لم تقل شيئًا".

"أظنّين أن نيكي ربما اتصلت بالشرطة أو باحت بشيء عن كاثي، ولهذا أخذوا توري؟".

ردّت سامي: "لا، يا أمي. لن تفعل".

أجرت سامي مكاملة سريعة مع نيكي.

"أمي تشعر بالدُّعر".

قالت نيكي: "جيد. يجب أن تكون كذلك".

ارتكبت نيكي خطأً عندما ردّت على الهاتف، وسمعت أمها تقول صارخة إن أحدهم اشتكى من سوء معاملتها لتوري، وإن خدمات حماية الطفل جاءت وأخذتها.

هتفت شيلى: "انترعت من بين يديّ بلا سبب!".

لم تعرف نيكي ماذا تقول؛ أتعترف لها أنها هي وسامي كانتا من قَدِّمتا الشكوى، أو أن توري نفسها لعبت دورًا للخروج من مونهون لاندينج؟

قالت نيكي: "آسفة، يا أمي".

بالطبع، لم تكن آسفة. في الواقع، بعد كل ما فعلته شيلى بها وبكاثي وشين وتوري وسامي ورون، كيف يمكن لأي شخص أن يشعر بالتعاطف مع موقف من صنعها؟

قالت شيلى متوعدةً: "سأكتشف الحقيقة على الفور!".

قالت إن الشرطة تسعى للإيقاع بها، وإن توري لم تتعرض للإساءة، بل على العكس، كانت مُدلةً وطلباتها مجابة.

لم تر شيلى سببًا يدفع شخص لإيذاء توري بالطريقة البشعة التي زعمتها السلطات.

أطلقت شيلى مزيدًا من الغضب والأعدار والإنكار، ثم انتهت المكالمة حمدًا لله.

اعتري نيكي القلق إزاء ما فعلته، والعاصفة التي أثارها هي وأختها بقول الحقيقة. أرسلت بريدًا إلكترونيًا إلى جدتها تخبرها أنها تشعر بالانهيار وتظن أن أمها قد تكون بريئة.

ردت لارا بحزم برسالة. كانت قد تحدّثت مع الشرطة والمدعي العام في المقاطعة لأكثر من ساعتين، وبدأت تدرك الضغط المتزايد الذي يسببه التحقيق المتقطّع، والذي يؤثر على الجميع بشكل ملحوظ.

"أخبرتهم بأمر اتصال شيلى بكِ الليلة الماضية وقالوا... لا تردّي على مكالماتها. إيّاكِ... هذا أمر ضروري!!!! شيلى تجري وتصرخ في

الجميع وتلومهم... إنها كالفأر المحاصر... احصلي على أمر حماية وامتنعي عن الرد على مكالماتها...".

كانت لارا على دراية تامة بطبيعة شيلي. لقد شاهدت كيف كانت ابنة زوجها تتصرف وتدير الأمور بطريقة تتناقض تمامًا مع الحقيقة. إذا كانت السماء زرقاء، ستُصرُّ شيلي على أنها خضراء. كانت بارعة في التلاعب. ولكن هذه المرة لن تفلت من عواقب أفعالها.

"والدتك الآن تحاول زرع الشك في ذهنك وتلقي باللوم على الآخرين. السلطات تنصحك بعدم الوقوع في هذا الفخ".

لم تتحدث الشرطة أيضًا. لم يكن هناك طريقة لمعرفة ما يجري سوى الاتصال بالمنزل. كانت سامي ونيكي بحاجة إلى متابعة آخر التَطَوُّرات.

في نهاية اليوم، استجمعت سامي شجاعتها واتصلت بأمرها لمعرفة ما يحدث في رايمند.

كما كان متوقِّعًا، كانت والدتهن مضطربة.

قالت شيلي: "لا يسمحون لنا بالتحدث إلى توري. ما زلنا لا نعرف ماذا يجري أو لماذا".

لم يسبق لسامي أن سمعت والدتها تتحدث بهذا الغضب والارتباك من قبل. التقط ديف، الذي عاد من جزيرة ويدي، الهاتف وسأل سامي إذا كانت تعرف أي شيء.

قالت: "كلًا. لا أعلم".

اكتنفت ديف نوتيك حالة من التوتر والقلق، وكأنها كان يعيش في عالم موازٍ غير مُدرِكٍ لوقوع أمور غير طبيعية بيته طوال هذا الوقت. كانت سامي متيقِّنة أن والدها، الذي تحبه، بالتأكيد على علمٍ بكل تلك الأمور، لأنه كان حاضرًا! كانت واثقة أن الأفعال اللعينة

التي أجبرته أمها على القيام بها لم تكن خطأه. على الأقل لا يتحمل المسؤولية الكاملة. اعتبرته ضحية ومتواطئًا في الوقت نفسه.

قال: "حسنًا. سأذهب إلى المقاطعة لمعرفة ما يمكنني فعله".

في تلك الليلة، غمر الضوء الأزرق للتلفاز الفناء بينما شرعت سيارات الدوريات في مقاطعة باسيفيك تتحرك حول بيت آل نوتيك. وراحت شيلى تشاهد سلسلةً من برامج الجريمة وتتصفح دليل الهاتف بحثًا عن محامٍ بارع. أمّا ديثف، فقد أخذ يحتسي الخمر ويتناول مضادات الحموضة، ثم نام في شاحنته، أو حاول النوم. ربما كانت شيلى غير مُدركة تمامًا لما يحدث في النهاية، لكنه كان يعلم. لم يكن الأمر كله متعلقًا بتوري. وكان يعرف أن جميع الادعاءات التي لطالما تفاخرت بها زوجته حول مدى حذرهما وذكائهما لإخفاء آثار جريمة كاثي لم تنطبق على حالة رون وودورث. فقد نقل جثته من المجرم ودفنه في حفرة كبيرة في الفناء الخلفي. لم يكن قد اختفى تمامًا. كان ديثف متأكدًا أن أمر الجثة سيفتضح.

وعندما يعثرون عليها، ستكون الضربة القاضية.

في اليوم التالي، ترك ديثف شيلى في منزل ماك وذهب لمعرفة ما يحدث مع توري. كانت شيلى قد وضعت رسالتين مكتوبتين على ملصقات من ماركة "براتس" في حقيبة زرقاء مزخرفة حملها ديثف معه إلى خدمات حماية الطفل من أجل توري.

الأولى: "ماذا يحدث؟"

والثانية: "هل قلت شيئًا؟"

\*\*\*

كانت توري قد قالت شيئاً بالفعل. وكذلك نيكي وسامي. ولارا أيضاً. وعرفوا أن آخرين قد فعلوا ذلك. حتى كاي توماس نشرت إعلاناً في صحيفة "ويلاپا هاربر هيرالد" مع صورة ابنتها وعنوان "شخص مفقود".

ومع ذلك، لم تُفصّل المعلومات التي قدّموها إلى اعتقال.

بل تولّى ديف نوتيك الأمر بمفرده.

عجز ديف عن تحديد مكان توري، فذهب إلى مكاتب شرطة مقاطعة باسيفيك. كان متعباً ومنهكاً، ينهشه القلق. وحين سأله المحققون عمّا إذا كان يوافق على إجراء مقابلة، لم يجد سبباً للرفض. لم يكن بحاجة إلى محام، فلم يسبق له الإساءة إلى ابنته الصغيرة، وكذلك لم تفعل زوجته.

لكن اتّضح أنهم لم يسألوه عنه هذا الموضوع. بل ركّزوا على رون وكاثيري. وظلّ ديف متمسكاً بأنه لم يرتكب هو وشيلي أي خطأ، لكن روايته بدأت تتخلّلها بعض الثغرات وشرع في البكاء. وفي إحدى اللحظات، طلب الذهاب إلى الحمام؛ وافق المحققون وتبعه أحدهم إلى الممر.

خارج الحمام، انهار ديف وأخبر الضابط بمكان دفن رون ومكان نثر رُفات كاثيري بعد إحراق جثتها في حفرة الحرق.

قبضت الشرطة على شيلي بينما كانت في منزل ماك. كانت مرتبكة وغاضبة ولم تفهم سبب هذه الاتهامات.

كانت تهتمُّ بمساعدة الآخرين، في نهاية المطاف.

بكت نيكي عندما تلقت خبر اعتقال والديها. اعترف والدها بتخلّصه من جثّتي كاثيري ورون، وقال إنه لم يفعل شيئاً آخر. لم يوجّه أصابع الاتهام إلى شيلي، التي التزمت الصمت.

كانت هناك مفارقة مأساوية في تاريخ اليوم؛ إذا كان عيد ميلاد كاثي لورينو. المرأة المفقودة منذ عشر سنوات، والتي نصحت فتاتي آل نوتيك بعدم مساعدتها خوفًا من تعرّضهما للأذى، كانت ستبلغ عامها الخامس والأربعين في ذلك اليوم.

أرسلت نيكي رسالةً إلى جدتها عبر البريد الإلكتروني.

"ستفتش الشرطة المنزل والمنطقة المحيطة اليوم. أتمنى أن يجدوا شيئًا. لكنني أعتقد أن اعتراف ديف بتخلّصه من الجثث قد يكون كافيًا إلى جانب إفاداتنا. علينا ألا ننسى أن والدتنا ذكية جدًا، وأنها بارعة للغاية في التملّص من مآزق عديدة. أمل ألا تستخدم مهارتها للخروج من هذه الورطة".

بينما غاصت أقدام شيلي وديف في وحل الحقيقة، تبقت مسألة الشخص الآخر الذي اختفى في جنح الليل.

شين.



## الجزء السابع

### الحقيقة شين



## الفصل الثمانون

في اليوم التالي لاعتقال والديها، ذهبت سامي برفقة صديقها كالي إلى مطعم "ميتروبوليتان جريل" في سياتل لتناول عشاء ستيك احتفالاً بعيد ميلادها الخامس والعشرين. ورغم كل ما حدث، أقتنعت سامي نفسها أن الاحتفال بعيد ميلادها سيكون بمثابة طوق نجاة صغير في بحر متلاطم. بالنسبة لكثيرين، قد يبدو رد فعلها غريباً، لكن سامي قضت طيلة حياتها تحاول أن ترسم لنفسها مساراً يجعل حياتها تبدو طبيعية قدر الإمكان، مهما كانت الظروف. دأبت، أثناء مشاركتها في الفرق الرياضية بالمدرسة الثانوية، على ارتداء السراويل الضيقة الطويلة لإخفاء آثار الضرب. واعتادت ابتكار الأعذار عندما لم تأت والدتها لاصطحابها، كأنها تفضل العودة إلى المنزل سيراً على الأقدام. مع كل قزمة، راحت تبتلع مزيداً من الهموم التي تشغل ذهنها. حاولت تخفيف الوضع بإلقاء النكات، لكنها لم تكن مضحكة. كان من الصعب حتى التفكير. غصت الصحف وامتلاً التلفاز بقصص عن

والديها، وظهرت صور كاثي التي قدّمَتها عائلتها في التلفزيون، وكذلك صورة رخصة قيادة رون.

"قصص عن إساءات وجرائم قتل تتكشف في رايمند الريفية".

"زوجان من رايمند صادقًا ثلاثة غرباء ثم اختفوا".

"السُّلطات القضائية تبحث عن أدلّة على التسميم".

طغى واقع ما كان يحدث في رايمند على احتفال عيد الميلاد، وغادر الثنائي المطعم.

بينما كانا ينطلقان بالسيارة عبر تاكوما، رنَّ هاتف سامي المحمول.

كانت المتّصلة جدّتها.

لم تبدأ لارا كلامها على الفور، بل انتظرت لهنيهة محاولةً صياغة الكلمات بأسلوب غير مؤذٍ. ولكنها عجزت عن ذلك.

قالت لارا بنبرة محطّمة: "لقد مات شين. اعترف ديف بقتله".

سقط الهاتف من يد سامي وشرّعت تصرخ: "لقد مات فعلاً! لقد مات! شين!".

حاول كالي تهدئتها، لكن لم يكن هناك شيء يمكنه فعله سوى القيادة. صرخت سامي حتى ألمها حلقها.

على مرّ السنين، كانت تواسي نفسها بتصوّر أن شين كان يعيش بسعادة في مكان ما. وربما صار لديه أطفال. يعيش ويعمل ويستمتع بالحياة مثلما كان يتمنى أثناء صباه في مونهون لاندينج وقبل ذلك. والآن، ذهب أحلامها أدراج الرياح. وتبخّرت.

كان هذا التّصوّر لُعبةً تلعبها مع نفسها. وكان أيضًا أملًا، تبيّنت في النهاية أنه لم يكن سوى سراب.

قالت لاحقًا: "لقد بحثت عنه على مرّ السنين. في زحام الشوارع. كنت متيقّنة أن هناك شيء غير طبيعي، وأنه لن يختفي هكذا ببساطة، لكنني تمّنيْتُ أن أصدق أنه كان يعيش سعيدًا في مكان بعيد".

\*\*\*

صحيح أن ديثف نوتيك اعترف بجرائم عديدة، لكنه لم يعترف بجريمة قتل شين واطسن بصورة رسمية. كان هو والمحققون في البيت الريفي حين اعترف أخيرًا أن ابن شقيق زوجته قد مات.

وقف ديثف على حافة الحقل بينما راح خبراء الطب الشرعي يفتّشون الموقع والكلاب البوليسية تشتّم المكان.

قال: "شين في المحيط".

لاحقًا، أخبر المحققين أنه دخل إلى مبنى الأعمدة ووجد شين يعبث بالبندقية. وكان قد حدّره صراحةً من القيام بذلك.

زعم أنه طلب منه: "أعطني السلاح، يا شين!".

رفض المراهق.

كرّر ديثف: "أعطني إيّاه".

قال ديثف إنه حاول انتزاع السلاح منه بالقوة، عندما واصل شين الرفض، وفجأة انطلقت طلقة. وبعد أن أدرك ما فعله، عاد في هلع إلى المنزل.

كانت الفتيات الثلاث في الطابق العلوي. كان متأكدًا من أن أحدًا لم يسمع الطلقة. أخبر شيلي فورًا بما حدث، فأخذت تبكي. وخرجوا من المنزل.

قالت شيلى: "أريد أن أراه".

أمسك بها ديف، ومنعها من رؤية جثته. وشرع يبكي أيضاً، فضمته شيلى بين ذراعيها كطفل.  
سألته: "ماذا سنفعل؟".

لم يكن يعرف في تلك اللحظة. كان مرعوباً وخائفاً للغاية، كما أصرّ لاحقاً، فلم يبلغ عن الحادث.  
إذا كان ذلك ما جرى بالفعل.

\*\*\*

تردت نيكي في هاوية القنوط. وكتبت رسالة عبر البريد الإلكتروني إلى جدّتها بعد علمها بمقتل شين أيضاً.

"صدقاً، لا أظن أن بوسعي تحمّل المزيد. أتمنى لو كان بوسعي عيش حياة هادئة. فأنا لا أقترف أموراً سيئة، وأتجنّب التورط في المشكلات. لا أستطيع تشغيل التلفاز دون رؤية أمي".

لطالما راوَدَها إحساس بأن ثمة احتمال كبير أن يكون شين قد قُتل. ومع ذلك، راحت تتشبّث بخيطٍ واهِمٍ من الأمل بأنه بخير وعلى قيد الحياة. شعرت بالرعب من أن يكون ما ذكرته لشيلى قد تسبّب في مقتله.

## الفصل الحادي والثمانون

في اليوم التالي لوفاة كاثي لورينو في صيف عام 1994، بدت شيلي كحيوان محبوس في قفص، وراحت تتجول في أرجاء منزل مونهون لاندينج وكأنها عالقة في فخ نسجته بيديها لنفسها ولأسرتها. كانت تبكي وتصرخ، لكنها بدت -بوضوح- عازمةً، وقطعت عهدًا على نفسها. قالت: "لن أسمح لأحد أن يدمر هذه العائلة".

حاول ديف، الذي اعتاد ارتكاب الجرائم البشعة نيابة عن زوجته، تهدئتها قائلاً: "كل شيء سيكون على ما يرام. لن يحدث ذلك. أعدك". لكن شيلي لم تكن مطمئنةً، ووجهت انتباهها على الفور إلى شين ونيكي، إذ كانا متقاربين ويعملان معًا في الحديقة ويتحدثان. أخبرت شيلي زوجها بأنها تعرف عمًا يتحدثان عنه، وأنه لم يعجبها البتة. قالت: "سيبوحان بكل شيء".

لكن ديف اعترض قائلاً: "كلًا، لن يفعل. نيكي من لحمنا ودمنا، وكذلك شين".

ردت شيلي: "شين ليس كذلك. سيبلغ عنًا. سيدمر العائلة".

قال ديف: "لن يفعل". رغم علمه أن شين كان الحلقة الأضعف في الأسرة.

استمرت شيلي في الضغط على زوجها. كانت كالاسطوانة المشروخة التي تكرر نفسها دون توقُّف. وراحت تتصل به في العمل وتذكِّره فور عودته إلى المنزل. شعرت بأن عاصفة تلوح في الأفق، وأن الفتى كان سببها. سيقضي على الأسرة ويدمرها.

قالت: "علينا التخلص منه".

لم يكن ديف بحاجة للتفكير أو طلب مزيد من التفاصيل. كان يعلم بالضبط ما تقصده شيلي. الحلُّ الوحيد لضمان سلامة العائلة كان قتل شين. لكن لم ترق هذه الفكرة لديف مطلقًا. كان يعتبر شين ابنه.

قال لها: "لست متأكدًا".

كانت شيلي تحتقر الضعف والتردد. قالت: "بل تعرف. وستجد الحل. هذا الأمر لا يحتمل التأخير".

\*\*\*

في تلك الأثناء، كان شين يستعد لاتخاذ خطوة بشأن ما كان يجري في عائلة نوتيك. أخبر نيكي، التي لطالما اعتبرها صديقه المقربة، أن بحوزته شيئًا مهمًا يجب أن تراه.

قال: "لكن عليك أن تبقيه سرًّا". كان يتحدث بجدية تامة وبصوت شديد الخفوت. وطلب منها موافاته في المبنى الخلفي. وبينما كانت

نيكي تراقبه، أخرج ابن خالها، الذي كانت تعتبره أخًا لها، ثلاث صور فوتوغرافية من ثقبٍ أحدثه في دُمية دبٍّ صغيرة محشوة. كانت الصور من نوع "بولارويد"، تُظهر كاثي عارية، مكدومة، تزحف على الأرض.

وضع الصور جانبًا وقال: "لقد قتلنا كاثي. وأنا وأنتِ نعرف ذلك. علينا إبلاغ الشرطة. أمك مجنونة وأبوك أيضًا يعاني من مشكلات خطيرة".

سألته: "من أين حصلت على هذه الصور؟".

قال: "سرقتها من أمك".

ظلت نيكي تحدق في الصور. لم تدرِ ماذا تقول.

قال شين: "سأخذها إلى الشرطة. هل تودّين المشاركة؟".

كانت نيكي خائفة للغاية، لكنها أجابت أخيرًا.

قالت: "حسنًا. لنفعل ذلك".

تحدثًا عن اختيار الوقت المناسب ووضع خطة عندما تأتي الشرطة لاعتقال شيلي وديف. أخبرت نيكي شين أنها مستعدة لفعل أي شيء، وأنها تريد أن ترى والدتها خلف القضبان، كي تدفع ثمن ما فعلته بهم جميعًا، وخاصة كاثي.

تذكّرت الثلج الملطّخ بالدماء، والركلات التي وُجّهت لرأس كاثي، والماء الذي تحوّل إلى اللون الأحمر في الدش، والروائح الكريهة لتلك العصائر التي أرغمتها على تجرعها.

قالت لشين: "أكره أمي".

ردّ شين: "وأنا كذلك".

ممتاز. كانا على وفاق تام.

لطالما كان شين حليفها. وافقت على كل ما قاله، ومع ذلك انتابها القلق. قالت: "ماذا لو لم يصدّقونا؟".

أعاد شين الصور داخل الدُمية المحشوة.

قال: "الصور أبلغ دليل".

واصلت نيكي التفكير في الخطة وعواقبها. كانت تحلم بالالتحاق بالجامعة وبناء حياة جديدة بعيدة عن رايمند. ورغم أن والدتها كانت تعمل على تحطيم ثقتها بنفسها، فإن جزءًا من نيكي كان واثقًا من قوتها وقدرتها على النجاح. البوح بالحقيقة سي جلب لها الراحة، وسيصحّ خطأً فادحًا. كل ذلك كان غير قابل للجدل. فكّرت في شقيقتها وإرسالهما إلى دور الرعاية. ماذا سيحدث لهما؟ هل سينتهي أمرهما مع أقارب أم سيعيشون مع غرباء؟ هل ستكون أوضاعهما أسوأ ممّا هي عليه الآن؟ كانت توري مُدلّلة وسعيدة. وسامي تتجاوز إساءات شيلي بشكل أفضل من نيكي. لم تكن تثير المتاعب. صحيح أن الأوضاع كانت سيئة بالنسبة لها ولشين، لكنها لم تكن مروعة في تلك اللحظة.

جافى النوم عيني نيكي في تلك الليلة بينما تُقلّب خطة شين في رأسها. لم تكن تريده أن يخبر أحدًا. لم تكن ترغب في أن تتفكّك العائلة.

في صباح اليوم التالي، رأت والدتها. وشعرت بتوتر شديد في معدتها.

قالت: "شين لديه صور، يا أمي".

توقّفت شيلي عمّا كانت تفعله، وحدجت نيكي بنظرة متفحّصة. ثم سألتها: "أي صور؟".

"كاثي".

توجّهت نحو نيكي وأمسكتها من كتفها وقالت بغضب: "أين؟".

قالت نيكي متراجعة قليلًا: "في غرفته، في دمية الدب".

في تلك اللحظة، أدركت نيكي أنها أشعلت فتيل قنبلة. تمّنت لو كان بوسعها التراجع عن كلامها. رأت في عيني والدتها نظرة قاسية، النظرة نفسها التي كانت تبصرها في عيون الكلاب عندما تربطها شيلي بأشجار التفاح، وتخبر الأطفال أن الحيوانات بخير، وأنه بإمكانها تحمّل الجوع.

جائعة. مُصمّمة. كل ما تريده قزمة واحدة.

ستقضي نيكي أكثر من عشرين عامًا في محاولة فهم السبب الذي دفعها للوشاية بشين في ذلك اليوم. لقد أحبّته. واعتبرته أخًا. كانا متّفقَيْن في كراهيتهما لشيلي وديف، ورغبنا في الرّجّ بهما خلف القضبان. كانت متيقّنة أنّهما يستحقان السجن، وليس على ما فعلاه بها فحسب، بل على ما فعلاه بكائي كذلك.

ظلت تسأل نفسها مرارًا لماذا خانت شين.

قالت: "لم أقصد أن أوقّعه في مشكلة. كنت مرعوبة من أنه إذا أبلغ الشرطة، فسيفتح أمرنا بين الجميع. لم أقل إنه كان يعتزم إظهار الصور للشرطة، كل ما ذكرته أنها كانت بحوزته".

\*\*\*

أعلنت شيلي حالة الطوارئ، واتّصلت بديف فور أن أخبرتها نيكي عن صور شين. في البداية لم يفهم ديف مقصدها. وأجّج ذلك غضبها.

قالت: "ألم تسمعي؟ بحوزته صورة لكائي سيّريها للشرطة. علينا أن نجد الصورة!".

سأل ديف: "ما نوع الصورة؟".

"أعتقد أنه تمَّ التقاطها بعد وفاتها. صورة بولارويد، ستضعنا في موقف سيئ. لم نفعل شيئاً خاطئاً، لكن صورة كهذه ستدمرنا. عليك أن تجدها".

كان ديف منهكاً من القيادة من ويدي، ولكن فكرة وجود دليل مُصوّر على ما حدث لكاثي نبّهه حواسه على الفور. بدأ ديف البحث بمجرد وصوله إلى المنزل، لكن لم يجد الدُمية. فتّش المباني الخارجية، بل حتى حفر في بعض الأماكن بالفناء، والتي ظنَّ أن شين قد خبأ فيها الصورة. وفي الوقت نفسه، راحت شيلي تقلب المنزل رأساً على عقب.

لم يعثرا على الصور.

بعد ذلك، واجه ديف شين.

## الفصل الثاني والثمانون

سمعت نيكي ضجّةً قادمةً من مخزن الحطب. كان صوت أمها. وصوت والدها أيضًا. كانت الأصوات عالية وعنيفة ومخيفة جدًا. وبين فترات صياح الكبار، ميّزت نيكي صرخات شين.

كان الصوت أشبه بصرخات حيوان يتعرّض للضرب. ربما بسلك كهربائي، أو بمقبض مجرفة، أو بقبضة يد.

راحت شيلي تصرخ: "ماذا كنت ستفعل، يا شين؟ أيها القذر الجاحد! لن تدمّر عائلتنا. لن تكون السبب في إرسال شقيقاتك إلى مؤسسة حكومية حقيرة!".

قال شين: "لا".

صاح ديف: "كنت ستفضح الأمر! كنت ستدمّر عائلتنا! أيها الوغد! لماذا بحق الجحيم تريد فعل ذلك؟".

استمرّ الوضع هكذا. ثم ساد الصمت.

عندما رأت نيكي شين مرة أخرى، كان جسده مغطى بالكدمات.

قال: "لقد ضرباني ضربًا مبرحًا. بسبب صور كاثي." Top of Form.

قالت نيكي: "هذا من ديدنها، يا شين. أنا آسفة. أنا حقًا آسفة."

داخل نيكي الذنب العميق لما حدث، رغم أن شين، حسب علمها، لم يكن يدري بأنها من أخبرت والديها.

قالت لاحقًا بينما تلوم نفسها على ما حدث: "كان خطئي".

\*\*\*

لم يهدأ بال شيلى.

أخذت تسأل ديف باستمرار: "ماذا سنفعل بشين؟".

كان يعلم أنها تقصد ما كان ديف سيفعله، وأنها تعني قتل مراهق يعتبره ابنًا.

كلما كان ديف يعود إلى المنزل، راحت شيلى تضغط عليه ليفكر في خطة القتل. وعين كان يجلس صامتًا وفي حيرة من أمره لأنه لم يعرف ماذا يقول أو كيف يرضيها، كانت شيلى تقدم اقتراحاتها حول كيفية تنفيذ الأمر.

قالت بنبرة أمرية: "ينبغي أن يبدو حادثًا".

تمنى ديف لو كان الحديث عن أي موضوع آخر. "حسنًا. حادث؟ لا أدري، يا شيل. لا أعلم إن كنت قادرًا على ذلك".

اقترحت أن يصطحب شين إلى الغابة لقطع الخشب ويدع شجرة تقع عليه.

قالت: "حادث كهذا".

مرة أخرى، لم يكن ديف واثقًا. "سيكون من الصعب جدًا فعل ذلك".

كان ردًا خاطئًا.

انفجرت شيلي غضبًا.

"كُنْ رجلًا. تحلّ بالشجاعة. يا إلهي! أي نوع من الرجال أنت؟ هل تدرك ما قد نخسره في هذه الحالة؟ بناتنا! أتریده أن يشي بنا فيدمر حياتنا بسبب ما فعله بكاثي؟".

لم تكن شيلي جزءًا من اللوم قط. كانت ستخبر الجميع أن شين كان مُسيئًا لكاثي، وأن زوجها هو مَنْ فعل ذلك، وأنها لم تكن تعلم ما يجري أثناء عدم وجودها للاعتناء بكاثي.

"أنت تعرف أن شين قتل كاثي! كلانا يعرف. إنه يستحق الموت على فعلته. كُنْ رجلًا، يا ديف!".

وعد ديف بأنه سينجز المهمة. وطلب منها أن تُمهله وقتًا ريثما يفكر في الأمر، ويبحث عن أفضل خطة، لكنه في قرارة نفسه كان يأمل أن تنسى الأمر.

لكنها لم تنس.

\*\*\*

لفترة طويلة، لم يحدث شيء. بناءً على تعليمات شيلي، اختبأ شين ونيكي تحت منزل الجيران، وراحا يتنصّتان لمعرفة أي دليل قد يشير إلى أنهم سمعوا أو رأوا شيئًا عن كاثي. الصرخات في الفناء أثناء التعذيب بالاغراق بالماء؟ ربما الرائحة النَّفاذة للحريق؟

لا شيء.

مرّ الصيف سريعاً، وعاد الأبناء إلى المدرسة. وجاء عيد الميلاد، واحتفلت شيلي به كما تفعل دومًا؛ راحت تكدّس الهدايا ثم تأخذها منهم. لم تكن شيلي تشرب الخمر؛ لذا كان احتفال رأس السنة الجديدة هادئًا في المنزل.

خيّم الهدوء النسبي حتى فبراير، بعد ستة أشهر من وفاة كاثي.

استيقظت نيكي في منتصف الليل على ضجّةٍ قاطعت نومها. حدث شيء ما. جالت ببصرها في الغرفة وأصاحت السمع. كان المنزل صامتًا. عادت إلى النوم، متسائلة إذا كان الضجيج جزءًا من حلم.

ولكن هيهات.

## الفصل الثالث والثمانون

حدث ذلك في فبراير 1995، في وقت متأخر وهادئ، والظلام الدامس يخيم على الأجواء. أخذ ديف بندقيته عيار 22 من صندوق سيارة "أولد بلو". وذهب إلى مبنى الأعمدة للعثور على شين. راحت قدماه تتحركان خطوة تلو الأخرى وكأنه إنسان آلي. كان الباب مغلقًا. أدار المقبض ودخل. أضاء الأنوار. لم ينبس بكلمة واحدة.

أطلق ديف النار على مؤخرة رأس ابن شقيق زوجته.

سالت الدماء على الأرضية الأسمنتية.

مات شين.

شعر ديف بالخدر وهو ينحني. لم يكن يرغب في قتل الصبي. لم يكن يتصوّر قط أنه يستطيع قتله. ولكن كأنه قد تمّ برمجه، أو وتمّ تحريضه من الحسناء صاحبة الشعر الأحمر التي تزوّجها.

المرأة التي أحبّها رغم كل شيء.

المرأة التي كانت تنظر في عينيه عندما يتجاوز حسابهما البنكي الحدّ المسموح بشكل كبير وتقول إن المشكلة من البنك.

"إنهم يخطئون باستمرار في حسابنا! سأقدم بشكوى غدًا!"

المرأة التي اكتشف والد ديف أنها محتالة ومثيرة للمشكلات منذ لحظة لقائه بها. "ستندم أشد الندم إذا بقيت معها".

عاد إلى الداخل ليخبر شيلي بما اقترفه.

"لقد قتلتُ شين".

تدلى فُك شيلي كخزانة سقطت من مبنى مكوّن من عشرة طوابق. بدت في حالة صدمة تامة، وكأنها لا تدري السبب وراء فعله زوجها.

سألت، وعيناها تكادان تخرجان من محجريهما: "ماذا فعلت؟ قتلت ابن أخي؟ لماذا؟".

هل تمزحين، يا شيلي؟

لم يعرف ديف كيف يتعامل مع رد فعلها وقتذاك. لقد طلبت منه ذلك، وضغطت عليه، وتملّقته كي ينقذه منذ وفاة كاثي تقريبًا.

سألت: "ماذا سنفعل الآن؟".

قال: "ما فعلناه مع كاثي".

راقت الفكرة لشيلي.

لقد نجحت من قبل.

بعد أن استجمع شتات نفسه، عاد ديف إلى مبنى الأعمدة ووضع جثة شين في كيس نوم، ونقلها إلى مكان قريب من الورشة. صبّ بعض المبيّض في دلو ماء من متجر "هوم ديبو"، وبذل قصارى جهده

لتنظيف الفوضى الدموية. كان قد وعد زوجته بعدم ترك أي أثر. لا حمض نووي. لن يبقى شيء يدل على ما حدث.

ثم ترقّب فرصة -عندما تكون الفتيات بعيدات عن المنزل- لحرق الجثة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت الفتيات على قِصّة قفص الطيور وهروب شين إلى ألاسكا لصيد الأسماك. وبعد يوم أو نحو ذلك، عرضت شيلي على الفتيات المبيت عند أصدقائهن ليلية واحدة، وكانت فرصة نادرة، قبلها بسرور.

هذه المرة، عندما حرق ديف الجثة، لم يستخدم المواد القابلة للاشتعال أو الألواح المعدنية التي استخدمها مع كاثيري. لا إطارات. ولا ديزل أيضًا. لم يستخدم سوى الخشب واستمر في إضافة المزيد فوق جثة شين حتى استحالت رمادًا وعظامًا. واستغرق الأمر طوال الليل وجزءًا من صباح اليوم التالي، أطول من الوقت المستغرق في حرق كاثيري.

فكر حينها أن الألواح المعدنية التي استخدمها في حالة كاثيري كانت فعّالة للغاية.

عندما برد الرماد تمامًا، وضعه في أكياس للرحلة المعتادة إلى شاطئ ووشواي. أوقف شاحنته، وأخذ يتلّفّت حوله للتأكد من عدم وجود أي مراقب، ثم أفرغ الرماد في الأمواج البيضاء الرغوية للمحيط الهادئ. عندما عادت الفتيات إلى المنزل بعد يوم، كانت كومة الحريق قد انطفأت.

بعد فترة قصيرة، أحضر ديف جرّافة ودَفَنَ التراب أسفل التل بين شجيرات العليق المتشابكة.

أصرت شيلي على تقديم بلاغ إلى مأمور مقاطعة باسيفيك بهروب شين. أجرى ديف المكالمة، وأخبر الشرطي أن ابن شقيق زوجته كان يختفي أحيانًا لعدة أيام.

قال: "نشأ في بيئة عائلية مضطربة وغير مستقرة"، مضيفًا أنه بحث هو وزوجته في كل مكان.

شكر الشرطي ديف على البلاغ، وأخبر ديف شيلي بأنهم تلقوا تعليمات بـ"تجاهل الموضوع".

اختفى شين. واختفت الجثة. وانصرف ذهنا ديف وشيلي إلى السلاح المستخدم لقتل الصبي.

\*\*\*

شكّلت بندقية الكاربين القصيرة عيار 22 المستخدمة في قتل شين مشكلةً بالفعل. لم يرغب ديف في إبقائها في المنزل. كان متأكدًا أن أحدًا سيكتشفها ويميط اللثام عمّا حدث لشين. وراح يفكر في اضطرابٍ وقلقٍ، وما لبث أن توصل إلى خطة غير مُحكّمة وافقت عليها شيلي. قاد شمالًا خارج رايمند إلى طريق ناءٍ لقطع الأخشاب، وعندما تأكد من عدم وجود أحد يراقبه، ترجّل ودفن السلاح في التراب. كانت البندقية التي أزهقت روح شين تشبه القلب الواشي في قصة إدجار آلان بو؛ ظلت تسخر من ديف، وتذكّره بما فعله بابن شقيق زوجته. كانت شيلي أيضًا على يقينٍ أن أحدهم سيعثر على السلاح ويكتشف ما حدث، رغم عزلة المكان وحذر زوجها.

قالت: "عليك أن تذهب وتسترجعها".

وهكذا فعل. بعد أسبوعين، توجه ديف إلى الغابة لاسترجاع السلاح وأعادته إلى المنزل. ووضعه في حفرة النار وأحرقه.

قال لاحقًا: "كنت آمل أن يذوب المقبض أو يتشوّه. لكن ذلك لم يحدث".

سَلِّمَ ديف ما تبقى من سلاح الجريمة إلى شيلي، فخبَّأته في الجزء الخلفي من خزانة. ولم يره مُجددًا.



## الفصل الرابع والثمانون

حتى بعد قتل شين، واصلت شيلى البحث عن صور كاڤي. كانت الصور التي بحوزة شين دليلاً على أمر يصعب تفسيره بسهولة. فتشّست في جميع أرجاء المنزل عندما كانت الفتيات في المدرسة. وتفقدت المباني الخارجية، وبحثت تحت الألواح، ونبشت الأغراض المبعثرة هنا وهناك في مبنى الأعمدة.

كانت واثقة من وجود الصور هناك في مكان ما.

لم تكن شيلى تدري أنذاك أن ثمة صورة أخرى لكاي موجودة على لفافة أفلام غير مطبوعة، مُخبّأة في أحد الأدراج في غرفة المعيشة. كان شين قد التقط صورة لكاي وهي عارية تزحف على أرضية غرفة المعيشة. كانت صورة مروّعة ومقرّزة، يتّضح فيها بجلاء مدى معاناتها، وشعورها بالبرد بلا شك. كانت تحاول الانتقال من غرفة إلى أخرى، وبدا عليها الوهن والضعف الشديد حتى إنها لم تستطع النهوض.

وكأنها استحالت حيوانًا.

راحت شيلي تبحث في غرف الأبناء ودرج الأغراض المتنوعة في المطبخ. قالت تذكّر ديف: "يجب أن نجد الصور". لم تكف عن البحث المحموم للحصول عليها وتدميرها.

قالت: "إذا عثر أحدهم على الصور، سنقع في ورطة كبيرة".

"ورطة كبيرة!" كان قد اعتاد على تقليل زوجته من شأن الأمور، لكنه يتقن أن حياتهم ستتغير للأبد. كان غارقًا في مستنقع المآزق مع شيلي حتى الأذنين. كان يساعد في البحث، ثم تعاود شيلي التفتيش بعد بضعة أسابيع، وتقلب المكان مجددًا رأسًا على عقب، وتوبّخ شين على خيانتة.

قالت: "كان سيخوننا".

شرعت شيلي آنذاك تضيف تفاصيل على قصة هروب شين، وتخبر الفتيات أن شين قد اتصل تَوًّا.

قالت: "أخبرني أنه سيعيد الاتصال".

وذات مرة، قالت للفتيات قبل مغادرة المنزل: "إذا اتصل شين أثناء غيابي، تأكدوا من معرفة مكانه".

تنحى ديف بزوجه.

قال: "الترمي بقصة بسيطة. لا داعي لإضافة تفاصيل جديدة. لقد هرب، لقد ذهب".

لكن شيلي لم تستطع كبح جماح نفسها. وتحسبًا لأي تطورات مستقبلية، راحت تُسجّل ملاحظة على التقويم بشأن تاريخ هروب الصبي. ثم أضافت ملاحظات أخرى مع مرور الوقت، مُسجّلة المرات القليلة التي استقلّت فيها السيارة برفقة الفتيات وذهبن في جولات حول مقاطعة باسيفيك بحثًا عن ابن أخيها.

كانت بارعة في البحث عنه في الماضي. ولكن هذه المرة، لم تعثر عليه.

بل وصل الأمر إلى تغيب ديث عن العمل عدة مرات في محاولات غير مجدية للعثور على شين. وظنت الفتيات أن والدهن كان يبذل قصارى جهده للعثور على ابن خالهن.

بعد سنوات، ادعى أنه كان يفكر في شين كل يوم. وكل ليلة أيضًا.

قال: "إن إزهاقك لروح إنسان هو أمر لا يمكنك تجاوزه مهما فعلت. إنه لا يبرح ذهنك ولو لثانية واحدة. ويظل يطاردك مدى الحياة".

مكتبة  
t.me/soramnqraa



## الفصل الخامس والثمانون

حافَظَت نيكي وسامي على اتصال دائم بعد اعتقال والديهما، وتجنَّبَت التلفاز كلما أمكن، رغم أن ذلك كان شبه مستحيل. كانت جرائم والديهما، التي أُطِلقَ عليها اسم "جرائم التعذيب والقتل في رايمند"، تغزو كل مكان حولهما. وراحت التقارير التلفزيونية تضي لمسات درامية على قصة المنزل المرعب وسط المجتمع الساحلي الريفى، فبدأ أشبه بأجواء أفلام "الزرنىخ والدانتيل القديم"، و"أمى العزىزة"، و"ساىكو". وراح الناس جميعًا يتحدثون عن عائلة نوتىك. باستثناء فتيات آل نوتىك.

لم تَفْه نيكي وسامي وتورى بكلمة واحدة لوسائل الإعلام. كان وعدًا قطعنه على أنفسهن.

وُضِعَت شىلى ودىف رهن الاعتقال بكفالاتٍ بلَغَت قيمتها ملايين الدولارات، ووُجِّهَت إليهما مختلف الاتهامات، من بينها القتل وإخفاء حالة وفاة.

وبينما تمَّت الشقيقات القصاص لكاثي وشين ورون، فإنه لم يكن من السهل عليهنَّ رؤية حياتهن من خلال عدسة الإعلام؛ وكأنه انعكاس لشيء غريب ومألوف في آنٍ واحد.

لقد قتل والداهنَّ العديد من الأشخاص.

لقد ارتكبا أفظع الأفعال وأشدّها بشاعة.

وقد حدث كثير منها على مرأى ومسمع منهن.

استغرقت سامي، التي كانت في الخامسة والعشرين من عمرها، أسبوعين فقط حتى حصلت على وصاية توري. كانت تعيش بمفردها في شقة بغرفة نوم واحدة في شارع جرينوود في سياتل، ورثبت للحصول على شقة بغرفتين. وداخلها الارتياح لأن لديها فرصة لمنح أختها بداية جديدة بعيداً عن والديهما.

\*\*\*

كانت شيلي تدرك أن سامي هي هدفها الأسهل والأنسب، فديف في السجن أيضاً، وتوري لا تزال قاصراً، أما نيكي فحالة ميؤوس منها بعد كل ما فعلته بها. ولا بُدَّ أنها أدركت أنه لا سبيل للعودة إلى حياة ابنتها الكبرى. والحقيقة أنها لم تبذل حتى مجهوداً يُذكر.

لكن سامي، التي كانت دائماً تسعى لتلطيف الأجواء باعتبارها الابنة الوسطى، رغبت في إرضاء الجميع.

منذ يومها الأول تقريباً في السجن، وبينما كانت لا تزال تنتظر المحاكمة، راحت شيلي تبعث رسائل لسامي من السجن تحتوي على قوائم بالأشياء التي تحتاجها. كانت تطلب كل شيء وأي شيء يمكن أن تقدّمه ابنتها، وكانت طلباتها دقيقة للغاية. حمالة صدر مُعيّنة. رداء خاص. نوع محدّد من الكريم.

كانت نبرتها متسلطةً ومهينة. حتى من خلف القضبان، تصرفَت شيلي وكأن مطالبها حقٌّ مُكتسب.

أعدت سامي بعناية ما كان مطلوبًا منها إرساله. ورغم إدراكها أن شيلي في المكان الذي تستحقُّه، فإن تخيلها هناك بمفردها أصابها بالحزن، وكذلك فكرة أن السجينات الأخريات يمتلكن ملابس داخلية مريحة وبرانس جميلة، بينما تتلقَّى أمها ما توفِّره لها الدولة فحسب.

لم تخبر شقيقتها بأنها كانت تساعد والدتهن، رغم أن نيكي اكتشفت ذلك في إحدى المرات عندما قالت سامي بعفوية إن والدتهن كانت تعاني خلف القضبان.

سألت نيكي: "هل ترسلين أغراضًا إلى أمي؟".

في البداية، حاولت سامي التَّهْرُبُ من الإجابة، ثم اعترفت بأنها فعلت.

قالت: "بضع مرات. لم يكن هناك ما يدعو للقلق".

لم تصدِّق نيكي أذنيها. "هل أنتِ جادة؟ بعد كل ما فعلته بنا؟ تقدِّمين لها المساعدة؟".

بطريقة ما، شعرت سامي بأنها لم تكن تملك خيارًا.

قالت نيكي: "إنها تتحكَّم بك. ألا تدركين ذلك؟ إنها تمارس سلوكها المعتاد".

\*\*\*

في فبراير 2004، وبعد مرور ستة أشهر على اعتقاله، أقرَّ ديف نوتيك بذنبه في جريمة قتل من الدرجة الثانية بدلًا من ارتكاب جريمة قتل من الدرجة الأولى في قضية مقتل شين واطسن. كما أقرَّ بتُّهمة التَّخْلُص غير القانوني من الجثث والمساعدة في ارتكاب جريمة. وبينما أوضحت الشقيقات الثلاث أن مساعدته لوالدتهن ستؤدي إلى قطع

علاقتهم به، فإن ديف رفض المشاركة في مقاضاة شيلي. أما شيلي فكانت متلهفةً لضمان التزام ديف بالصمت، رغم أن قوانين الحصانة الزوجية في واشنطن قد تمنعه من الإدلاء بشهادته. كانت البنات تعرف أن شهادته أمام المحكمة لن تثير قلقها على أي حال، بل كانت تخشى في الواقع تأييده لأقوالهن.

وقد فعل.

وحُكِمَ عليه بالسجن لما يقارب خمسة عشر عامًا.

ثم جاء دور شيلي.

أخبر مدَّعي مقاطعة باسيفيك عائلات الضحايا أنهم لم يتمكّنوا من إثبات تهم القتل من الدرجة الأولى على شيلي. لم تكن هناك جثة لكاثي. لا عظام أو رماد تحت السرير. كما عجز تشريح جثة رون عن إثبات كيفية إصابته أو المتسبب فيها. ونظرًا لحالة رفاته، كان من الصعب معرفة سبب وفاته الحقيقي. ورأى الداعمون لكاثي ورون أن القضية كانت ضخمةً ومعقّدة للغاية، وتفوق قدرات المقاطعة على التعامل معها بالشكل المطلوب.

كانت نيكي وسامي وتوري يعرفن أن والدتهن ذكية وماكرة، وستبرئ نفسها من التهم بأي ثمن.

الماء المغلي.

المبيّض.

أسابيع الحبس في غرفة المضخة.

الحرمان من الطعام.

التجريد من الملابس.

كلها أكاذيب، أو تمّ تحريف الحقيقة.

بعد عشرة أشهر من اعتقالها، أقرت شيلي بالذنب في التهم الموجهة إليها وفقاً للتماس "ألفورد"؛ وهو التماس مُحير؛ إذ يسمح للمتهم بالاعتراف بالذنب مع التأكيد على براءته في الوقت ذاته. كما أنه يسمح للدفاع والادعاء بحفظ ماء الوجه -وتوفير المال- بتجنب محاكمة قد تؤدي إلى إدانة مؤكدة تقريباً. ولعل هذا الالتماس أنقذ مقاطعة باسيفيك من بعض الحرج أيضاً. لن تعيد وسائل الإعلام تسليط الضوء على الإشارات التحذيرية التي تجاهلتها الشرطة، والتي كانت تشير إلى تورط شيلي وديف في أعمال مشبوهة. بلا ريب، كان من المرجح أن يظل رون على قيد الحياة لو كان مكتب المأمور قد أولى اهتماماً أكبر بقصة نيكي حول مقتل كاثي. وربما كان ماك سيعيش لفترة أطول أيضاً.

في النهاية، توصل الجانبان إلى اتفاق مبدئي بالحكم على شيلي بسبعة عشر عاماً.

عند النطق بالحكم بعد شهرين، بدت شيلي منهكة. كان شعرها أشعث، وقد تلاشت منه صبغة كليروال الحمراء منذ فترة، فصار مزيجاً من الرمادي والأشقر المائل للحمرة. وتدلّت بذلة السجن البرتقالية على جسدها بشكل فضفاض.

لم يحضر أي فرد من عائلتها لدعمها.

تحدثت إلى المحكمة قبل أن ينطق القاضي بالحكم، وتخلّلت الدموع كلماتها.

قالت للمحكمة: "في هذا السجن وفي هذه المحكمة وفي هذا المجتمع، وفي كل مكان آخر يعتبرونني وحشاً رهيباً. لكنني لست كذلك. لقد ارتكبت أخطاءً فادحة. كاثي كانت صديقتي، وكان لها قدرٌ وقيمة. كانت ستقف بجانبني. لم أدعمها بما يكفي. لم أكن موجودة عندما ماتت كاثي. لم أكن موجودة بجوارها لمساندتها".

أشارت شيلي بأصابع الاتهام نحو شين ونيكي، مُدّعيةً أنهما  
المسيئان لكاثي.

لم يكن مقتل كاثي ورون ذنبها.

"أعتقد أنني لست مذنبَةٌ بالقتل، أو بالتسبُّب عمدًا في وفاتها. لكن  
الأم هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن بيئة منزلها. لقد تعرّضت للإساءة  
في منزلي والآن رحلت. لن أتجاوز ذلك أبدًا ولا أستحق تجاوزه".

استمع القاضي إلى كل ما قيل بينما عبّر الطرفان عن رأيهما. وأشار  
المدعي العام إلى مدى تعقيد القضية، وأن الحقيقة الكاملة لما حدث  
قد تظلُّ مجهولة.

لم يتطلّب التماس ألفورد أن تخبر المحكمة بما فعلته، على عكس  
عديد من الالتماسات الأخرى.

ومع ذلك، أخذت الدهشة شيلي لأن كلماتها لم يكن لها التأثير  
المطلوب على القاضي. وعودًا عن التعاطف معها، أضاف سنوات  
أخرى إلى الحكم. وبينما ظلّ فم شيلي فاغرًا، حكم القاضي عليها  
بأكثر من اثنين وعشرين عامًا -خمس سنوات إضافية على السبع  
عشرة التي وافقت عليها- بثُمة القتل من الدرجة الثانية لكاثي،  
وبجريمة القتل غير المتعمّد المتعلّقة بوفاة رون.

لم يكن الجميع سعداء، لكنهم شعروا بالرضا.

كانت تلك هي العقوبة المناسبة لامرأة عاشت لتتحكّم بالآخرين  
ومُلي عليهم أوامرهم وطلباتها.

لن تتحكّم شيلي نوتيك بأي شخص أو شيء لأكثر من عقدين من  
الزمان.

## خاتمة

أطلق سراح ديف نوتيك من السجن في عام 2016. وقيم حاليًا في ساحل واشنطن، ورغم معاناته من مشكلات صحية، فإنه يعمل لساعات طويلة في مصنع لتجهيز المأكولات البحرية. جسده صار نحيفًا، ويجد صعوبة في الوقوف على قدميه طوال اليوم. الشيء الوحيد الذي يُبقيه متماسكًا هو علاقته بابنتيه توري وسامي. ترفض نيكي رؤيته، وهو يتفهم ذلك. يقول إن الندم الذي يعتريه لزلوعه في أحداث منزلي لاودرباك ومونهون لاندينج لم يفارقه قط. ويعلم أنه لن يزول أبدًا.

نيكي عاجزة عن الغفران أو النسيان. ليس بوسعها إلا المضي قدمًا، وتربية أطفالها بأسلوب لا يمكن أن تفهمه والدتها. بالحب. بالاحترام. إنها تدرك أن ما عاشته قد أحدث تغييرات عميقة في حياتها، وإن كانت خفيةً وغير ظاهرة. ورغم أنها تميل إلى حسن الظن بالناس، فإنها لا تستطيع أن تُحسن الظن بأبويها، وتحاول ألا تفكر في والدتها.

وبينما أخبرت أطفالها الكبار أن جدتهم مسجونة لارتكابها جريمة خطيرة، فإنها امتنعت عن إطلاعهم على أي تفاصيل أخرى. لا يزال قلبها مثقلًا بالندم على دورها فيما حدث لشين وكاثيري. كونها ضحية بحد ذاتها لم تجده عذرًا أبدًا.

من المتوقع إطلاق سراح شيلي نوتيك من السجن في عام 2022، وستكون حينها في الثامنة والستين من عمرها. لا تزال تُصِرُّ على أن إدانتها كانت خطأ، مُدَّعيةً أنها لم تفهم معنى التماس ألفورد. لم ترها أي من بناتها منذ أن غادرت مقاطعة باسيفيك، رغم أن إحدى زائرات سجن النساء في جيج هاربر بواشنطن تقول إن شَعر شيلي اكتسى بالشيب الآن وأنها تكافح مرض السرطان.

هذا ما تدَّعيه، إن كان كلامها صحيحًا.

تعتقد سامي أن أمها كانت امرأة سيئة بالفطرة، امرأة أُتيحت لها الفرصة -للأسف- لكي تنمو طبيعتها الشريرة. قالت من منزلها الكبير في رايمند: "لست متأكدة من أنها كانت ستقتل أحدًا لو أنها وُلدت في عائلة مختلفة، أو في مدينة أخرى، أو تزوجت رجلًا أقوى. كانت أمي تحب تعذيب الناس. الأمر تجاوز الحدود، واكتشفت أنها تستمتع بذلك. لا أعرف".

أمًا والدها، فهي تحبه، لكنها لا تزال تعاني ممَّا حدث حتى اليوم.

قالت سامي: "لا يهمني ما فعلته أمي أو مدى جبروتها. لو صوّبت أمي مسدسًا إلى رأسي وأمرتني بقتل أخي، لم أكن لأفعل ذلك البتة. ونيكي أيضًا لن تفعل. مستحيل. لكن والدنا فعل".

أما توري، التي تعمل الآن في وظيفة جديدة، فتشعر ببعض الحنين للأم التي أحبَّتها يومًا. لكنها لا تفتقد شيلي على الإطلاق، رغم أنها تفتقد وجود أمٍّ في حياتها. لحسن الحظ، استطاعت شقيقاتها شغل

هذا الفراغ. وبينما تمكّنت من بناء علاقة وثيقة مع والدها وقضت مؤخرًا عيد الميلاد معه، فإنها ترفض تمامًا أي علاقة بشيلي. بالطبع، حاولت شيلي.

بعد دخولها السجن كتبت رسالة لتوري عبر سامي، تعبر فيها عن سعادتها بأن ابنتها الصغرى محاطة بكثير من الأشخاص الذين يحبونها ويعتنون بها.

"لقد أسأت الاختيار في حياتي. وارتكبتُ أخطاءً كثيرة واتخذتُ قرارات خاطئة عديدة. قرارات أندم عليها كثيرًا. لكنك لستِ مثلي. أرجوك، لا تصدّقي ما سمعتِ. هناك جانب آخر للقصة". لم تسلّم سامي تلك الرسالة.

قالت سامي: "لم تكن أختي الصغرى بحاجة إلى رؤيتها. إنها ذكية وسعيدة، وأمنّا ليس لها مكان في حياتها".

تجتمع الشقيقات الثلاث عدّة مرات في السنة، غالبًا في منزل نيكي بالقرب من سياتل. عادت نيكي إلى رايمند في عام 2018، للمرة الأولى منذ تفجّر القضية. كان الأمر صعبًا، لكن سامي كانت هناك عندما استرجعت نيكي ذكرياتها عن أمها. تذكّرت بعض اللحظات التي أبدت فيها والدتها لطفًا واهتمامًا. تلك الذكريات الجميلة جعلت الدموع تطفّر من عينيها. وفي ذلك الخريف، عادت سامي أيضًا إلى منزلي لاودرباك ومونيهون لاندينج لأول مرة. شعرت بردًا فعل غريزيّ تجاه الحمام في لاودرباك والمكان الذي أجبرت فيه نيكي على التمرغ في الوحل. انهمرت من عينيها الدموع. لكنها ابتسمت أيضًا. أشارت إلى بركة أسماك كان كالي قد صنعها، والبقعة التي اعتاد أن يركن فيها سيارته لتترجّل منها، ثم يضغط على البوق، ويضيء المصابيح ويطفئها حتى تستسلم شيلي وتسمح لها بالدخول.

ما زالت الشقيقات يتواصلن عبر الرسائل النصّية والمكالمات الهاتفية طوال الوقت. إنهن يدركن جرائم والديهن المجنونة، والوقائع المرعبة أثناء طفولتهن. ورغم محاولات شيلي الدؤوبة لتفريقهنّ والسيطرة عليهن، فإنها أخطأت في تقدير قوة رابطتهن.

شقيقات إلى الأبد. لم يَعدن ضحايا.

## تعقيب

بقلم د. كاثرين رامزلاند

من الداخل، يبدو المنزل العنيف مختلفًا تمامًا عن رؤيته من الخارج. الأطفال الذين ينشؤون في كنف آباء قساة أو نرجسين أو ساديين لا يدركون أن وجود شخص لديه القدرة على ممارسة القسوة الشديدة ليس أمرًا طبيعيًا. حتى عندما يرون تباينًا في عائلات أصدقائهم، فإنهم يكونون قد فقدوا القدرة على تحدي سلطة الوالدين. وعضًا عن السعي لطلب المساعدة، ينطوون على أنفسهم ويتكيفون مع الوضع.

يتزايد عدد أبناء القتل المتسلسلين -ومعظمهم من الإناث- الذين يخرجون عن صمتهم، ويتحدثون عن ارتباطهم بأكثر الجناة وحشية. يقولون إنهم ضحايا أيضًا، وهذا صحيح. تجدهم في البرامج الحوارية، والبودكاست، وصفحات مذكراتهم الشخصية.

حتى إن مليسا مور، ابنة "قاتل الوجه السعيد" كيث جسبيرسن، صنعت مسلسلًا تلفزيونيًا قدّمت فيه أقارب القتلة المتسلسلين إلى أفراد أسر الضحايا، على أمل تحقيق الشفاء للجميع.

بعض الأبناء يصابون بحالة من الذهول، مثل كيري روسن، ابنة دينيس ريدر، القاتل المتسلسل المعروف باسم "BTK" في ويتشيتا. بعد عقد من اعتقاله في عام 2005، وصفت لأحد الصحفيين معاناتها وإحساسها بالخزي عندما اكتشفت أن والدها الحنون، الذي أحبته طوال حياتها، قد قتل عشرة أشخاص -بينهم أطفال- في مسقط رأسها. في كتابها "ابنة قاتل متسلسل"، تصف الصعوبات التي واجهتها لمحاولة فهم دوافعه وكيفية المضي قدمًا في حياتها.

من جهة أخرى، لم يستغرب بعضهم من الحياة المزدوجة لآبائهم المجرمين، لأنهم شهدوا من كثب مظاهر العنف والغضب. بل إن بعضهم قاد الشرطة إلى منازلهم. ورغم شعورهم بالخوف والعار من إحساس الخيانة، فإنهم كانوا يأملون في منع الظلم وردع المجرمين.

هذه هي قصة بنات القاتلة الوحشية ميشيل "شيلي" نوتيك. المرأة التي سخّرت جمالها وجاذبيتها لإبعاد الشبهات عنها، وحكمت منزلها بقبضة حديدية، وأذاقت أطفالها ومَن يعيشون معها تعذيبًا مروّعًا. وباستخدام قصص مفبركة والتظاهر بشخصية "الراعية" لإخفاء قسوتها السادية، تمكّنت من الإفلات بأفعالها العنيفة لسنوات. لقد تلاعبت بزوجها الثالث ليساعدها على التّسّتر على جرائمها، بل وحتى القتل من أجلها.

قد يبدو ضربًا من المستحيل أن يفرض شخصٌ سيطرته على الآخرين لهذا الحد، ولكنّ المفترسين الناجحين يستخدمون أساليب شتى لضمان نجاحهم. ويتمتعون بالصبر واليقظة والتخطيط والاستعداد. أولاً، يبحثون عن أشخاص مطيعين يمتلكون موارد محدودة؛ مثل

أطفالهم أو آبائهم المسنين، أو أصدقاء محتاجين، أو مشردين، أو مرضى نفسيين، أو أشخاص بلا روابط عائلية. ثم يخططون لتقويض مقاومة ضحاياهم تدريجيًا حتى يستسلموا. حتى في مواجهة أفعالهم الفظيعة، يشعر الضحايا بالخوف الشديد، أو الاستسلام، أو التشويش، أو العجز عن الانتقام أو طلب المساعدة.

ورغم عدم اكتراثهم بالصدق والأخلاق، يتدرّب المفترسون على التظاهر بسلوكيات مثل الاستقامة والرحمة كي يستغلوا ثقة الناس. وإذا كُشِفَتْ أكاذيبهم، يغيرون أقوالهم فوراً ويقنعون الآخرين بقصص مُفَبَّرَكة بسهولة. إنهم يعرفون ما يريدون وما يلزم لتحقيقه.

استخدمت شيلي نوتيك شخصية مصطنعة تمتزج فيها الجاذبية والنجاح لتوليد ثقة زائفة لدى ضحاياها. وبمجرد إيقاعهم في شباكها، كانت توجّه لهم لسعتها القاتلة.

بعض المفترسين ساديّون، ويوصفون بأنهم أسماك القرش البيضاء الكبرى في عالم الجرائم المنحرفة. قدرتهم على الدهاء الإجرامي لا مثيل لها، وكذلك قدرتهم على إلحاق الأذى بالآخرين. لا يشعرون بالسعادة إلا عندما يدمّرون حياة من حولهم، عادةً من خلال الإيذاء النفسي والبدني. إنهم يستمتعون بضرب الضحايا، أو ربطهم، أو حرقهم، أو تعليقهم، أو صعقهم بالكهرباء، أو دهسهم، أو ثقبهم، أو خنقهم حتى يفقدوا الوعي ثم يعيدونهم إلى الوعي مجددًا. السيطرة على الآخرين من خلال الألم تعزّز إحساسهم بالقوة.

يتشكّل الميل إلى السادية خلال بعض العلاقات في فترة المراهقة المبكرة، مصحوبًا بطبع قاسٍ يحتاج إلى السيطرة ويفتقر إلى الشعور بالندم. ومع ذلك، يُبلغ أكثر من ثلث الساديين عن اكتشافهم لميلهم المنحرف في مرحلة البلوغ المتأخّرة؛ فهم يستمتعون بالإحساس بالسلطة الذي ينشأ من السيطرة على إنسان ضعيف وخاضع، وتزداد

خيالاتهم تعقيدًا وانحرافًا. ولما كانوا يبحثون عن التحفيز؛ فإنهم يتفنون في ابتكار ضروب من القسوة التي يمارسونها على الآخرين. والرعاية المرتبطة بالأبوّة والأمومة لا تعني لهم شيئًا.

يصف الدكتور مايكل ستون، الطبيب النفسي الشرعي ومخترع مقياس الشر المكوّن من 22 نقطة، حالات "آباء من الجحيم" عند حديثه عمّا يحدث من أخطاء في مؤسسة نعتبرها الملاذ الأكثر أمانًا وحماية. ويصف بالأشرار أولئك الآباء الذين يقدّمون صورة اجتماعية طبيعية لتغطية الأذى الذي يلحقونه في الخفاء. إنهم يلبّون احتياجاتهم ورغباتهم على حساب أقرارهم، وخاصة أبنائهم. وكلما زادت المتعة التي يحصلون عليها من أعمال التعذيب، زاد إشباعهم. في الواقع، يُخصّص مايكل ستون فئة "الأشدّ شرًا" -المستوى 22- للقتلة السيكوباتيين؛ إذ يكون التعذيب هو مُحفّزهم الرئيسي. إنهم يستمدّون لذّتهم من إلحاق الألم. وكلما ملّوا من أداة تعذيب، يبحثون عن أخرى أو يخرعونها. كما أنهم يفضّلون إبقاء ضحاياهم على قيد الحياة لأطول فترة ممكنة لتجسيد أشد رغباتهم شناعة. لكنهم يعلمون أن هؤلاء الضحايا يجب أن يموتوا في نهاية المطاف.

يدرك الضحايا الذين يسعون للحصول على المساعدة مدى صعوبة إقناع السلطات بسلوك الساديين؛ إذ يعرفون أنه إذا حاولوا وفشلوا، فإن العقاب سيكون شديدًا. لذا، يقرّرون الانتظار غالبًا على أمل التّمكّن من الفرار في النهاية. حتى شركاء الساديين، قد يتساءلون عند القبض عليهم كيف تجاوزوا حدودًا لم يعتقدوا يومًا أنهم سيتخطونها. والحق أنهم بمجرد تغاضيهم عن التعذيب أو ارتكاب فعلة وحشية بناءً على طلب السادي، يشعرون أنهم أصبحوا متورطين في جرائمه، ولا يجدون مفرًا سوى الاستمرار في هذا الطريق. والمفترسون المهرة يعرفون كيفية السيطرة على مجريات الأمور.

حتى بعد القبض على الآباء الساديين، وإدانتهم والحكم عليهم، تلاحق الكوايبس والصدمات أبنائهم. يتجنب بعضهم وسائل الإعلام، ويغيرون أسمائهم، ويتلقون العلاج، ويأملون في عيش حياتهم بشكل طبيعي قدر الإمكان. بينما يسعى آخرون إلى المنابر العامة. مهما كان الطريق الذي يسلكونه، فإن الجاني قد لَطَّخَ أرواحهم. قد يعانون من اضطرابات النوم أو الأكل، أو يجدون صعوبة في الحفاظ على علاقات صحية، أو يمرون بنوبات متكررة من اضطراب ما بعد الصدمة. وربما سيئون من غير قصد إلى أبنائهم أو يشعرون برغبة عارمة في التصرف بشكل عدواني تجاه أحبائهم. وكلما زاد وعيهم بالصدمات التي عانوا منها في طفولتهم، زادت احتمالية تأثير هذه الصدمات على جوانب هامة من حياتهم في سنِّ الرُّشد. قد يشعرون حتى بالخوف من نقل عدوى وراثية؛ ما يجعلهم يراقبون أبناءهم بحذر شديد.

يترك السَّاديُّ المفترس الذي يلعب دور الراعي تأثيرًا مدمرًا على حياة الضحايا الناجين، وقد يتطلَّب الأمر سنوات للتعافي. وحتى عندما يفهمون أخيرًا ما جرى لهم، تنتابهم غالبًا مشاعر الذنب. وربما يستمر الضحايا في حبِّ الوالد الذي آذاهم، غير مدركين تمامًا حجم الإساءة التي تعرَّضوا لها. وقد يستجيبون عندما يحاول الوالد الاستمرار في السيطرة عليهم من السجن. ربما يصعب على الآخرين استيعاب ذلك، ولكن يظل البيت بيتًا مهما كانت صورته.

قد يستمر الضحايا في التعلق بالوحوش الذين ألحقوا بهم الأذى. ولعل هذا الولاء المتناقض هو أفظع أشكال الضرر التي يلحقها المفترس بضحيته.

الدكتورة كاثرين رامزلاند هي أستاذة علم النفس الجنائي في جامعة دي سيلز في بنسلفانيا. نشرت أكثر من ألف مقال وخمسة وستين كتابًا، من بينها "سيكولوجية التحقيقات الجنائية في حالات

الوفاة"، و"اعتراف قاتل متسلسل: القصة المخفية لدينيس ريدر، القاتل المعروف باسم *BTK*"، و"عقل القاتل". تقدّم ورش عمل لقوات الشرطة، والأطباء الشرعيين، والمحامين. كما قدّمت استشارات لعدة مسلسلات تلفزيونية، من بينها "ذا إينست"، و"سي إس آي"، و"بونز". بالإضافة إلى أنها تكتب مقالات منتظمة في مجلة "سايكولوجي توداي".

## شكر وتقدير

يحمل الكتاب بين دفتيه موضوعًا مُقْبِضًا ومُرْعِبًا، لكن الشعور الغالب أثناء تدوين هذا الكتاب كان الأمل والتقدير. ويعود الفضل في ذلك إلى نيكي وسامي وتوري. أتقدّم ببالح الشكر والامتنان لشجاعة الأخوات نوتيك لثقتهن بي في سرد قصتهن. لقد ترعرعت بين إخوتي الذكور، ولكن لو كنت محظوظًا بوجود أخت، لوددتُ أن تكون أي واحدة من الشقيقات الثلاث. فكلُّ واحدة منهن تُدْغِرُنِي بأنه مهما كانت بداية حياة المرء صعبة ومؤلمة، فإن ما يهمُّ حقًا هو المطاف الذي ينتهي إليه. وكل واحدة منهنَّ تُعَدُّ دليلاً حيًّا على أن حب العائلة هو الركيذة الوطيدة التي نتشبَّث بها، مهما كانت الظروف والأوضاع.

كما أتقدّم بالشكر أيضًا لوالدهن، ديف نوتيك، على الالتقاء بي والحديث عن أسوأ فصول رحلته مع شيلي. وبصراحة، لم أكن أعرف ماذا أتوقَّع حين قابلته، ولكنني بِتُّ أراه الآن من منظور سامي

وتوري. وأنا على يقين أنه لن يتنصل أبداً من مسؤوليته أو يتبرأ من ذنبه فيما حدث في رايمند. سيقضي بقية حياته في التكفير عما فعله، وقد ساعدني في كتابة هذه القصة بناءً على رغبة بناته.

لارا واطسن تجسّد كل الصفات التي تتمنى وجودها في جدّتك. لن أنسى أبداً مقابلتنا في بورتلاند ودعمها المتواصل لتوضيح القصة منذ انتقالها إلى أماكن يسودها مناخ أكثر دفئاً. وأشكر أيضاً ابنتها الصغرى على الصور التي ساعدتني على التعرف على وجوه أفراد العائلة.

لا تزال شيلي تمارس أسلوبها المعتاد كدأبها. تبادلنا العديد من الرسائل، ووافقّت على مقابلتي، لكنها استمرت في إرجاء الموعد، متحجّجةً بأنها مشغولة للغاية ولا تجد الوقت الكافي. أجرينا أيضاً مكالمة هاتفية قصيرة. وظلّ الأمل يراودني، لأكثر من عام، في التواصل لإجراء مقابلة. كم كنت ساذجاً! إنها تشبه الكثيرين من مثيلاتها، ضحية ظروف غير مرتبطة بأي شيء فعلته.

كما أودُّ أن أعرب عن وافر شكري لكيلي بانانين على الذكريات المؤثّرة عن شقيقتها (وعلى البسكويت الذي أحضرته من نيويورك). أعلم أن قلبها لا يزال مثقلاً بفقدان كاثي، وهو جرح لن يندمل أبداً. والشكر موصول لأخيها جيف لورينو. كما أتقدّم بخالص العرفان لكالي هانسن ووالدته بارب على ما قدّماه لي من وقت ثمين ورؤى قيّمة خلال إحدى زيارتي العديدة إلى رايمند. وشكر خاص لموظف سجلّات المحاكم في مقاطعة باسيفيك، جيمس وورتون، لإنقاذ الموقف عندما ضاع أحد الملفات.

أمّا بالنسبة للجانب المتعلق بعملية نشر هذا الكتاب، فأعرب عن امتناني الجرم لشانون چايمسن فاسكيز على العناية الفائقة والرؤية الثاقبة اللتين قدّمتهما خلال عملية التحرير. لقد حثّنتني على البحث

بعمق، ورغم أن ذلك كان مؤلماً في بعض الأحيان، فإنه كان بالضبط ما احتجت إليه. وبالنسبة لفريق توماس وميرسر وأمازون للنشر... كلمات الشكر لا توفيكما حقاًكما. وإلى الرائعتين جراسي دويل وليز بيرسونز، أحيي فيكما تمثّعكما بحسّ فني رفيع في اختيار القصة الجيدة. إنني المؤلف الأكثر حظاً على الإطلاق!

لم أدون كتاباً حقيقياً عن الجريمة منذ سنوات عديدة، لذلك يتساءل الناس: لم هذا الكتاب تحديداً، لماذا الآن؟ تشغل شيلي نوتيك مكاناً غريباً في سجلات الجرائم الحقيقية. فكل أفعالها كانت وحشية ومروّعة وقاسية، ومع ذلك، لا تزال مجهولة تماماً. لقد تمكّنت من تفادي الأضواء والأنظار مع تقادم الزمن وكذلك بفضل صفقة ألفورد. لم تحظ القضية بتغطية إعلامية واسعة، ولم يتمّ كشف تفاصيل جرائمها علناً للجمهور.

أرادت نيكي وسامي وتوري أن يعرف العالم أجمع فضائع والدتهن. إنه تحذيرٌ للضعفاء الذين قد يقعون في شباكها بعد الإفراج عنها. فالجميع يخشى أن تكرر جرائمها.

مكتبة  
t.me/soramnqraa



## نبذة عن المؤلف

كتب جريج أولسن، الذي تصدّرت أعماله قوائم الكتب الأكثر مبيعًا في نيويورك تايمز وأمازون، ما يربو على ثلاثين كتابًا، من بينها "ممددًا بجواري"، و"آخر ما فعلته"، وروايتين من سلسلة نيكول فوستر؛ "صوت المطر" و"وطأة الصمت". يشتهر أولسن ببراعته في خلق حكايات حيّة ومشوقة. وقد حلّ ضيفًا على عديد من برامج التلفزيونية والإذاعية وشبكات الأخبار، مثل "صباح الخير يا أمريكا"، و"ديتلاين"، و"إنترتينمنت تونايت"، و"CNN"، و"MSNBC". كما سلّط الضوء على أعماله في مجلات مثل "ريدبوك" و"بيبول" و"صالون"، فضلًا عن صحف "سياتل تايمز"، و"لوس أنجلوس تايمز"، و"نيويورك بوست".

نالت أعماله، سواء الروائية أو غير الروائية، إشادة نقديةً وجوائز عديدة، بما في ذلك ظهورها في قوائم الكتب الأكثر مبيعًا في "يو إس إيه توداي" و"ووال ستريت جورنال". اختارت ولاية واشنطن روايته

للناشئين "الحسد" لمهرجان الكتاب الوطني، في حين تمَّ اختيار "الظلام  
الدامس" أفضل كتاب في العام في ولاية أيداهو.

حاليًّا، يعكف أولسن، المولود في سياتل ويعيش مع زوجته في  
منطقة ريفية بولاية واشنطن، على تدوين كتابه المثير القادم.

لمعرفة المزيد عن جريج أولسن وأعماله، يُرجى زيارة موقعه على  
الإنترنت: [www.greggolsen.com](http://www.greggolsen.com).

## نبذة عن المترجمة

رفيدة جمال ثابت

باحثة ومترجمة مصرية. حاصلة على ماجستير في الأدب الإنجليزي، ودبلوم الترجمة. شاركت بالعديد من الترجمات الأدبية والثقافية في (أخبار الأدب)، و(عالم الكتاب)، و(الثقافة الجديدة)، و(الدوحة)، و(الفيصل)، و(الهلال)، وغيرها. ساهمت كذلك في الترجمة العربية لموسوعة ستانفورد للفلسفة. ومن أعمالها المترجمة (الحديقة المنسية)، و(سيكولوجيا الجمال)، و(ألعاب المستقبل)، و(الشفاء من الخجل السام).

# إياكم أن تجربوا أحدًا

"لا يوجد إلا كاتب واحد يجيد سرد قصة مُرعبةٍ ونفسية كهذه القصة، والمليئة بالإساءات الرهيبة والتعذيب البشع والقتل المتسلسل المروّع، بدقّة ورهافة وأسلوب رفيع... يأخذنا جريح أولسن في رحلةٍ نفسية مشوّقة، مستوحاة من أحداثٍ حقيقية، مازجًا بين الإشارة والابتكار؛ ومن ثمّ يُعدُّ كتاب 'إياكم أن تُخبروا أحدًا' تحفةً فنيةً في أدب الجرائم الحقيقية".

**ماثيو ويليام فيلبس**

صاحب الكتب الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز.



مكتبة  
[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

I SEN 978-977-894-018-3



9 789778 940183



المحررة